

القصة والخرافة

« اللغة العربية تنفرد عن سائر اللغات بان فيها احسن اسم لفن القصص »

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

اسم « القصة » عندنا اكرم لهذا الفن من معظم اسمائها فى اللغات الاوربية ، ان لم يكن اكرم من جميع اسمائها

فهم يطلقون على الموضوعات القصصية كلمة واحدة هى كلمة « فكشن » او Fiction باللغة الانجليزية ، مع تصحيف يسير فى نطق الكلمة باللغات الأخرى

ومادة الكلمة فى اصلها لا تدل على شيء غير معنى التلفيق والتزوير ، او ما يعبر عنه ابو تمام بقوله :

تخرصا وأحاديثا ملفقة
ليست بنبع اذا عدت ولاغرب

وليس من كاتب فى العصر الحديث يرضى لمؤلفاته ان تنعت بالتلفيق والتزوير ، بل لا يرضى لها أن تنعت بمجرد المحاكاة والتقليد ، وهما معنى من معانى التزييف فى بعض الاحوال

وعندهم كلمة اخرى تطلق على الرواية وهى كلمة « رومان » Roman منسوبة الى اللهجات « الرومانية » المستحدثة من اللغة اللاتينية القديمة فى اقطار اوربا الجنوبية

وقد جرت عادتهم فى تلك الاقطار ان يلفقوا القصص بلهجاتهم المستحدثة ، وهى لهجات عامية بالقياس الى اللاتينية الفصحى ، ويديرون موضوع القصص فيها على ابطال الفروسية فى عهد اللاتين ، وعهد الرومان الاولين ،

ويملأونها بالغرائب والمبالغات والأماني الكاذبة التي يطلقون عليها أحيانا « بناء القصور في الهواء »

وقد صنعنا نحن في العربية مثل ذلك حين الفنا بالعامية أقاصيص الاغراب والاعجاب بأبطال العرب الأقدمين ، كالزير سالم ، وسيف بن ذي يزن ، وعنترة العبسي ، وغيرهم ممن غبروا قبل ظهور اللهجات العامية

والقصة بهذا الاعتبار طبقة لا تتجاوز في القيمة الفنية طبقة هذه الملاحم التي يرويها شعراء القهوات البلدية لمن هم في الغالب أميون لا يكتبون ولا يقرأون

واصح كلمة عربية لترجمة « الفكشن » و «الرومان» بمعناهما هذا هي كلمة الخرافة

واصل كلمة الخرافة فيما قيل ان رجلا من قبيلة عذرة أو قبيلة جهينة استهوته الجن فاختطفته ، ثم رجع الى قومه فجعل يحدثهم بما رأى من العجائب والخوارق وهم يصغون اليه ويقولون : حديث خرافة ... أي حديث أكاذيب وأباطيل » وهم يقولون «خرافة» ولا يقولون الخرافة ، الا ان يكون معناها تلك الأحاديث الموضوعة من أسمار الليل ، فيسمونها الخرافات »

وربما كانت قصة « خرافة » هذا نفسها من أحاديث الخرافة ، وكان أصل الخرافة عند العرب من كلمة « الاختراف » وهي جمع أطايب الثمر في الخريف ، ثم اطلقوها على جمع أطايب السمر ، ونقلوا أطايب الأثمار الى أطايب الأسمار

ولكنهم على أية حال قد اصطلحوا على وصفها بالكذب والاختلاق ، ووصفوا بها كل ما لا يقبل التصديق ولا يجرى في الواقع

اما اسم « القصة » بالعربية ، فهو على خلاف ما يسبق الى الخاطر ، يفيد معنى غير معنى التوهم وخلق الحوادث على سبيل المحاكاة ، أو الحكاية !

ومعناه مأخوذ من قص الأثر . لان الذي يقص الأثر يتتبع اخبار القوم ويعرف مذهبهم في الارض ومقامهم فيها . فهي مادة بحث وتحقيق ، وليست مادة توهم وتلفيق . ومن ثم كان « القاص » عند العرب هو من يأتي بالقصة على وجهها ، كأنه يتتبع معانيها ، أو كأنه يتتبع الانباء في عالم الزمان كما يتتبع « قاص الأثر » أنباء القوم في عالم المكان

وفي القرآن الكريم عن أم موسى عليه السلام حين فقدته : «وقالت لأخته قصيه » أي ابحثي عنه . فالقص من هذه المادة هو المعرفة الصحيحة عن بحث وهداية ، وليس هو التوهم والتخيل للتلفيق والاختلاق

واقرب الكلمات الى هذه المادة في اللغات الاوربية هي كلمة « استوري » Story لأنها مأخوذة من كلمة هستوري History التي كانت في أصلها كل معرفة يصل اليها الباحث

بالتنقيب والاستقصاء ، ثم اطلقت من أجل هـذا على التاريخ لانه تسجيل للأخبار بعد التحرى والمراجعة

ولـكن هـذه الكلمة ـ كلمـة استورى ـ قد ابتذلت حتى كادت تنحصر فى الحكاية المسلية ، وهى اصغر أنواع هذا الفن من جهـة الحجم على الأقل ، أو من جهـة الحجم والمقدرة على الابداع

☐

وفى اللغات الاوربية كلمة تطلق على القصة تقابلها كلمة فى العربية تترجها اصدق الترجـة ، وهى كلمـة نوفل Novel بمعنى الطرفة او الخبر الجديد . والطرفة والخبر من أحسن الـكلمات دلالة على الأصل المقصود بالكلمة الافرنجية ، وان تصرفنا فيهما كما تصرفوا فى كلمتهم بالاستعمال

وفى تلك اللغات ايضا كلمـة تقابلها كلمة مثلهـا فى العربيـة ، وهى النـادرة التى يسمونهـا عنـدهم Anecdote أى الملح والأسرار التى يندر عارفوها لانها لم تنشر من قبـل ، واصلهـا اليونانى كلمتان بمعنى « ما لم ينشر او ما لم يعـرف » ... وهى « نادرتنا » التى يتنـدر بهـا المتحدثون ، ويسمعون بها الناس ما لم يسمعوه قبل ذلك

على اننا ـ والحق يقال ـ ننفرد بين الأمم باسم للقصة لا يعرفونه ولعلهم لا يقرونه

وذلك هو اسم « الرواية »

فماذا يفهم العربى القديم من كلمة الرواية ؟

يفهم منها انها صناعة الراوى او الراوية ، ويفهم من الراوى او الراوية انه هو البعير او البغل او الحمار الذى يحمل الماء لينقع به غلة الظماء

وراوية الخبر او الشعر هـو الذى يحمـله كذلك ، ليروى به غلة الظماء الى الأخبار ..!

ولهذا يقال « منشد الشعر » لمن يتلوه ولا يحفظه ، ولكن لا يقال « راوية الشعر » الا لمن يحمـله معه ـ أو يحفظه ـ حيث سار

ولقد طال العهد باقتباس هذا المجاز من الأصل القديم ، ولكننا اذا ذكرناه لا نجد احدا من الرواة يستريح الى اصله القديم فى اللغة ، أو يأبى أن ينقطع عن اصله ويمضى بين الناس بغير أصل معروف !

فاذا حسبوا علينا هذه الكلمة فى سـوء الدلالة على اصـل « المؤلف » الكبير الجدير منا اليوم بالاعجاب والتوقير ، فليس يضيرنا أن نتركها لهم مستغنين عنها بكلمة القصة ، وهم أكرم لذلك المؤلف الكبير من التزوير والتحريف

وحسبنا الآن ان العربية فيها احسن اسم لفن القصص

فربما اطمعنا ذلك فى أن يكون لهـا غدا احسن اسم واحسـن مسمى !

عباس محمود العقاد

قصة رمزية ، اوحتها جلسة هادئة في مقبرة

أصفر الناب

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

ليست المقابر بالأماكن التي يرتادها الناس للترويح عن النفس والجسد ٠ وانه لشذوذ في طباعي من غيرشك أن أنفر الى أقرب مقبرة.كلما ضاق بي منزلي أو ضاق صدري بثرثرة الناس والكتب

والأغرب من ذلك أن الربيع لا يتجلى لي بكل روعته ومعانيه الا اذا استقبلته بين القبور ،وعلى الأخص ما انتثر منها بين الصنوبر والشربين حول المعابد القروية المنعزلة عن المساكن ٠ ففي تلك القبور الوديعة التي لا تكاد تتميز بشيء عن الأرض حواليها ، وفي وشوشة الاشجار من فوقها ، ودبيب الأعشاب على ترابها ، ثم في سكونها الحالم الأبدي ، ما ينفض عن القلب أثقاله ، وينزع عن الفكر أغلاله ، ويحمل الخيال بعيدا على أجنحة من النور والأثير

□

وجريا على عادتي في كل عام انطلقت في مستهل ربيع

هذا العام الى المقبرة التى أحببتها فوق جميع المقابر لخلوها من كل بهرجة الا الصنوبر والشربين ، ثم لبعدها عن مسالك الناس . وقد اخترت لذلك نهارا سماؤه سخية بالدفء والنور ، وأرضه حافلة بالفتنة والبهجة ، وهواؤه معطر بأنفاس الأعشاب والأزهار . ولشد ما دهشت اذ وجدت فى المقبرة شخصين غريبين ما سبق لى أن رأيتهما من قبل فى ذلك المكان أو فى أى مكان سواه . أحدهما شيخ طاعن فى السن والآخر غلام ما تجاوز الخامسة عشرة من عمره . فما أن أبصرنى الغلام حتى سمعته يقول للشيخ : « هذا هو » .

عندئذ نهض الشيخ الجالس على الأرض ، ومشى نحوى ويده الواحدة على عصاه والأخرى فى يد الغلام . وكان قصير القامة ، هزيل الجسم ، كث اللحية ، يعتمر قاووقا من اللبد مخروطى الشكل وقد برزت من تحته خصل من الشعر الأشعث . أما سراويله الرثة ونعلاه الباليان ، وحركاته وسكناته فكانت تنم عن فقر مدقع وشيخوخة بالغة . فى حين أن الغلام بجانبه كان حاسر الشعر ، وسيم المحيا ، ثابت القدم ، حسن الهندام ، بديع التكوين من أم رأسه حتى أخمصيه . فلم يخامرنى أقل ريب فى أن الشيخ فقير يستعطى وقد اتخذ من الغلام عونا ودليلا . وانعصر قلبى شفقة عليه عندما أصبح على قيد باع منى ، فأبصرت البياض يغشى السواد فى عينيه المفتوحتين . انه لكفيف .. وأنا لا أحمل نقودا . فواخجلى من شيخوخته ومن فقره وعماه

لم يفسح الشيخ لى مجالا للتفكير ، بل مد الى يده باسطا كفه . فقلت بلسان متلجلج :

« عفوك يا عماه .. فأنا لا أحمل نقودا .. تعال الى بيتى بعد ساعة وأنا ... »

فرفع الشيخ رأسه عاليا ، وحملق فى وجهى بعينيه البيضاوين ، وقال برزانة فائقة :

« بعد ساعة لا ينفعك أخذى ولا يجدينى عطاؤك »

قلت وقد أوقعنى كلامه ولهجته ومنظره فى ارتباك :

« اذن هلم معى الى البيت .. أو فانتظرنى ريثما أذهب وأعود »

« بل البث هنا . فليس عندك ما تعطينى . وعندى ما أعطيك . وقد جئتك بعطيتين من مكان بعيد »

« اعذرنى . ألست شحاذا .. ألست فقيرا ؟ »

« قلها . قلها ولا تخجل ـ شحاذ . شحا ـ ذ . شح ـ حا ـ ذ ! لقد سمعتها آلاف المرات من آلاف الأفواه . سمعتها بيدى ورجلى . سمعتها من الصغار والكبار . من الكلاب والسنانير . من الفراش والعصافير . من التراب والأعشاب . من الشمس والقمر .

سمعتها في كل لقمة مضغتها وجرعة جرعتها. أجل .. سمعتها تسعين عاما بلياليها الطوال والقصار ، ونهاراتها المحمومة والمقرورة حتى غدوت لا أسمع غيرها. قلها ، قلها . فانه ليطيب لي أن أسمعها للمرة الاخيرة ،ومن فم رجل أخبرت أنه يجل الانسان حتى في الشحاذ .. فكاد يكذب الخبر الخبر »

□

كاد الشيخ يسحقني لا بما قاله بل بالحرقة التي تسربت الى في صوته وبالتقريع اللطيف الذي تبطن عنه كلامه. وشئت أن أعتذر .. ولكنني ما وجدت الكلمة التي تليق بتلك الحرقة وذلك التقريع. فغيرت مجرى الحديث :

« قلت انك جئتني من مكان بعيد ، وأنت لا تعرفني ... »

« لا أعرفك ويعرفك هذا الصبي »

« ومن دلك علي ؟ »

« هذا الصبي »

«ومن أنباك بأنني آت الى هذه المقبرة حتى سبقتني اليها ؟ »

« هذا الصبي »

« ومن أين لهذا الصبي علم كل ذلك ؟ ألعله ملاك ؟ »

لم يجبني الشيخ في الحال، بل أطرق وطال اطراقه . فحولت اهتمامي الى الغلام الذي ما رأت عيني وجها مشرقا بالنور والطهر والجمال كوجهه. وشئت أن أسمع صوته فسألته : « ما اسمك أيها الصغير ؟ »

فما رد علي ورد الشيخ :

« ان هذا الصغير لأكبر مني ومنك . وهو لا يتكلم الا اذا ألهم الكلام ». وبعد دقيقة من الصمت، أردف : «اسمع ! أتؤمن بالله ؟»

قلت : « أؤمن »

فعاد الى الاطراق والصمت . وطال صمته حتى أخذ يساورني شعور بأن به مسا ، وانه من الخير لي أن أنصرف عنه بلباقة . ولكن أشياء في صوته ووجهه وفي وجه الصبي كانت تبعث في نفسي عكس ذلك الشعور . وبغتة رفع الشيخ يمناه الى رأسه فانتزع القاووق عنه ورمى به الى الأرض وقال :

« لتشهد الشمس علي .. أما سمعت بأصفر الناب ؟». فأجبت انني سمعت في صغري بشحاذ كان يتردد على القرية من حين الى حين وكان معروفا لدى الكل بلقب « أصفر الناب » . ولكنه مات من زمان . فقال كمن سري عنه :

« لا . ما مات أصفر الناب . وسيموت بعد ساعة . أنا هو أصفر الناب . وقد جئت لأفرغ في يديك كنوز ساعتي الأخيرة »

عندها أيقنت أن الشيخ اما مجنون أو أنه يهرف هرف الخرف. فقلت محاولا جهدي أن أخفي ما في صوتي من تهكم :

ـ أخشى أيها الشيخ الجليل

ألا تتسع يداى لكنوز ساعتك الأخيرة

فأجابني بمثل هدوئه السابق وبالنبرة عينها ، ومن غير أن يتبدل شيء في وقفته أو في أسارير وجهه :

ـ تضيق اليد وأما القلب فلا يضيق. خذ مني بقلبك لا بيديك

قال ذلك وأغمض عينيه وسكت هنيهة ، ثم عاد فاستأنف الكلام :

ـ اسمع .. واسمع بقلبك لا بأذنيك. أنا أصفر الناب . وأنا اليوم في التاسعة والتسعين من عمري . صرفت التسع الأولى منها مبصرا في بيت والدي الضرير، والتسعين الأخيرة ضريرا يقرع الطرق بعصاه ، والابواب بكفه ، والآذان بلسانه : «من مال الله». فما بريت عصاي، ولا بريت كفي، ولا برى لساني . ولكن نفسي تهشمت وتمزقت ثم تملصت مني فكأنني ممسحة على عتبة أو لعين في بستان. فلكم سمعت الأمهات يروعن بي صغارهن قائلات : «جاءك أصفر الناب» . ولكم شتمت ورجمت وطاردتني الكلاب. حتى الكلاب تكره الشحاذين . أما الآن فأصفر الناب ليس بالشحاذ

وتوقف الشيخ عن الكلام ، ثم انحنى يتلمس الأرض مفتشا عن قاووقه . وإذ وجده وضعه على رأسه وانتفض قائلا :

ـ شحاذ .. شحاذ .. الآن أنت الشحاذ . الآن كل من على الأرض شحاذ ـ إلا أصفر الناب. فهو وحده يجدي ولا يستجدي . هو وحده لا يطلب شيئا من الأرض ولا منّ السماء . هو وحده يدين ولا يستدين . إن لي في ذمة الأحياء والأموات ديونا لا تحصى ولا تعد. ففي هذه المقبرة وكل مقبرة عظام أنكرت حقي علي . وحقي أزهار من اللطف ما شممتها ، وثمار من المحبة ما جنيتها ، وساعات من الأنس ما عرفتها ، وكلمات من نوع «يا أخي» و «يا صديقي» و «يا روحي» ما سمعتها . وحقي أن أستوفي من الناس ـ أحيائهم وأمواتهم ـ أجرا عن الأثقال التي حملونيها طيلة تسعين عاما . وهل أثقل من قولهم «شحاذ» ؟ وهل في جيوب الناس ما يكفي أجرا لمن تحمل ثقل تلك الكلمة تسعين عاما ، وتحمله بعينين لا نور فيهما ؟ »

□

أخذت أتهيب الشيخ وأشعر بشيء من القلق الغريب في حضرته، بعد أن سمعت منه ما سمعت . وكنت أريد أن أتهرب منه لولا شوقي الى الوقوف على سره . فسألته عما عناه بقوله انه الآن وحده يجدي ولا يستجدي . فجاءني جوابه :

« منذ هذا الصباح طرحت كل أثقالي عني اذ انقطعت عن التسول . وبانقطاعي ساعت الناس بكل ما لي في أعناقهم من

ديون ، مثلما سامحت كل ما على الأرض وفي السماء . فأنا الآن خفيف وطليق كالنسيم . وللمرة الاولى في حياتي أحسني انسانا لا شحاذا. وذلك الاحساس وحده يكفر عن كل ما لقيته في حياتي من شظف وصلف واهانة. أتريد ان تعرف كيف تم لي ذلك ؟ »

قلت : « من غير شك » . فسألني للمرة الثانية اذا كنت أؤمن بالله . واذ أجبته بالايجاب تنحنح وقال :

« حي هو الله . وعظيم هو الله. وكريم هو الله . لقد كنت طيلة التسعين عاما التي صرفتها في الشحاذة أطلب الى الله أن يريحني من الكشكول واستجداء الأكف. وكدت أكفر برحمة الله من بعد أن بلغت من الشيخوخة ما بلغت . واذا بعزرائيل يأتيني صباح اليوم في زي هذا الصبي ويعلمني انني مائت عند الظهر . ثم يأخذ بيدي ويقودني الى هذه المقبرة . فانقاد اليه انقياد الطفل لأمه . ويشق علي في بادىء الأمر أن أموت . ولكنني أعود فاقول في نفسي : « انه أول صباح أنهض فيه من نومي فلا أفكر بكشكولي ، ولا أرسم خطة لنهاري أين أذهب فيه ، وممن أستجدي ، وبماذا أرد عني أنياب الكلاب وألسنة الناس . وتتسع الفكرة وتمتد . فلا أكاد أصدق أني أنا أصفر الناب ، وأنني في الساعات المتبقية لي على الأرض لن أكون شحاذا ، ولن أحمل ثقلا ، ولن أهتم بماذا آكل وأشرب وألبس وأين أنام . وتسكرني هذه الحرية تاتيني على حين غرة ولو لساعات معدودات. فلا أطلب أكثر من أن أبوح بنشوتي لانسان من الناس ليعرف الناس أن أصفر الناب ليس بعد شحاذا. ويفهم الصبي ما يجول في خاطري فيأتي بي اليك لتلعن الملأ بلساني: « حي هو الله . وعظيم هو الله . وكريم هو الله. وانسان هو أصفر الناب .. وكم الساعة الآن ؟ »

قلت : « هي الحادية عشرة »

قال : « لقد آن لنا أن نعود . واني لأرجو لك أن تسكر سكرتي فترتاح من كشكولك . وتبسط كفك لا مستجديا بل مجديا. فليس أشفق على الانسان من منة الانسان . وأي الناس لا يحمل كشكولا ولا يشقى بمنة الناس؟»

وشد الشيخ يد الصبي التي في يده ، وانطلق الاثنان الى حيث لا أدري وبدون أن يودعاني بكلمة. ومن بعد أن غابا عني رحت أبكت نفسي لانني ما استفسرت الشيخ بعض الامور المبهمة في حكايته . وأمعنت في التبكيت . فوسوست لي نفسي ــ تشفيا وانتقاما ــ أن الشيخ والغلام ما كانا غير خياليين أنبتتهما لي يد الربيع الساحرة من الرمس الذي كنت جالسا عليه

ميخائيل نعيمة



بقلم الدكتور أمير بقطر

اعتادت الصحف والمجلات ان تنشر فى صفحاتها الاخيرة قصة «يتسلى» بها القراء، اذا ما فرغوا من تصفح سائر الابواب . ولعل فى ذلك اعترافا ضمنيا منها ، بان القصة او الرواية تأتى فى المرتبة الاخيرة من المواد التى تقدمها لقارئيها . وقد اضبحت هذه العادة تقليدا وعرفا،واصبح اكثر الناس يعتقدون ان قراءة القصة تسلية عابرة .. الغرض منها قتل الوقت

ويعزى هذا الاعتقاد الخاطىء ، الى الجهل بالغرض من القراءة عامة ، والجهل بالأسس السيكولوجية لما يسمونه المتعة ، او الترفيه ، أو التسلية خاصة . واذا امعنا النظر فى هذا الامر ، وسلمنا أن القصة قتل للوقت ، كان علينا ان نسلم كذلك أن كل متعة ، أو ترفيه ، أو تسلية ، مضيعة للزمن وقتل للوقت ، وان الاستماع للغناء والموسيقى ، ومشاهدة الصور والتماثيل فى دورالتحف والآثار والفنون الجميلة قتل للوقت ايضا

واذا سلمنا بهذا ، كان لزاما علينا أن نسلم كذلك ، انالهواة الذين يقراون كتب الفلك ، والكهرباء، واللاسلكى، والطيران ، مبسطة لغرض التسلية والمتعة ، انما يقتلون الوقت ويضيعون الزمن سدى

●

والواقع ان الناس فى القرن العشرين ، قد بهرت المادية ابصارهم ، فوجهوا العناية الى كل ما هو « نافع » بالمعنى المادى ، واهملوا ما هو جميل . ولذلك نرى اكثرية ساحقة تقبل على شراء السيارة ، واقلية لا يعتد بها تقبل على شراء « البيان » ، بالرغم من الفرق الشاسع بين ثمن هذه وثمن ذلك

لقد نسى هؤلاء او تناسوا ان الجمال لا يقل نفعا عن الاشياء المادية . كل ما هنالك ان الجمال يغذى الوجدان والعاطفة، كما ان الطعام الجيد يغذى الجسد ، وكما ان العلوم تغذى الذهن . ولم يسلم الغربيون من هذا الخطأ ،

خصوصا فى امريكا وشمالي أوربا ، فوازنوا بين النفعية والجمال utility beauty ، كان الواحـد ينافس الآخر ، وكاننـا احوج الى الاول منا الى الثانى ، فى حـين ان كلا منهما مكمل للآخر ، وانهمـا فى اكثر الاحايين يمتزجان ويتلاقيان، فلا نكاد نفرق بينهما . مثال ذلك ان السيارة تتوافر فيها النفعية باكمل معانيها ، ولـكن لعمرى ، ما بالنا نراها كالغـادة الحسناء ، تكادتنافسهاجمالاورونقا ورشاقة؟ وما بالنا نرى الرجال تقع انظارهم على وجه كالقمر يطل من نافذة « كادلاك » او « باكار » ، فتلهيهم رشاقة الحديد عن ضوء القمر ؟

ان القراءة لمجرد المتعة ليست قتلا للوقت .. انها فن كسائر الفنـون ، يتطلب مرانا وتدريبا . وسواء أسعينا الى المتعةفي القصة، ام فى الموسيقى ، ام فى السينما ، ام فى السياحة ، فاننا نحاول ان ننتفع باوقات الفراغ ، الى اقصى حد مستطاع . وليست القصة، او المتعـة أيا كانت ، مضيعـة للزمن .. ولكن الجهل باصولها هو الذى يضيع الانتفاع بها

لقد كان طلب العيش الى عهد قريب شاقا مضنيا ، يستغرق من اغلبية الناس كل اليوم،سبعة ايام فى الاسبوع . اما الآن ، وقد انتشرت الآلات ، ونهضت نقابات العمال ، واعتدلت كفتـا الميزان بين راس المـال والعمل ، فقـد طالت اوقات الفراغ ، واصبحت سـاعات العمـل الاسبوعيـة لا تتجاوز الاربعين لاكثر الناس . ومعنى هذا ان الحاجة الى المتعة والتسلية ، والترفيه ، اصبحت كالحاجة الى العمل او تزيد . واصبح المران على الانتفاع بهذه المتعـة او اوقات الفـراغ لازما كالمران على العمل

فلا عجب اذا رأينـا المطـابع تخرج لنـا تباعا مؤلفات لا حصر لها ، فى موضوعات تعالج اوقات الفـراغ . ولا عجب اذا رأينـا معاهـد التعليم على اختـلاف مراحلها،تدرس هذه الموضوعات، كما تدرس سائر المواد .. ومما استرعى انظار كاتب هذهالسطور اخيرا،تقريرنشرته هيئة جامعية، عددت فيه اكثر من ثلاثمائة ناحية من نواحى النشاط، خارج قاعات الدرس ، وبينها القصة والرواية، وكيفية الاستمتاع بهماوالانتفاع بمحتوياتهما لغة ، وفنا ، وادبا ، وثقافة ، ومثلا عليا

ومما يدل على ان فى القصـة اشباعا لميل طبيعى فى الانسان ، ان الاطفال منـذ نعومة اظفارهم يطالبون بها . ومن العادات المألوفة الآن ، الا ينام الطفـل قبـل ان تشيعه امه ، او مربيته ، اوابوه، بقصة وهو مستلق فى سريره ، فى ملابس النوم

ويشاهدالمترددون على المكتبات العـامة فى بلاد الغـرب ، الوف الاطفال من جميع المدارس الابتدائية يوميا، يؤمون حجرات المطالعة فى فترات دورية،تصحبهم معلماتهم . وهناك تخصص ادارات المكتبات لكل فريق منهم معلمة قصاصة ،

عذبة الصوت،موسيقية النبرات، جيلة المنظر . تقف على منصة عالية ، وتروى لهم قصة جيلة ، يطرب لها الصغار ، ثم تذكر لهم مصدرها، وتشير الى الرف الذى توجد فيه ، فيهرع اليه الاطفال، ويتسابقون الى الاطلاع على عشرات النسخ التى توجد بها القصة. وتحاول ادارات المكتبات ان تجعل الجو مشوقا بكافة الطرق ، كأن توقد الشموع فى ايام الاعياد ، وتزين حجر المطالعة بالزهور،وتوزع اللعب والحلوى. وغرضها من ذلك تدريب الاطفال على المطالعة وتحبيبهم فى الكتب عن طريق القصة

وهناك دليل آخر على ان فى القصة اشباعا لميل طبيعي فى الصغار والكبار على السواء . ذلك ان القراء الذين يترددون على المكتبات العامة ، اشد اقبالا على القصص والروايات ، منهـا على اى نوع آخر من الكتب . وقد اتضح من الاحصاءات ان اكثر الكتب عرضة للضياع والسرقة فى هذه المكتبات،القصص والروايات،كما ان نسبةمايستعار منها فى الخارج ، او ما يقرأ منها فى حجرات المطالعة ، يفوق كل ما عداها من الكتب

ولما كانت القصص والروايات أهم ما يقبل عليه الطلاب ، فقد حرمت بعض المدارس الثانوية الامريكية على بعض طلابها أن يستعيروا فى الخارج اكثر من رواية واحدة ، فى الاسبوع ، أو كتاب قصصى

وهناك أوقات ومناسبات تكون القصة فيها اصلح انواع القراءات واشدها ملاءمة لمقتضيات الاحوال . فالاسفار الطويلة على ظهور البواخر،وفى قطرات السكك الحديدية ، وعلى متن الطائرات ، قلما يميل فيها المسافر الى التعمق فى كتب علمية غزيرة المادة ثقيلة الظل . والحزين، والمريض الناقه، والمستجم فى مشتى من المشاتى، او مصيف من المصايف ، قلما يؤثر اى نوع من الكتب على القصة أو الرواية القصيرة . وسواء أكان القارىء فى زمهرير البرد فى جبال سويسرا ، ام فى شهور القيظ فى جبال الألب أم التيرول ، ام فى شواطىء الاسكندرية ، ام رأس البر ، أم ليدو ، ام بيارتز ، ام دوفيل ، فانه قلما يستغنى عن القصة ، أو يريد أن يستعيض عن الرواية بديلا

فى القصة ترويح للنفس من عناء الاعمال ، وتعزية الحزين لاتفوقها تعزية ، اللهم الا الكتب المقدسة ، لمن تجنح طبائعهم الى الاتجاهات الدينية ، والتحليق فى عالم الخيال فرارا من قسوة الحقيقة ، وبطش الواقع ، واعادة لذكريات جيلة مضت ، وغراميات حلوة ولت .

وفيها دروس وعظات، وصور من الحياة ، وفيها شعر منثور ، ونثر منظوم ، وفن وجمال ، وأمان وآمال. وفيها الوان متناقضة من الخلق والصفات،واشكال متباينة من عاديات الدهر وحوادث الأيام، تمثل لنا دنيا الواقع على مسرح الخيال

على أن القصة كالخمر والمخدرات ، كثيرا ما تستهوى النفوس فتستعبدها ، وتستأثر بأصحابها فيستضعفون ، وتمتلك ألبابهم فيجبنون . ومما يؤسف له ان أمثال هؤلاء ـ الذين يقعون فى فخاخها ـ كثيرون

وقراء القصة من هذا النوع ، متيمون ، عشاق ، ولكنهم مرضى ينبغي ان يرثي لحالهم .. اذ قلما يتصفحون فى جريدة او مجلة سوى القصة ، وقلما يستعيرون من المكتبات غير الرواية ، وقلما يشترون كتابا علميا او ادبيا ، لان كل غرضهم من القراءة تخدير اعصابهم ، والهرب من الواقع ، والالتجاء الى الاحلام

هؤلاء العشاق ، المتيمون فى القصة ، كالسكارى ومدمنى المخدرات ، قلما يفيقون .. يأوون الى فراشهم والقصة بين أيديهم ، لا تكاد توشك على النهاية حتى يبدأوا سواها ، فلا ينقذهم منها سوى تغلب النعاس عليهم فى الهزيع الاخير من الليل

وكل من هؤلاء قصة فى ذاته ، ودراسة تحليلية بديعة . فاذا اتيح لك تنويمه تنويما مغناطيسيا ، فتح لك مكنونات باطنه ، وفضح لك أسراره ، وكشف لك عن رغباته المكبوتة ، التى يحاول عقله اللاواعي ان يشبعها عن طريق القصة ، ويسرد لك متاعبه ومآسيه التى تنغص حياته ، فيحاول الفرار منها ، لاجئا الى حوادث الرواية

وانا لنظلم هؤلاء « المدمنين » اذا قلنا انهم يقتلون الوقت ، ويضيعون الزمن سدى فى قراءة الروايات والقصص . ان لكل منهم مشكلا يحاول التغلب عليه ، ولغزا يحاول حله . فاما أن يكون هذا المشكل رغبة ملحة ، وشهوة جامحة ، تستولى على لبه ، وتسيطر على جوارحه ، فلا يجد تحقيقها فى عالم الحقيقة والواقع ، واما ان يكون مخاوف وهواجس تطارده ، وتضيق عليه الخناق ، فتسابق ساقاه الرياح الى حيث الطمانينة والامان . وفى كلتا الحالتين يهتدى الى ضالته المنشودة ، فى تلك البردة الدافئة العطوف ، التى نسج الروائى لحمتها وسدتها

ان كلا من هؤلاء ينقصه عنصر هام ، من العناصر التى يعتقد انها من مقومات الشخصية ، ومن مكملات السعادة واكبر عواملها . ولا يجد امامه الا الانطواء على نفسه ، وانتظار الفرج تهبط به عليه ملائكة من علياء الخيال . وقد اشفقت الطبيعة ـ تلك الام الرءوم ـ على بنى الانسان فجعلت لهم من احلام الليل ، واحلام اليقظة ، ملجأ أمينا يلقون فيه متاعبهم وآلامهم ومخاوفهم ، ويشبعون بوساطته رغباتهم وشهواتهم . ولكنهم لم يقنعوا بذلك ، فعمدوا الى الخمور يحتسونها ، والمساحيق المخدرة يستنشقونها ، والقصص والروايات وافلام السينما يعيشون فى خيالها

أمير بقطر


« ومضى بعد أيام الى دير القديس
ميخائيل الصحراوى . . فكان
ذلك آخر عهـده بدنيانا »

الدير المهجور

للقصصي الفرنسي بول بورجيه

« المدينة لى سجن ، والصحراء جنة .. من الصومعة الى السماء .. أعطيت المتعبين جسمي ليأكلوه ، والمحزونين دمي ليشربوه .. الهي اصغ الى دموعي .. ! »

قالت وهي ترفع كأسها :

ـ هيه ! ألا ترى هذا الكوكتيل جديرا باسمه « أى حياة ! » .

ـ ان طريقتنا في ازجاء مثل هذا المساء على شاطىء « الكوت دازور » هي التي تستحق هذا الاسم يابنيتي ! لكأني بنا عند سفح الجبل ، نشهد احتضار الشمس على البحر ! ولكنك شئت أن تستعيض عن ذلك بالجلوس في بهو هذا الفندق ، نتجرع هذا الكحول المسموم ونرقب الانجليز والأمريكان وهم يرقصون على نغمات الجاز بند ! لقد جئت من « كان » وانا أمني النفس بقصة عاطفية جميلة ! وكنت أحسبك عازمة على أن تصلحي حياتك التي حطمتها الحرب ، وما ظننت أنك تشغلين وحدة ترملك بموائد الشاي وحفلات المسرح وأبهاء الرقص !

ـ أعطني لفيفة من لفائفي المصرية ، واشعل لى ! ما أمتع هذا التبغ المصرى وما أحلى شذاه ! ألا تحس أننا على سفينة مسافرة الى الهند ؟ في هذا البهو مائة شخص ليس بينهم الا فرنسي وفرنسية : أنت وأنا .

ـ وكان خيرا لهما لو ذهبا الى مكان آخر . لقد كانت السحب وردية منذ قليل ، حين فتح لى الخادم باب هذا الخان المختلط ، وكان صوت البحر لطيفا ، ناعما

ـ وهذه الأصوات نفسها هي ما لا أبغي سماعه ، وهذه الآفاق نفسها هي ما لا أود أن أرى .. لقد كان تأثرى بهذه الأشياء فيما مضى اسرافا وشططا .. الام يؤدى بنا ذلك ؟ الى أن نحلم ، وأن ننخدع !

ـ الا تغفرين لروبير أبدا ؟

ـ بلى .. أغفر له ولو من أجل موته ، ولكن حين تعلم المرأة أن

البطل الذي أحبته وأعجبت به من أعماق قلبها ، لم يكن زوجا وفيا، فذلك يدفعها الى شيء من الشك٠ دعنا من ذلك ، لماذا تلمس جروحا قديمة ؟ ألا ترى هذين المقتربين؟ هما زوجان ٠٠ أعني أن كليهما متزوج ، أما زوجها ففي جبل طارق ، وأما زوجته فمقيمة في لندن ٠٠ أو ما زلت تنعى على ريبتي ؟

ــ هذا ما كنت أفكر فيه٠ أراك خدعت خداعا قاسيا ، وجرحت جرحا أليما ، وانك لتخشين الحب

ــ وهل الام على ذلك بعدما جربت ، وما سمعت ، وما رأيت؟ وأنت ؟ أتؤمن حقا بذلك الحب ، أعني الحب الحقيقي؟ لقد تنقل بك عملك الدبلوماسي من سنت بطرسبرج الى لندن ، ومن روما الى نيويورك ، ومن مدريد الى طوكيو،فهل صادفت مرة واحدة، تلك العاطفة المفردة العميقة المستبدة ، التي تستحوذ على الكائن كله طول حياته ؟ ان هذا هو الحب الحقيقي

ــ لقد تحدثت عن العمق ، فاذكري اذن أن الشيء العميق لا يرى ، وأن أصدق ما فينا لا نظهره ، انهذه العواطف التي ذكرتها كنوز الأرض ،وأستطيع أن أروى لك قصصا كثيرة ، قد تحسبينها خيالا ، ولكن قصة واحدة منها ، أعرفها كلها ، وأنت تعرفين بطلتها ، ولهذا أستأذنك في أن أسميها « مدام س »

لا أستطيع أن أحدثك عنها بكل ما لدي

ــ أهي اذن صديقة لي ؟

ــ لا ، وليست من جيلك

ــ أهي من جيلك أنت ؟

ــ نعم

ــ والبطل ؟ أكان هذا الدبلوماسي الذي سيعطيني لفيفة أخرى ؟

ــ بل صديق من أصدقاء الطفولة والمدرسة ، وكان ضابطا بحريا ؟

ــ الفتى الأول ضابط بحري؟ انها قصة قديمة !

ــ والحياة قصة قديمة، والموت قصة قديمة،والحرب قصة قديمة٠ هل يستغرب من بحار مرهف الحس أن يزداد وجدانه اشتعالا؟ كل ما حوله يفسر ذلك : البحار الموحشة ، والأخطار الدائمة ، والفراق الطويل

□

كان صديقي هذا يدعى«ليو نار» وقد بدأت القصة غير بعيد من هنا ، في طولون ، حيث كان ضابطا في مدرعة لا أذكر لك اسمها ، وكان ذلك منذ أكثر من ثلاثين عاما ٠ وكنت قد عينت أمينا في سفارة روما ، فاخترت أطول طريق لرحلتي ، كي أمضي مع رفيق الصبا يوما أو يومين ، وما كدت ألقاه على رصيف المحطة حتى أحسست أن حادثا هاما عر بحياته ، فقد كان وجهه ــ الذي ألفته جادا شبه مغلق ــ يشرق ويتألق ٠ وكانت عيناه تضيئهما

شعلة متوقدة • ان « ليونار » المتحفظ النفور من النساء قد شغفه الحب ، وما كنت لأجرؤ على سؤاله لولا حادثة اتفق وقوعها اذ ذاك • دعيت لحضور حفل راقص على ظهر مدرعته ، وحمل الخادم حقيبتي الى قمرة « ليونار » لأغير ملابسي • وهناك رأيت على المنضدة ألبوما مليئا برسومه الحديثة – اذ كان ذا موهبة بديعة في الرسم بالألوان المائية ، وبالزيت أيضا – وبدا لي أن أتشاغل في فترة انتظاري لصاحبي ، بتصفح رسومه تلك ، فرأيت وجها نسويا مرسوما في أوضاع عديدة شتى • كانت جميلة ، وكان في جمالها شذوذ يأسر ، وفي عينيها لهفة تنم عن روح متطلعة باحثة ، ظامئة لا ترتوي ، أما شفتاها فقد كان فيهما حسية تكمل ما لمحياها النضير من فتنة مقلقة • وبينما كنت منصرفا الى تأمل هذه الرسوم ، دخل علي « ليونار » ، وفاجأني بقوله : « ستراها الليلة ، انها آنسة تدعى •• » وأضاف : « ما رأيك فيها؟ » • قلت : « انها بارعة الحسن ، لكني ما كنت أحسبها فتاة » • فسأل في حرارة نمت عن حاله : « ولم ؟ » • أجبت : « لست أدري •• ان في محياها نضجا وارادة • أما وقد أخبرتني أنها فتاة ، فاني أراها انسانة رائعة الشباب ، تقبل على حياتها المجهولة في توثب واندفاع » • فردد هو : « أجل ، في توثب واندفاع » • وسرت في صوته رعشة منعتني أن أمضي في الحديث ، واشتد تطلعي حين أخذ المدعوون يفدون و « ليونار » يستقبلهم ويرحب بهم مع زملائه الضباط ، وكانت عصبية ظاهرة في حركات رأسه ، اذ كان يدور دائما الى الناحية التي يقدم منها القادمون • وجاءت « فتاة الألبوم » متأخرة ، فخيل الى أنها لا تشاركه ما بعثته فيه من شعور • ورأيتها أجمل مما أظهرته لي رسومها • ولئن كانت عيناها الزرقاوان تبحثان عن أحد بين الجمع المحتشد على ظهر السفينة ، فان هذا الأحد لم يكن « ليونار » • وسرعان ما لحظت أنها تمنى أشد العناية بفتى وسيم الوجه لا يرتدي حلة عسكرية • وعلمت أنه ابن أحد كبار الملاك في الاقليم ، ولا عمل له الا التنقل بين « الكوت دازور » في الشتاء و « باريس » في الربيع والخريف و « دوفيل » في الصيف ، فارغا لاهيا

– دعني أتم لك القصة ! كان هذا الفتى الجميل يدعى « المسيو س » وقد تزوجته الفتاة ، أما « ليونار » فلم يعلن حبه ، بل انطوى على جرحه ولم يتزوج قط • وقد أصبح نائب أمير البحر في مكان ما على الشاطىء ، ثم اعتزل الخدمة • وقد مررت على ضيعته في طريقك ، وقال لك انه لم يزل يحب « مدام س »

أعطني لفيفة أخرى ، ودعنا نكتشف أحابيل هؤلاء السيدات الفضليات ، اللائي يدرن أمامنا بين الأذرع ، فان لهن قصصا أقل

تفاهة من قصة صاحبك وليلاه !

ـ أترين هـذه العاطفة التى شغلت حياة بأسرها تافهة ؟

ان هذه القصة أبعد شيء عما تخيلته . والآن دعيني أروى لك البقية . لقد كنت اذ ذاك ـ كما أنت الآن ـ سيء الظن بهـذه العواطف، ولكني رأيت من صاحبى وسمعت . ما لست أنساه . عدت الى روما صـبيحة تلك الحفلة ، وتلقيت بعد أيام برقية منه ينبئنى فيها بأنه مسـافر الى الصين ، فحدست أنه خطب الفتاة وردت خطبته، وكتبت اليه أسأله فأجاب ببضعة أسطر أكدت ظنى ، ولم يمض زمن طويل حتى قرأت فى احدى الصحف نبأ زواج الفتـاة من ذلك الفتى التافه الذى آثرته على « ليونار »

والتقيت بصاحبى بعد ثلاثة أعوام كاملة ، اذ كانت سفينته تطوف بسواحل امريكا الجنوبية حيث كنت أعمل فى « ريو دى جانيرو » ، فسألته ونحن نتنزه عـلى ظهرها : « كنت أعلم أنك ستنساها » ، فتغير وجهه وحدق فى بنظرة تأنيب :

ـ انها الآن أرملة ، وسأعود الى فرنسا بعد ستة أسـابيع ، وحسبك دليلا على نسيانى لهـا أنى سأطلب يدها ، ولعلى أبلغك فى أول خطاب أرسله اليك من أوربا أنها قبلت هذه المرة . »

وكان على شفتى كلمتان لم انطق بهما : أما الأولى فاعتذار عن شكى فى اخلاصه ، وأما الثانية فدهشة وتعجب . لقد أساءت اليه هـذه المرأة، أفيبلغ من حبه لها أن يقرر بملء ارادته أن يتزوجها أرملة ، بعد أن رفضته فتاة ؟ ولم أكن لأشك فى أن « مدام س » لن تتأثر بهذا الاخلاص ، وأن ذلك الخطاب الموعود لن يحمل الى نبأ الخطبة المنتظرة

□

وصـدقت الأيام ظنى ، لم يأتنى ذلك الخطـاب ، وأتتـنى عوضـا عنه ، حاشية فى ذيل خطاب آخر من صديق لكلينا ، أنبأنى فيها بما أذهـلنى : ان « ليونار » قد استعفى من عمله ، وترهب فى دير القديس ميخائيل الصحراوى، على مقربة من طولون، فى قلب جبال الموز

ـ الا ترى معى أن السيدة كانت محقة فى رفض ذلك المخبول؟ وكم يوما قضى فى ذلك الدير ؟ شهرا؟ شهرين؟ ثلاثة أشهر ؟

ـ أحد عشر عاما ، ومات قبل أن تستولى الحكومة على الدير ، ولولا ذلك لطرد منه

ـ انى أراه متصوفا لا عاشقا. فلو كان عاشقا لألح على «السيدة س» حتى غزاها ، ولرأته فى كل مكان : فى المسرح ، والمرقص ، والمطعم . انى أذكر أغنية قديمة كنت أسـمعها وأنا طفلة ، من حوذى أبى :

« فى كل امرأة وتر حسـاس .. يعـرف المحب الذكى ، كيف يغمزه . »

ــ ولكن دعيني أتم القصـــة ، فقد روت لى « مدام س » نفسها بقية المأســـاة ، وانى لأرى فى حرصها على أن تبدى حقيقة قلبها لرجل حدثها عنه « ليونار » كثيرا كأخ ، دليلا من أدلة كثيرة ، على كذب الأسـطورة التى تقول ان الحب أعمى · انه عـلى العكس ، بصـير فطن ، فالمحب يرى فى محبوبته خلف الأخطـاء والآثام الظاهرة،جوهرا مخبوءا فى طبيعة ذلك المحبوب التى يحملها على غير وعى منه

□

لم تعش «مدام س» مع زوجها الا ثلاثة أعوام ، وقد منيت منـذ الساعة الأولى فيهـا بخيبة أمل قاسية، اذ ثبت لها أن زوجها كان مرهقا بالديون،فادعى أنه يحبها، ليسوى ــ بثروتها ــ مركزه المالى المنهار ، وأبقى مع ذلك على علاقة ترجع الى عدة سنوات،فاشمأزت نفسها ، وانحلت عرى قلبهـا ، وتطوحت فى مهاوى الحيــاة الاجتماعية لتخمد احساسها · هنالك اجتذبتها النصائح السيئة، والقدوة الخبيثة،والبيئة الفاسدة، فاتخـــذت لها عشيقا ، حتى رد عليها حريتها موت زوجها المفاجىء، الذى اختطفته نزلة صدرية حادة· وظهر لها « ليونار » من جـديد وعرض عليها ثانية قلبه واسمه وحياته ، فلم تطق أن تكذب على من أبدى لها هذا التقدير وذلك الحب ، فاعـترفت له بخطيئتهـا ورأته يمضى عنها يائسا،ثم يعود بعد أربع وعشرين سـاعة ليقول لها : « لقد زللت لأنك لم تكونى سعيدة · هل انتهى ما بين هذا الرجل وبينك ؟»·قالت : «أجل» وكانت صادقة فيما قالت ، فقد مس شغاف قلبها ما بين أنانيـة العشيق ، وكرم « ليونار » من بون بعيـد · لكنهـا ترددت فى القبول ، وكـان فى ترددها شىء من الأنفة ، وان كان ــ فى صميمه ــ خوفا من تلك العاطفة العنيفة العميقة·وسألته مهلة ثمانية أيام لتفكر ، وفى أثنـــاء ذلك زارها عشيقها ولم يزل بها حتى سكر عقلها واستسلمت له مرة أخرى· فلما عاد « ليـونار » خجلت أن تكذب عليه ، ورأته يشحب أمام هذا الاعتراف الجديد حتى خالته سيهوى أمامها ميتا · ووضـع أصابعه على عينيه كأنه يريد أن يمسك دمعا كاد ينفجر ، ثم ذهب الى الباب دون ملام ولا شكاة ، وهو يقول لها : « لقد صارحتنى بالحقيقة فشكرا لك··» وأضاف: « وداعا » · ولم يزد

ومضى بعد أيام الى دير القديس ميخائيل الصحراوى··فكان ذلك آخر عهده بدنيانا

ــ لقد زرت هذا الدير المهجور حين كنت أقضى الشتاء فى «هيير» وقدم الينا البواب شرابا مما كان يصنعه الرهبان

ــ ان هــذا البواب كان من الاخوة،وقد أقيم حارسا على الدير بعـد اخلائه · ألم يصحبكم الى صومعة الضابط البحرى ؟ انه قلما يغفل ذلك

ـ لقـــد كان مرورنا خاطفا ، ولكني ما زلت أذكر ذلك الدير . انه أشبه بمزرعة كبيرة في واد تحف به اشجار السنديان، فوقها اللبلاب المتسلق

ـ قد رأيته اذن! فتخيل سيارة « ليموزين » محملة بالحقائب تقف بباب هذا الدير ، في عصر يوم من أيام الشتاء الباردة ، منذ عشر سنين ، وتنزل منها سيدة كاد شبابها يدبر ، ولكن أناقة زيها السفري ، وطلاء شفتيها البهي ، وتطرية وجهها المتقنة ، وخلاعة حذائها العجيب ، وهيف قوامها الذي حفظ جماله التدليك ٠٠ كل هاتيك ، كانت تدل على أنها لم تستسلم ٠ وكانت تصحبهــا وصيفة أمرتها بان تبقى في العربة، لأنهـا تريد أن تستوحــد في زيارتها٠ وأحسبك عرفت أن هذه السيدة المسافرة كانت « مدام س» ٠٠ انها لم تحب قط ذلك الذي ختم حياته من أجلها في هذا الدير، وهل تراها تدرى أن ذلك مــن أجلها ؟ ان ترهب وليونار فجاة بعد خطبته الثانية لها ، كان يحير عقلها دائما، ويحزن قلبها احيانا، ولكنها لم تشعر قط بندم ٠ لقد هجــرها ذلك العشيق الأول ، واستعاضت عنــه بثان وثالث ، وكان الناس بأمرها عالمين ، فلها مكانة بين غواني باريس ، اللاتي يطريهن النـــاس ويلمزونهن ، ويغدقون عليهن ويستهينون بهن، واللاتي يشهدن بانتظام كل حفلات الطبقــات الراقيـــة ، خــلوبات محسودات ، جسورات ناعسات ، وان كانت لبعضهن قلوب ٠ وهذه ـ وان تبذلت ـ كان لهـا قلب ، وكانت نظرتها القلقة العميقة تنم بذلك ٠ لقد كانت تبحث في تنقلها من علاقة الى علاقة ، عــن عاطفة تروغ منها أبدا ، وحب لا يزال يفر من لقائها ٠ او قولى انها لقيت ذلك الحب دون أن تشارك فيه بل دون أن تشــعر به ، وقد جاءت لتعلمه وتفهمه في ذلك الدير الذى دقت جرسه ، يدفعها تطلع لعلها لم تعهده من قبل الا متبوعا بالم في الصباح

وكانت قد قضت ليلتها السابقة في « اكس » وهي في طريقها الى « نيس » لتلقى عشيقها الجديد ، وهو فتى في مستهل الشباب ، تشبثت به بعــاطفة الخمس والأربعين، التى تعرفها من أولئك النسوة اللائى لا يحسن الهرم ٠ وبينما كانت تتــغدى ، فتحت صحيفة لتبحث عن النهر المخصص « للريفيرا » فقرات وصفا لحفلة تنكرية جاء فيــه ذكر عشيقها ، وامرأة شابة ، كانت تغار منها، وكثيرا ما تشاجرت مع عشيقها من أجلها ٠ وعذبتها الأفكار الهوج وهي راكبة سيارتها لتسرع الى ذلك العاق ، شبه محمومة ، واذا باسم « الدير » يثب أمامها على خريطة الطريق، واذا بفكرة شاذة مفاجئة تخطر لها ، فتأمر سائقها أن يتجه الى « دير القديس ميخائيل الصحراوى » ٠ وكان صوتها غريبا على مسمعها هي نفسهـــا ، وهي تنطق بهذه المقاطع التى تمثــل عندها ماضيا بعيدا منسيا

ودقت الجرس، ففتح لها الحارس باب الدير ، واخذ يسير بها فى الدهاليز الموحشة من ذلك البناء المقفر . وقرأت على لافتة معلقة على عمود زاوية :

« تكلم بصوت خفيض، احتراما للرهبان الراقدين فى هذا المدفن»

وبصوت خفيض سألت: «وأين المقابر ؟ » .فأجاب الحارس : « ألا ترين هذه الربوات الصغيرة ؟ ان الآباء يرقدون هناك» .وكانت تغطى تلك الربوات أعشاب برية وتطير على الزهور المنتشرة فيها، فراشات قليلة تخلفت عن الصيف . وكانت شجرتان سامقتان من أشجار السرو، تشيران الى السماء عند ذلك المربع الحزين الذى زادته كآبة، كومة من الصلبان الخشبية مقتلعة وموضوعة بحذاء السور . قال الدليل وهو يشير اليها : « انها متشابهة كالقبور نفسها ، وخشبها يبلى من المطر ، وريح الشمال تكسرها ، لهذا صففتها هناك . لقد كان على كل واحد منها اسم الميت » . وأضاف فى سذاجة لولا حرارتها لبعثت الابتسام :

ـ وما حاجة المولى الى أسماء ؟ انه سيعرفهم جميعا حين يبعثهم ليوم القيامة

سألت الزائرة : «الى أى وقت ظل الرهبان يدفنون هنا؟» .فأجاب الشيخ : « الى أن طردوا من الدير » . ثم أضاف هذه الكلمات التى ارتجفت لها : « وكان آخر من رقدوا هنا ، ضابطا بحريا

انظرى .. ها هو ذا ، فى ذلك الركن » . وكأنما خالجها شك فى شخصية هذا الميت ، فسألت : «هل عاش فى هذا الدير طويلا؟» أجاب الدليل : « عشر سنين » . فمضت فى سؤالها : « وهل كان مسنا ؟ » .قال : «أربعون أو خمس وأربعون سنة ... أتحبين أن ترى صومعته ؟ انها أجملها لما فيها من رسوم .. انها هناك فى أقصى الدهليز »

ومضى ومضى على أثره ، يمران بصوامع الرهبان ، وكان على كل باب لوحة كتب عليها كتابة ، أكثرها باللاتينية ، ورأى الدليل زائرته تنظر الى تلك الشعائر ، فأخذ يترجمها لها واحدة بعد واحدة بنبرات مترنمة . ورنت تلك الحكم فى سكون الدير كأنها أصوات تصعد من المدفن المجاور، مرددة أفكار من كانوا سكان ذلك الدير :

« المدينة لى سجن ، والصحراء جنة ... »

« من الصومعة الى السماء .. »

« أعطيت المتعبين جسمى ليأكلوه ، والمحزونين دمى ليشربوه »

« الهى ، أصغ الى دموعى .. »

« قلوبنا قلقة يا الله ، حتى تطمئن اليك ... »

ما كان أعجب وقع هذه الأقوال الصوفية فى مسمع الغانية الباريسية !!

وقال لها الشيخ : « ها قد

وصلنا الى صومعة البحار» وكان على الباب كتابة أيضا ، ولكن بالفرنسية :

« فكرت فيك في عذابي ، وسكبت لأجلك دمي قطرة قطرة

« أنا أوفى لك ممن عرفت وقربت ، لأني صنعت من أجلك أكثر مما صنعوا ، ولأنهم لم يتعذبوا فيك كما تعذبت ، ولن يموتوا من أجلك في زمان غدرك وقسوتك ٠٠ »

□

كان لهاتين العبارتين ، المقتبستين من « بسكال » معنى في نفس الغانية ، زلزلها زلزالا ، ومضى الدليل يقول في اعزاز المتدين :

« هذه الصوامع كلها سواء : انها بيوت صغيرة فيها حجرات كثيرة ٠ فهذه حجرة النوم ، لقد مات على هذا السرير ٠٠ وهذه حجرة الطعام ، وتلك حجرة التأمل ومكان السجود ، والصليب ٠ آه ! ان عليه بعض التراب ٠ أنا هنا وحدي ، واأسفاه ! ٠٠ اعطي هذا السلم الآن ٠ رفقا ، فالدرج يهتز قليلا ٠ هذا هو المحترف ٠ لقد كان الآباء كلهم يشتغلون بأيديهم ، وكان الأخ الضابط من الحذاق ٠ انظري الى جنته هذه الصغيرة ! هذا التمثال الخشبي تمثال المصلي ٠ ثم هذه السارية الصغيرة ، لقد كانت تذكره بهنته ٠ والآن التفتي ، فهذه طرفة الطرائف ، أعجوبة الفن ٠٠ » وكان ثم معزل مبني من الحجر ، وعلى جدرانه رسوم ثلاثة ملونة : أحدها يصور امرأة راكعة عند قدمي المسيح ، تمسحهما بغدائرها المرسلة

قال الدليل : « ولعلك عرفتها ٠٠ انها القديسة مدلين ، وفي هذه الناحية ترين المخلص وقد تجلى لها ، وعلى ذلك الجدار الثالث ، ترينها ذاهبة الى القرية فيزورقها ، الا يحسبها المرء حية نابضة ؟ » ٠ ثم أردف وقد نظر الى الزائرة ليلتمس أمارات الاعجاب على وجهها : « هذا غريب ٠ انها تشبهك ! » ٠ وكان هذا في الحقيقة ، رسمها وهي بنت العشرين ، نظرت اليه المرأة المكتهلة لتتأمل في تلك الوجوه الثلاثة للخاطئة التائبة ، وجهها البيضاوي آنذاك وفمها الغض ، وشعرها الناعم ، وقوامها الأهيف وعينيها بثباتهما المتلهف ٠ أجل ، لقد كانت اياها ! وقد بثت فيها عواطف تختلف كل الاختلاف عما عرفته الى ذلك الحين ! فمن رآها ، زعم أن الرسام حدس أنها ستبتئس يوما ، فأضفى عليها وهي عند قدمي المخلص ، حزنا هادئا ، وأملا ينبعث من أعماق الفؤاد ، وملأ انساني عينيها — وقد تجلى لها المسيح — بحب أي حب ! وهو الذي لم ير منهما غير القساوة ٠ وكانت مناظر البحر والسماء والصخور ، حول الزورق ، يضيئها اشعاع من القديسة ، كأنها هي التي جعلت لذلك الأفق معنى جماله ٠ وكان تحت الرسوم الثلاثة كتابة بحروف كبيرة ،

مقتبسة من نص للقديس أوغسطين عن المرأة الخاطئة :

« لقد بقيا وحيدين : الخاطئة والمخلص ، الشقاء الاكبر والرحمة الكبرى . »

ــ فهل تتخيلين ما جال بنفس تلك المرأة، وهى ترى ذلك الحائط فى أقصى الدير المهجور ، دليلا باهرا مفاجئا ، على عاطفة صاحب الصومعة نحوها ؟ لقد رأت أمامها كل صلواته التى صلاها من أجلها عشر سنين ، ليخلص روحها بايمانه المسيحى فى التوبة، فماذا ترين فى هذه العاطفة وصاحبها ؟

ــ لست بحاجة الى أن أجيبك .. لقد تركت لفيفتى تنطفىء . انها لقصة جميلة ، ولكنها على جمالها محزنة . وماذا أثمرت من خير ؟

ــ أثمرت ما أراده المحب . فللنفس هزات تبلغ أعمق أعماقها . وقد أحست « مدام س » احدى هذه الهزات حين رأت ذلك الحب الذى بلغ مرتبة الاستشهاد، وهى التى بعثته ثم أنكرته

ولم تلبث فى الدير غير ساعة، لكنها خرجت منه امرأة أخرى ، فابتعدت عن «نيس» وعن عشيقها الفتى، وعن حياتها السابقة كلها،

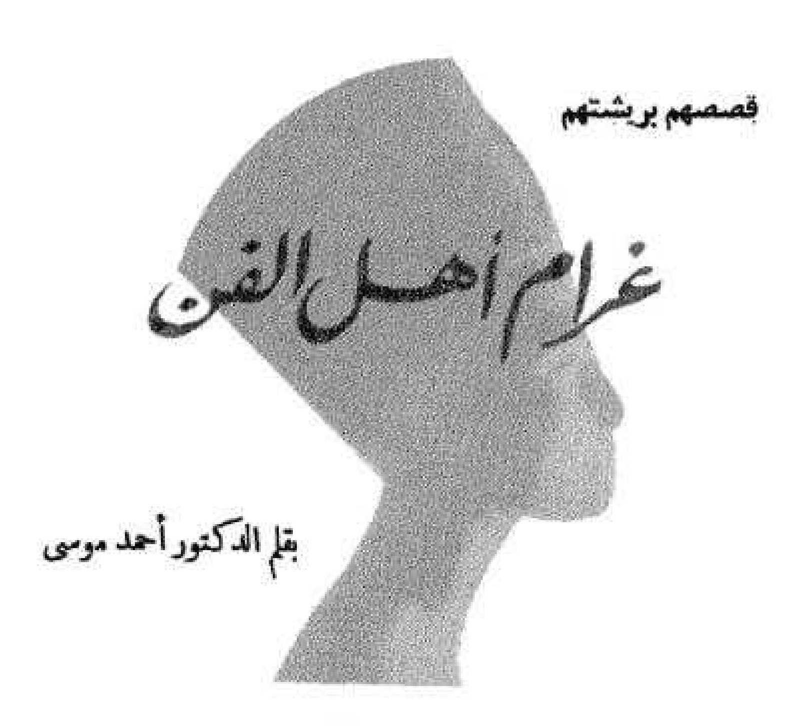
وقد أحست فزعا مفاجئا من ذلك كله، وعادت من غدها الى باريس . ولست بحاجة الى أن أذكر لك ما أثاره اختفاؤها عن الأوساط الراقية من ملاحظات ، فقد قال أصدقاؤها حين رفضت كل دعوة، وحبست نفسها فى دارها : « ان ذلك لن يدوم » . ولكنهم كانوا مخطئين ، فقد دام سنين . ولو ذهبت ذات صباح الى «مستشفى كلفير » فى حى جرينل لرأيتها هنالك بين المرضات ، منصرفة الى ذلك العمل الخيرى الشاق . ولكن ... ماذا بك ؟

ــ بى أننى غاضبة لأنى أنصت لك . هذا الرقص السخيف كان يسلينى، أما الآن فلا أحتمله . انك تجبرنى على أن أعود من غدى الى دير القديس ميخائيل الصحراوى، لأرى تلك الرسوم . انك تحدثت عن العمل الخيرى، فهل من الخير أن تنزعنى مما كنت فيه من مرح تافه، لتجعلنى أحلم بمثل تلك العواطف؟ وماذا عسانى أنال من وراء ذلك؟ هذا ما ينبغى أن يقال فيه ــ كما يقال لهذا الكوكتيل ، ولكن بمعنى آخر ــ : « أى حياة ! »

أعطنى لفيفة أخرى ، فانى لم يتح لى أن ألقى رجلا واحدا مثل « ليونار » !

———— ••• ————

تقضى التقاليد عند بعض الطوائف الهندية بتحريم الكذب الا فى حالتين : اطراء امرأة ، أو انقاذ حياة !



أتى على الباحثين فى تاريخ الآثار والفنون حين من الدهر كانت جهودهم خلاله مقصورة على درس ما كان منها ظاهرا للعيان من الابنية الضخمة كالمعابد والقصور والمدافن والتماثيل وما اليها ، مما كان الملوك والامراء يجندون الفنانين فى تشييده طلبا لرفعة الذكر وخلوده فى الحياة وبعدها . ومن هنا لم يكن للفنان فى ذلك الحين مجال لاظهار فنه لعامة الشعب ، بل كان همه منصرفا الى ان يضع ثمرة نبوغه الفنى بين ايدى ذوى السلطان ليكافئوه عليها ، حريصا من أجل ذلك على ان يحقق فيما يبدعه بفنه رغباتهم الخاصة من ابراز امجادهم الدنيوية تارة ، وتمجيد الدين الذى يدينون به تارة أخرى ، تبعا للظروف والاحوال

ولعل أكثر التراث الفنى ، منذ تحضر الانسان الى اليوم ، لا يخرج بصفة عامة عن هذا الذى ذكرناه ، على أن هذا لم يكن ليمنع بعض الفنانين من ان يشذوا عن تلك القواعد العرفية بين وقت وآخر ، ليخلو كل منهم الى نفسه مستجما ، ويأخذ فى التعبير بانتاجه الفنى عن احاسيسه ومشاعره الخاصة ، دون التفات الى غير ذلك من المؤثرات

واذا كان كل من الشاعر والملحن يستطيع التعبير عما يجيش بصدره فى قول منظوم او

بلحن موزون ، فان كلا منهما مهما أوتي من قوة البيان لا يستطيع ان يصور حبيبته مثلا بما يغني عن النظر اليها ، ذلك لأن الشعر والموسيقى من الفنون التي تشغل حيزا من الزمان ، على حين ان النحت والتصوير ، بحكم استلهامهما الواقع ، من الفنون التي تشغل حيزا من المكان

وانت اذ تقرأ وصفا دقيقا لتمثال « نفرتيتي » سواء اكان الوصف شعرا أم نثرا ، يتعذر عليك ان تتصور حقيقة ما كانت عليه هذه الملكة من جمال خالد على الزمن ، اما رؤيتك تمثالها فتعطيك فكرة مجسمة لهذا الجمال

ولو اننا طلبنا الى لفيف من الكتاب او الشعراء ان يصوغ كل منهم وصفا دقيقا « لنفرتيتي » ثم عهدنا الى لفيف من النحاتين والمصورين ان يصنع كل منهم صورة او تمثالا طبقا لوصف احد الشعراء والكتاب ، لجاءت الصور والتماثيل متباينة لا تشابه بينها ، بل لا تمثل في مجموعها حقيقة جمال نفرتيتي

اما التمثال الذي أبدعه لها ذلك الفنان المجهول مصورا به جمال معبودته الحسناء كما أحسه بكل جوارحه ، فلا شك في انه جاء كاملا من جميع الوجوه ، مغنيا وحده عن عديد من المجلدات في وصف ذلك الجمال والاحاطة بمعانيه

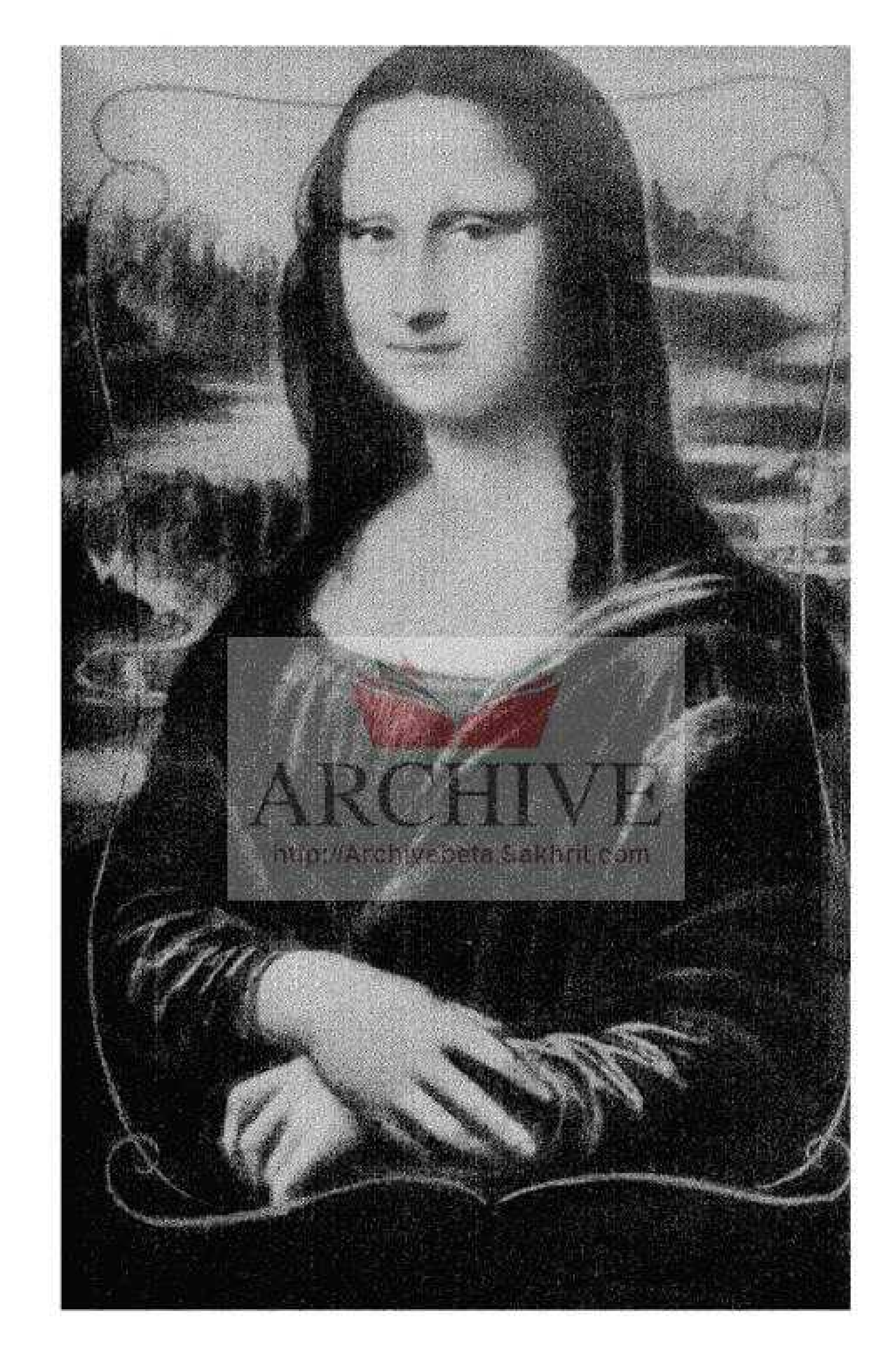
والأصل في الانتاج الفني أن يكون صورة صادقة الشعور بالحب ، وليس هذا بمانع من أن يكون بعض ذلك الانتاج جاء بدافع من الحسد او الحقد أو الكراهية وما اليها ، فالواقع ان هذه المشاعر تمت للحب بأوثق الصلات !

واذا رجعنا الى ما قبل ظهور المسيحية رأينا فن الاغريق بما تضمنه من نحت بلغ حد الاعجاز ، وتصوير فاق حد التصور ، انما كان كذلك لأنه صور مشاعر النفس واحاسيسها ، ولهذا عرف الفن الاغريقي بأنه فن انساني ، وقد عبر « فيدياس » عن تأليهه لعذراء أثينا بتمثال من العاج والذهب ما زال حتى اليوم مضرب الأمثال ، في الابداع والاتقان

وعندما ازدهر الاسلام في بغداد ، اخذ احد المصورين الفارسيين يزين قصور المسلمين فيها بفصول من قصة يوسف التي وردت في القرآن ، مستعينا بما جاء في شعر الشيرازي من وصف الغرام الذي استولى على فؤاد امرأة فرعون نحو ذلك النبي العبري ، وليس من شك في أن المصور الفارسي المسلم ما كان ليستطيع تصوير ذلك الغرام بدقة وروعة لولا انه هو نفسه كان ممن ذاقوا الغرام

□

اما في عصر النهضة الأوربية ، فترى العقول وقد انطلقت بعد قيد ، والنفوس وقد تحررت بعد كبت ، ثم ترى العقول الغربية وقد اختلطت بالعقول الشرقية





جيوفانا ترنابيونا

للفنان
جرلاندبو



مادونا ادولوراتا

للفنان
ساسو فراتو



لافينيا : للفنان تيسيانو

بعد الحروب الصليبية ، فكان الاقتباس وتبادل الأفكار

ولا عجب اذا رأينا الفن الأوربي لذلك العصر يحتضن التعبير عن الأحاسيس والمشاعر في حرية مطلقة ، فيسجل الفنان بجانب تمجيد الدين والملوك والأمراء ، مشاعره الخاصة ، كما نجد «بوتيشيللي» بعدما وقع في هوى الأميرة « سيمونتا » زوج الحاكم « لورنزو دي ميدتشي » يعترف بأنه قد أخذته مرة سنة من النوم أثناء القراءة ، فاذا به يرى فيما يرى النائم محبوبته وقد احاطت بها الحوريات راقصات مغنيات ، ثم اذا بهذا الحلم الذي لم يكن سوى انعكاس لمشاعره المكبوتة ، يحمله على اخراج اعظم لوحتين له ، سمى الأولى منهما «مولد فينوس» والثانية « الربيع » وصور في كل منهما غرامه ذاك ابدع تصوير

أما « ليوناردو دافينشي » فقد كان عشقه الزوجة الثالثة لولى الامر في فنيسيا وهو «فرانشسكو ديلجيوكوندو » باعثا له على ان يبدع لها صورة هي اجمل ما صوره في حياته ، بل ان حبه لها قد دفعه الى تعلم الشعر والموسيقى والتزود بكل ما يرضى عاطفة محبوبته ، بغية اكتساب بعض رضاها ، فاحتال بالموسيقى والتصوير ليكون في حضرتها اطول وقت ممكن ، وهكذا استطاع ان يشبع حبه العذرى ست سنوات

قضاها في النظر المباح اليها متوسلا بعذب حديثه وجميل مختاراته من الشعر وبديع ألحانه من الموسيقى، وما زالت تلك الصورة التي ابدعها لها فتنة الناظرين اليها في متحف اللوفر بباريس ، ولا سيما ما امتازت به من ابتسامة خلابة ساحرة ، ونظرات تنفذ الى قلب الرائي من اى النواحي وقف ليشاهدها !

وقد كان كل ما ظفر به ذلك الفنان من غرامه أن قبل يد السيدة في أدب واحتشام، على أن هذا جعله يتفنن في تصوير يدها اليمنى « المقبّلة » فجاءت معجزة جعلت منه مصور « الأيدى الناطقة » باعتراف أكابر رجال النقد الفنى

ويقول الفنان « جرلانديو » أن



رمبراندت وزاسكيا : للفنان رمبراندت

الأقدار ساقت اليه فتاة « ذات عنق طويل » عندما كان مشتغلا بصياغة الذهب وكان محله كعبة الجميلات من بنات فلورنسا ، فاحبها حبا ملك عليه مشاعره وخلق منه مصورا كل همه أن يسجل جمالها على لوحة يحتفظ بها لنفسه ، فصور لوحته المشهورة « جيوفانا ترنا بيونا » وهى التى لا يسع الناظر اليها الا أن يعجب بحسن اختياره حلة حبيبته الفلورنسية ذات الملامح الفلامنكية

وكان العبقرى «ميشيل انجلو» من أحدث الفنانين سنا حينما وقع أسير الهوى ، ولما تمرد شعب فلورنسا على منقذه « سافونا رولا » عمد الفنان الشاب الى تسجيل جمال حبيبته الاولى « بيتا » فجعل منها اما للمسيح تقعده على ركبتيها بعد الصلب ، وقد رمز به الى تشابه نهايته تلك بنهاية « سافونا رولا » ، ولا شك فى أن ذلك الحزن البادى من خلال ملامحها لم يكن سوى انعكاس الحالة النفسية الغالبة على الفنان العاشق الحزين !

و « لرفايللو » الجميل الطلعة قصته ، فقد عشقته « ماريا » ابنة اخت الكردينال بيبيني،وكانت تتمنى الزواج منه ، ولكنه بعدما تقدم الى خطبتها عدل فى آخر الامر عن الزواج ، فذهب بها عشقها الى المرض فالموت وهى فى ميعة الصبا

والعجيب انه عاد الى نفسه فاذا به يكن كل حب لتلك التى ماتت صدا ، ويسجل غرامه وهيامه فى لوحته الحائطية بمقصورة سكستين بالفاتيكان فى صورة للعذراء ، وفى لوحة اخرى سماها « لافورنا رينا »

وسواء اكان موته السريع بذات الرئة نتيجة بلل ملابسه أثناء انهماكه فى العمل ، او لضعف بنيته ، فانه مما لا جدال فيه أن جسمه أصيب بهزال مستمر عقيب وفاة خطيبته ضحية محبتها له

وكان حب «تيسيانو» من نوع آخر ، أحب ابنته « لافينيا » حبا جما وقد خلد جمالها فى لوحات عدة من بينها لوحته التى سماها « فلورا » ولوحته «لورا ديانتى»، والناظر اليهما يحس باشعاع الجمال منبعثا منهما فى قوة ، ليعبر عن حب الفنان لفلذة كبده

ومن أشهر العاشقين فى تاريخ الفن كله المصور العالمى «رمبراندت» فقد احب « زاسكيا » حبا سحر لبه ، ويبدو هذا واضحا فى لوحته المسماة«زاسكيا والزهرة» وقد صرح هو بانها كانت ملهمته، وبانها آنسته بعد وحشة ، واضاءت له الطريق بعد ظلمة ، ثم يقول بان اسعد ايام حياته هى الايام التى قضاها بجانب « زاسكيا » لا يعرف للزمن قدرا

وبعد أن ظفر بالزواج بها صورها مع شخصه فى مواقف عدة منها تلك الصورة التى يظهران فيها، وقد رفع كل منهما كأس الشراب



الانتظار : للفنان فويرباخ

فى بهجة وحبور لا حدود لهما

ومن الوان الحب ما يدفع بصاحبه الى الفضيلة المثالية ، فنرى الفنان « ساسو فيراتو » يعشق فتاة طاهرة ذات وجه نبيل القسمات لم يرسم الزمن عليه خطا واحدا من خطوطه ، تقف منه موقف المستسلم ، ويقف منها موقف المتعبد المقدس للجمال ، فيسجل تمجيده لها بصورته العظيمة ، وكأنها قديسة تؤدى الصلاة

واعجب العشاق الفنان فويرباخ Feuerbach الذى لم يكن يرضى لنفسه الا التودد الى محبوبته والوصول الى قلبها . حتى اذا ما تاكد من نجاحه تركها بين نارين ، نار الحب ونار الندم . ولا ادل على ذلك من صورته لواحدة منهن ، وقد جلست ترقب الأفق وكأن آمالها قد تلاشت

والفنان ستيلر Stieler وهو من الفنانين المحدثين لم يعشق سوى العذارى فى اول نضجهن وكأنه اراد بذلك سهولة الوصول الى قلوبهن

يقول ستيلر انه لم يرسم لوحة واحدة بدمه الا تلك اللوحات التى مثلت البنات عندما تتفتح قلوبهن وكأنها الأزاهير النابضة بالحياة

ولعلنا بالنظر الى صورته لماريا ديتش نلمس هذه الناحية

وهكذا نرى ان قصة الحب هي قصة الفن ، بل قصة الانسانية ، فلولاه لما تميز الانسان عن غيره من سائر المخلوقات

أحمد فوسى

١٠ سنوات فى جحيم السجون !

كاتبة هذه المذكرات روسية مثقفة قضت عشر سنوات فى السجن، لأنها هى وزوجها ـ وهو أستاذ جامعى ـ عرفا بميولهما إلى التحرر الفكرى . وقد أطلق سراحها حينما دخل الجيش الألمانى روسيا، ثم هاجرت إلى أمريكا عقب الحرب، وأخذت تنشر مذكراتها

مصير غير مجهول !

فى صباح يوم من شهر يوليو سنة ١٩٣٤ ، حللت الى سجن « بوتيركى » فى موسكو ، وكنت اعرف ما ينتظرنى هنـاك ، فقد سبقتنى اليه مئـات الالاف من النساء البريئات المثقفات . وكانت احاديث التعذيب الذى لقينه فيه معروفة للجميع !

كانت احداهن تجرد من كل ثيـابها ، ثم تترك هكذا اياما فى العراء ، حتى توقع على اقرار بأن زوجها يفكر فى الخروج على نظام الحكم !

وكانت كثيرات غيرها يضربن بالسياط حتى يتدفق الدم غزيرا من أجسـامهن ، لا لشىء الا أن اخلاصهن للمبادىء الشيوعية لم يبلغ درجة اليقين !

بل كان هناك كثيرات لا ذنب لهن على الاطلاق ، ولكنهن اخذن الى السجن انتقاما من أزواجهن او اخوتهن ، لتقاعدهم عن تنفيذ الاوامر ، أو لاتهامهم بالميـل الى التحـرر الفـكرى . فاذا نجت احداهن من الاعدام ، أو النقل الى احد معسكرات الاعتقال حيث الجوع والعمل المتواصل الشاق ، فقلما تنجو من تشويه منظرها ، بقص شـعرها ، وتغيير ملامح

وجهها بشتى انواع الضرب والعذاب !

ومن ابواب السجن الحديدية الضخمة ، ادخلت الى ردهات مظلمة رطبة تنبعث منها روائح كريهة فاسدة ، فخيل الى انني ادلف الى مقبرة اعدت للأحياء . ولولا يد السجان القاسية التي كانت تدفعني الى الامام دفعا ، لسقطت على الارض فاقدة رشدي . واخيرا زج بي الرجل في احدى الغرف ، واغلق الباب خلفي من الخارج ، فاذا بي وسط اكثر من مائة امراة ، اخذن يتطلعن نحوي في صمت عميق وذهول حزين !

وما كدت آخذ مكاني في هذا المزدحم الرهيب ، حتى همست بعض القريبات مني من اكون وما تهمتي . فلما همست اليهن مرتجفة باكية ، بأنني لا اعلم باي ذنب سجنت ، وبأنني فوجئت بالقبض على بعد اعتقال زوجي بأيام .. تصاعدت زفراتهن ، وهززن رؤوسهن في أسف وحيرة ، كأنما يقلن : « كلنا في ذلك سواء ! »

قبلة قبل النوم

واستبد بي الحزن والخوف والقلق ، فأحسست ان الارض تميد تحت قدمي ، واظلمت الدنيا في عيني ، فارتميت على الارض وانا لا اكاد اميز ما يحيط بي . وهنا اقتربت مني سيدة نحيفة في أواسط العمر ، علمت فيما بعد انها تسمى « كاترينا ايفانوفا » ، وقالت وهي تربت كتفي — في صوت ينبض بالعطف والحنان : « انني أدرك ياعزيزتي ما يساورك من شعور ، وأعلم انها صدمة قاسية ان يزج في السجن بالبريئات ، وأن يعاملن معاملة المجرمات . ولكن الواجب يقضي بالا تسترسلي في الحزن ، فان رسالتنا في الحياة لم تنته بعد . وقد نستطيع يوما ان نخدم أحباءنا واعزاءنا الذين حيل بيننا وبينهم »

وعلقت اخرى على ذلك فقالت: « ذلك هو عزاؤنا ، ولولاه لقضى الحزن علينا او فقدنا عقولنا » . ثم عادت ايفانوفا تقول :

— انني هنا منذ اكثر من عام . شهدت خلاله فظائع تقشعر لها الابدان .. فكثيرات منا يؤخذن من حين الى حين بدعوى التحقيق معهن ، ثم يعدن وظهورهن ملتهبة من آثار السياط ، واذرعهن وصدورهن محترقة باعقاب السجائر !

وهنا صكت سمعي صرخة مكتومة كأنها آتية من بعيد ، فاشتد اضطرابي ، بينما واصلت محدثتي مواساتها لي فقالت : « انها صرخة رجل ، رجل في السجن المجاور ، ولاشك في انهم يعذبونه الآن فيه . ونحن نسمع هذه الصرخات ، فيخيل الى كل منا ان الصارخ زوجها او اخوها او ولدها ، فتكاد تجن . ان الحياة صعبة هنا ، ولكن ينبغي الا نجبن امامها »

واختتمت حديثها بان طوقت



عنقى فى رفق وحنان ، ثم طبعت على جبينى قبلة ، واشارت على بالاعتصام بالصبر ، وبان اريح نفسى بالنوم ، استعدادا لما تأتى به الاقدار !

ولكن الليلة الاولى ، مضت كلها على طولها دون أن اتذوق طعم النوم !

رسول القلوب المحطمة

وفى اليوم التالى تعرفت الى زميلة من الزميلات ، آنست منها تقاربا مع طباعى وميولى . وكانت سيدة شابة اسمها « راشيل » تنطق ملامح وجهها بحدة الذكاء والعناد . ولما تجاذبنا معا اطراف الحديث ، علمت منها انها طبيبة ، وقد عرفت هى وقرينها الطبيب أيضا بميولهما الاشتراكية ، فكان أن لفقت لهما تهمة محاولة دس السم فى طعام احدى فرق الجيش الاحمر

وحلت راشيل ازرار « بلوزتها » فى اثناء الحديث ، ثم قالت : « انظرى . انهم يضربوننى كل بضعة أيام بخرطوم ثقيل من الكاوتشوك ، ليرغمونى على الاعتراف بجريمة لم ارتكبها ! » . ثم أردفت : « ولكنى برغم الآلام الشديدة التى اعانيها ، لا يقلقنى غير انقطاع اخبار زوجى المسكين . آه ، كم أتمنى أن اظفر بخبر منه ! » . ثم خفضت صوتها وقالت تخاطب نفسها : « من يدرى ؟ . قد تتحقق هذه الامنية على يد (ميشكا) . . »

وسألتها : « ومن هو (ميشكا) ؟ » . فقالت : « انه قط أسود يحضر الينا كل مساء . يتسلل من بين قضبان هذه النافذة الضيقة الوحيدة بالغرفة . وبرغم الوجبات الهزيلة التى يقدمونها لنا ، فاننا نشركه فيها راضيات لكى نغريه بمواصلة الحضور الينا من مقره الاول فى سجن الرجال المجاور . وعن طريق كيس أسود صغير تحت ذيله نتبادل الاخبار بقدر المستطاع ! »

من اجل الوليد المنتظر

ومن بين من ارتحت للتعرف اليهن ، شابة فى العشرين من عمرها ، ذهبية الشعر ، لا تفارق الابتسامة ثغرها ، ولا يفوتها كلما مرت باحدى زميلاتها أن تواسيها بكلمة عطف أو تشجيع

كان اسمها « ماروسيا » . وكانت فى الاشهر الاخيرة من حملها ، على انها كانت تعجز عن مغالبة البكاء كلما ساقها الحديث الى ذكرياتها الزوجية ومسكنها

الصغير الانيق الذى زينته بالزهور والستائر الحريرية البيضاء . وقد قبض عليها وعلى زوجها الشاب الموظف بأحد مصانع السيارات فجأة فى ذات ليلة من ليالى شهر العسل ، فنقلا من عشهما الجميل السعيد الى السجن . كل منهما فى مكان . . ولم يكن لها ولا لزوجها اية صلة بالسياسة ، ولكن السلطات المختصة اخذتهما بذنب شقيق للزوج كان قد هرب من روسيا الى امريكا قبل ذلك بشهور

وحينما كان البكاء يغلب ماروسيا المرحة الطروب ، كان صوت السيدة « ايفانوفا » ينطلق فى جو الحجرة وهى تقول : « ماروسيا . اهدئى يا عزيزتى ، اشفقى على الجنين الذى تحملينه فى احشائك . من يدرى ، لعل القط (ميشكا) يجلب لنا اخبارا سارة من زوجك (باتيا) . . »

وهنا تهدأ « ماروسيا » وتتجه ببصرها نحو النافذة . وكذلك كانت تصنع اكثر الزميلات ، بل انى اخذت ايضا ارتقب حضور القط عسى ان اتلقى عن طريقه اخبارا من زوجى

وصل فى الميعاد !

ما أصدق « اوسكار وايلد » حين قال : « ان الوقت فى السجون يرمز الى الابدية »

مضى اليوم الثانى فى بطء شديد ، وخبا الضوء الداخلى من فتحة النافذة ، واضيئت شموع السجن . ثم اذا بنا نسمع وقع اقدام ثقيلة فى الممر الداخلى ، اعقبه صرير المفاتيح وهى تدور فى الابواب . وطبقا للنظام وقفت السجينات ساكنات فى صفين ، ثم فتح باب غرفتنا ودخل رئيس الحراس ، او « الذئب » كما كن يسمينه ، ويده على المسدس المثبت فى حزامه ، وكان معه حارسان آخران . واخذ «الذئب» يتطلع الى وجوه المسجونات ، ويحصيهن ليتحقق من وجودهن جميعا . فلما اطمأن الى ذلك ، خرج وصاحباه واغلقوا الباب وراءهم . فتنفس الجميع الصعداء ، وكانت ساعة وصول القط قد اقتربت ، فاتجهت الابصار كلها نحو النافذة ، ومضت بضع دقائق وكأنها ساعات . وفجأة ، ندت صرخة فرح خافتة من عشرات الافواه . فقد ظهر القط الاسود فى النافذة

وما ان قفز القط الى داخل الغرفة حتى تلقته الايدى لتضعه فى حجر « ايفانوفا » . وسرعان ما انتزعت هذه الكيس المخبوء تحت ذيله ، ثم فتحته ، وتولت قراءة القصاصات التى وجدتها فيه ، بينما كان القط يأكل طعامه الذى أعد قبل مجيئه ، كما اعدت القصاصات المعتزم ارسالها بوساطته الى سجن الرجال

والتففنا جميعا حول «ايفانوفا» : وقد ارهفنا السمع ، وبدا على وجوهنا القلق ونحن نستمع اليها وهى تترجم الرموز والكتابات التى جاءت فى هذه الرسائل .

فهذا رجل نفي الى سيبريا ، وآخر مات في مستشفى السجن . وفجأة اتجهت « ايفانوفا » نحو صديقتي « راشيل » وقالت في لهجة حزينة : « لك عزاؤنا جميعا يا راشيل ، لقد مات زوجك هذا الصباح ! » . ولم تنبس « راشيل » بكلمة ، ولكن جحظت عيناها ، واصفر وجهها ، ثم انسحبت بهدوء الى أحد أركان الغرفة ، وقبعت صامتة ذاهلة محملقة في الفضاء

وبعد أن ساد الصمت برهة ، تنهدت « ايفانوفا » ، ثم استأنفت تلاوة الرسائل فصاحت قائلة : « ماروسيا . . لك رسالة . زوجك في صحة طيبة ، وهو في الغرفة رقم ٢٦٣ ، ويرجو أن تصبري وتصمدي أمام هذه التجربة القاسية حتى تنتهي مدة الحمل ! »

ولن انسى أبدا ما بدا على وجه ماروسيا في تلك اللحظة ، لقد كانت ملامحها تنم عن مزيج من الاحاسيس المختلفة ، ثم أخذت تضحك حينا وتبكي حينا آخر !

وكانت هذه خاتمة الرسائل ، وقبل أن يفرغ القط من طعامه كانت رسائلنا تحت ذيله ، واصبحت أتلهف على عودته في اليوم التالي عسى ان يحمل ما يطمئنني على زوجي المسكين !

نهاية ميشكا

وفي الصباح التالي ، بينما كنا راجعات من دورة المياه ، اقتربت واحدة منا من النافذة وقالت : « انظرن ، انظرن ، يا الهي ماذا يصنعون ؟ »

واندفع كثيرات منا نحو النافذة ، فرأينا الحارس « الذئب » جالسا الى منضدة ، وامامه الكيس الصغير الاسود الذي كنا نثبته في ذيل القط . وقد وقف أمامه حارسان أمسك أحدهما بالقط ، بينما أخذ الآخر يلف حبلا حول رقبة القط ، ثم علقاه في شجرة هناك ، فأخذ يتأرجح وقد برزت عيناه وأشرف على الاختناق . ثم اخرج الثلاثة مسدساتهم وصوبوها نحوه ، فمزق رصاصها جسده

وساد الصمت بيننا برهة ، واذا « ماروسيا » تندفع وتضرب زجاج النافذة بقبضة يدها فتحطمه ، وهي تصرخ موجهة الخطاب الى رئيس الحراس : « أيها القتلة . . شيئا من الرحمة ! »

وصاحت بها « ايفانوفا » قائلة : « ماروسيا ، هل جننت ؟ اصمتي والا تسببت في ايذائنا جميعا »

ولكن هذه النصيحة جاءت متأخرة ، فقد اندفع « الذئب » هو ورجاله نحونا ، وقال لهم مشيرا الى « ماروسيا » : « هيا خذوها الى غرفة التعذيب ! »

وبينما كان الحراس يجرونها والدم ينزف غزيرا من يدها ، وشعرها المحلول يكنس ارض السجن ، أخذ « الذئب » يتفرس في وجوهنا بعينيه الشرستين ، ثم قال : « سوف اعلمكن كيف تطعن الاوامر »

[عن مجلة « أمريكان »]



في هذه الصفحات يروى الكاتب قصة القصة المصرية منذ الفراعنة الى العصر الحديث ..

يحكى أن .. فى مصر

بقلم الأستاذ طاهر الطناحى

« اوبا اوتر » احد كهنة الفراعنة ، وكبير من كبار سحرتها المعروفين في ذلك الزمان .. كانت له زوجة لعوب في عنفوان الصبا وريعان الشباب ، وكان هو شيخا تقدمت به السنون فعشقت فتى جميلا ، لفرمت به واغرم بها غراما شديدا . وكان العاشقان يتقابلان فى الحديقة ، ويسبحان معا فى بحيرتها المرمرية ، المزدانة بالازهار على جوانبها ، وشجيرات السوسن والياسمين تغطيها عن الانظار ، ولكنها لا تحجب اغصان الياسمين المدلاة حولها فى خفة ورشاقة ، وقد اخذت الاطيار تتناجى فى مرح وغبطة ، وتجتمع لتفترق ، وتفترق لتجتمع ، فى طرب وسجع والحان ، وكأنها تحكى حياة العاشقين

ولم يكن احد يعرف ما عليه الفتاة والفتى من حب وهيام غير بستاني الحديقة ، الذى كان يراهما كلما اتى لعمله ، وكاد يهم أن ينقل ما شاهد الى سيده ، ولكن الفتاة عرفت كيف تكتم امرها ، فكانت تصله بالعطايا بين حين وحين

وسافر أوبا أونر ذات يوم مع الملك « نب ـ كا » وغاب أسبوعا عن زوجته ، فخلا الجو للعاشقين، وأنساها الغرام ماكانت تصل البستاني به من صلات وهدايا . ثم حدث أن أهمل في عمله ، فنهرته وانذرته في ثورة غضبها بالطرد اذا عاد لتقصيره ، فأسرها في نفسه ، وحلف ليفشين سرها ، فلما عاد الكاهن من رحلته مع مليكه انباه نبا هذا الحب ، وروى له زيارة الفتى للحديقة ، فغضب غضبا شديدا ، واصر في نفسه أن يفتك به

فكر الكاهن كيف ينتقم من غريمه ، ثم استعان بسحره ، فصنع تمساحا من الشمع وقرا عليه بعض تعاويذه . وقال له :

ـ أيها التمساح .. اقبض على كل من يأتي الى هذه البحيرة .. !

وأعطاه البستاني ، وقال له :

« اذا نزل الفتى في البحيرة ، فارم فيها هذا التمساح »

فأجابه : « سمعا لك وطاعة » !

◻

وجاء الفتى كعادته ، فدخل الحديقة ، ثم نزل البحيرة ، ولم تكن الفتاة قد نزلت لأنها علمت ما فعله البستاني ، وما دبره الكاهن لعشيقها ، ولكنها لم تستطع أن تبعث اليه ، فبقيت والهة حيرى . قد تملكها الخوف والجزع . وأطلت من شرفة قصرها فوجدت البستاني اقبل وبيده التمساح الشمعي فصاحت بعشيقها أن يخرج من البحيرة ، فلم يسمعها . وما كاد التمساح يلمس الماء حتى انقلب تمساحا كبيرا حيا طوله سبع أذرع ، فهجم على الفتى فصرخ وصرخت الفتاة ، وفر أمامه في البحيرة ، ولكن التمساح كان اسرع واقوى ، فقبض عليه بفكيه ، ولم يستطع الافلات منه ، وبقي في صراخه وعويله حتى اقبل الكاهن ، فوجده في هذه الحال . فأخذه الى الملك . واطلعه على هذه الحيلة ، فأحضر وزراءه ، واراهم الفتى في فم التمساح ، فدهشوا . ثم أمر الكاهن التمساح أن يترك الفتى فتركه . وتناول التمساح بيده ، فعاد تمثالا من الشمع ، فعجب الملك لمهارة الكاهن ، ومقدرته السحرية . وسأله عن أمره فقص عليه قصة الفتى وزوجته ، فانكر الملك هذا الحادث ، وأمره أن يعيده الى ماكان ، فأعاده تمساحا حيا ، فقال له الملك :

ـ أيها التمساح خذ فريستك !

فهجم على الفتى ، وقبض عليه بفكيه ، وسار الى البحيرة ، وغاب فيها عن الانظار .. !

حياة المصري .. قصصية

تلك احدى القصص المصرية القديمة المدونة على أوراق البردي . وقد حصلت عليها « مس وستكار » وهي من محفوظات متحف برلين

وهناك قصص اخرى للفراعنة منها قصة « زارا مونيخ » التي تقول انه شق البحر نصفين ونزل الى قراره ولم ينطبق عليه ،

واخرج الجوهرة التى سقطت من تاج احدى زوجات الملك «سنفرو» فى أثناء نزهة مائية.. ومنها قصة « ددى » الساحر الذى عاش فى عهد الملك « خوفو » . وكان يأكل خمسمائة رغيف فى اليوم، ويشرب مائة كأس من الجعة ، ويستطيع ان يميت الحيوان ثم يعيد اليه الحياة . وهذه القصص كلها تدل على قدم هذا الفن فى مصر ، وان المصريين أسبق الامم المتحضرة اليه ، وهى تحكى لنا صورا من حياة القوم وعاداتهم ، واسلوب معيشتهم، واخلاقهم، وخصائص مجتمعهم التى تشبه فى كثير من الوجوه خصائص مجتمعنا الحاضر

فقصة « أوبا أونر » وزوجته وعشيقها ، تصور بعض النواحى النفسية والاجتماعية . تصور العواطف الانسانية وكيف تتلاءم وتنسجم اذا تقاربت السن ، وكيف تبتعد وتتنافر بين الشباب والشيخوخة ، وتصور الخيانة الزوجية والانانية ، وعاطفة الانتقام. كما تصور الغيرة والدفاع عن الشرف ، وكراهة الرذيلة ، وعقاب المجرم الخارج على نظام الجماعة . وهى من جهة اخرى تنقل لنا ناحية من نواحى الحياة التى نشاهدها كل يوم ، وتعالج مشكلة من اقدم المشكلات الانسانية حتى الآن . وهى العلاقة بين الرجل والمرأة

وانت تستطيع ان تضع هذه القصة وامثالها من القصص المصرية فى القالب الذى تريده ، فلا تخرج عن كونها قصة ذات غرض وهدف ، تتناول مشكلة ، وتدور حول فكرة . واذا كانت لاتشبه القصة العصرية فى اسلوبها وطريقة وضعها ، فلكل عصر اسلوبه واوضاعه، كما ان لكل عصر زيا خاصا واسلوبا خاصا فى حياته وادبه وفنه

□

ولا ريب ان الذين يزعمون انه لم يكن فى مصر قبل السنوات الاخيرة قصة ، اوان الادب العربى خال منها ، انما هم كمن يزعمون انه لم يكن لآبائنا آدابا خاصة ، او لم تكن لهم طريقة فى المعيشة والاجتماع ، لأن آدابنا اليوم وطريقة معيشتنا واجتماعنا تخالف ما كانوا عليه فى الزمن القديم

ان القصة وجدت فى مصر منذ الفراعنة ، وبقيت فى العصور المصرية حتى ظهر كتاب « الف ليلة وليلة» . وهومكتوب باسلوب مصرى وخيال شرقى. والمصريون بطبيعتهم ، من أكثر الامم حبا فى القصص واقبالا عليها ، لأنهم امة زراعية قد سكنت الى ما يدره عليها نيلها وارضها من ثمرات وخيرات . وقد حباها الله سماء صافية ، وشمسا ساطعة ، وجوا جيلا . فأبناؤها يقضون النهار فى اعمالهم ، حتى اذا ارخى الليل سدوله ، وفرغوا من اعمالهم ، جلسوا يتسامرون ، ويقضون السهر فى القصص الخلقى وما

يحوى من العظات والعبر ، أو ما يوقد فى النفس روح الحماسة والشجاعة

وقد نشأت من هذا الميل عندهم حرفة القصاصين فى المقاهى المعروفين « بالشعراء » يقصون عليهم قصص عنترة ، وسيف بن ذى يزن ، والزير سالم ، وابى زيد الهلالى ، وراس الغول . وما الى ذلك من القصص الشعبى

عصر النهضة

بقيت الحال كذلك ردحا من الزمان ، لا يعرف الشعب فى اوقات فراغه الا هذه المقاهى . حتى اذا كان عهد الخديو اسماعيل ، تطورت الحياة الاجتماعية فى مصر بتطور الحياة العمرانية ، والاخذ باسباب الحضارة الغربية ، فادخل الخديو اسماعيل فيما ادخل من هذه الحضارة التمثيل الكوميدى ، والتمثيل الغنائى . فانشا دار « الكوميدى » بالازبكية سنة ١٨٦٧ ، ثم دار الاوبرا سنة ١٨٦٨ وافتتحها بحضور الامبراطورة أوجينى امبراطورة فرنسا

ومن ذلك الوقت اتجهت الاذهان الى المرحلة الجديدة التى انتقلت اليها القصة فى العصر الحديث ، وفكر بعض الادباء فى المساهمة فى هذا الفن بطريقته الجديدة ، فالف المرحوم « محمد عثمان جلال » قصة مسرحية بعنوان : « المخدمين » فكان أول مصرى الف للمسرح . ثم ترجم رواية « ترتوف » لموليير ، وتصرف فيها تصرفا ملائما للحياة المصرية ، ومثلت عدة مرات باسم « الشيخ متلوف » وترجم قصة « بول وفرجينى » باسلوب مسجع

وبين يدى قصة تمثيلية مصرية مثلت بالاوبرا فى سنة ١٨٨٥ . وهى « قصة يوسف » الفها وهبى تادرس ناظر مدرسة حارة السقايين القبطية فى ذلك الوقت ، وقد مثلها طلبة هذه المدرسة لمساعدة الجمعية الخيرية القبطية.

وهى تشبه فى اسلوبها المسجع اسلوب عثمان جلال . ويتخلل بعض مواقفها أبيات من الشعر . وقد اخبرنى هذا المؤلف القبطى انه تعلم فى الازهر الشريف ، ومكث به مدة من الزمان !

وفى فجر هذه النهضة ظهرت روايات جرجى زيدان التاريخية . وهى اول روايات من نوعها ، نسج فيها مؤلفها نسجا لم يسبقه اليه كاتب فى اللغة العربية ، سواء أكان فى اسلوبها الذى توخى ان يكون متمشيا مع الاسلوب الفنى الحديث ، أم فى عرضه لحوادث التاريخ الاسلامى عرضا مشوقا . وقد بداها فى العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، والف منها ١٨ رواية عدا اربع روايات تتناول تاريخ مصر والسودان منذ محمد على باشا الكبير

وفى سنة ١٨٩٧ الف شوقى ثلاث روايات . وهى : « عذراء الهند » أو تمدن الفراعنة ، فقد سرد فيها جانبا من عظمة مصر القديمة باسلوب مسجع فخم ، وصاغها على طريقة الاساطير . ثم

الف فى ذلك الحين «على بك الكبير» و « لاديلاس » . وبطلها يونانى . وقد أعاد كتابة على الكبير فى سنواته الاخيرة حينما اتجه الى فن القصة اتجاها جديدا

وظهر قبل سنة ١٩١٤ نوع من النقد القصصى اقبل عليه عدد من الكتاب المصريين ، وبعد كتاب « عيسى بن هشام » أحسن مثال لهذا النوع .. وهو فى خياله وطريقته يكاد يصل الى القصة بمعناها الفنى ، وان كان أسلوبه مسجعا .. وقد حذا حذوه المرحوم حافظ بك ابراهيم فى قصة « ليالى سطيح» . والاستاذ محمد لطفى جمعة فى قصة « ليالى الروح الحائر »

ولابد من ان نتوسع فى معنى القصة فى هذه الاونة التى يحاول فيها الادباء المصريون ان يؤسسوا نهضة جديدة للفن القصصى فى مصر ، فنحن مازلنا فى دور البعث والانتقال من أسلوب قديم الى أسلوب حديث . ولذلك حاول بعض الادباء المعاصرين ان يتحرروا من الماضى ، وان ينهجوا النهج المعاصر ، فترجم المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى ، والف رواياته المعروفة بأسلوب يخالف أسلوب عثمان جلال ومحمد المويلحى .. ثم الف الدكتور محمد حسين هيكل رواية « زينب » . وهى أول قصة مصرية نهج مؤلفها نهج الفن الاوربى الحديث وقد مثلت فى السينما. والف الدكتور طه حسين « الايام» . وهى قصة حياة تفيض بالشعور والعبرة والتحليل النفسى ، والوصف الاجتماعى البارع

وكان الاستاذ محمد تيمور رائد المسرح المصرى الحديث ، فالف « الهاوية » و « العصفور فى القفص » ، و « عبد الستار افندى» . وهى قصص تمثيلية ، كما الف كتاب « ماتراه العيون» . وهى اقاصيص صغيرة ترسم بعض المواقف الاجتماعية فى تحليل ونقد دقيق

وتوفى هذا الاديب فخلفه شقيقه محمود تيمور بك ، فكان نعم الخلف للسلف فقد الف للقراءة والمسرح عشرات القصص ترجم بعضها الى اللغة الفرنسية

وقد ساهم امير الشعراء احمد شوقى بك قبيل وفاته بسنوات فى هذه النهضة ، فالف « مجنون ليلى » ، و « كليوبطرة » ، و « قمبيز » ، و « اميرة الاندلس» ، و « الست هدى » ، و « على بك الكبير » ، و « عنترة » . وهى أول محاولة ناجحة فى التاليف للمسرح بالشعر العربى نسج على منوالها عزيز اباظة باشا فى رواياته الثلاث

ونشطت هذه الحركة نشاطا ملحوظا بين أدباء الشباب والكهول . وكان فى مقدمتهم الاستاذ توفيق الحكيم ، فقد فتح برواياته فتحا جديدا اذ تمتاز بأن بعضها ليس قصصا اقليميا ، بل هو قصص انسانى يصلح لكل

عصر ولكل امة كرواية « اهل الكهف » ، و « شهر زاد » ، و « عودة الروح » ، و « راقصة المعبد » ، و « عهد الشيطان » ، و « الخروج من الجنة »

▭

ولابد من الاشارة الى دعامة من دعامات القصة المصرية ، وركن من اركان التاليف المسرحي الذين غذوه بانتاجهم الروائي القيم ، وهو الاستاذ عباس علام ، فقد كان من السابقين في هذا الميدان منذ اواخر الحرب العالمية الاولى . وافتتح مسرح حديقة الازبكية بعد بنائه برواية من تاليفه هي «عبد الرحمن الناصر» . وقد بلغت تكاليفها عشرين الف جنيه في ذلك الوقت . ومن اهم رواياته المسرحية « الزوبعة » و « كوثر » و « باسم القانون » و « الزوجة العذراء » و «سهام» و « توتو » . ومن قصصه ما نشرته الهلال ، وما نشر في سواها مثل « الدكتاتور » ، و « قضاء وقدر » ، و « نموت ولا نسلم » ، و « العفاريت الثلاثة » ، و « انتصار الجنس اللطيف »

وهذه الثروة التي ظهرت في مصر حتى اليوم ، والتي يذكيها ادباء الشباب بانتاجهم وروحهم تدل على خصب الحياة المصرية ، وميل المصري بفطرته الى القصة ، واستعداده الفني لتجويدها ، لو انه منح التشجيع الكافي

وليس بعيدا ان نرى في مستقبل الايام قصصا مصريا ينافس في قوته وروعته القصص الاجنبي الحديث

طاهر الطناحي

علاج ناجع !

في سنة ٩٩٦ بعد الميلاد ، نكبت بلاد الفرس بمجاعة شديدة ، وكانت هناك فوارق كبيرة بين الطبقات ، فبينما الوف من الفقراء يموتون جوعا كان الأغنياء ينعمون بخيرات تزيد كثيرا عن حاجتهم . وعبثا حاول الحاكم حمل الأغنياء على اعانة الفقراء بالتي هي أحسن ، فلما يئس من ذلك أمر بأن يعدم كل غني يموت جاره الفقير بسبب الجوع . فكانت النتيجة أن انعدم الموت جوعاً من بلاد فارس في ذلك الحين !

جولة فى بلدة ستراتفورد مسقط راس شكسبير

حيث يرقد طبيب الرواية

فى بلدة جميلة عرفت بمناظرها الطبيعيـة السـاحرة ، تدعى « ستراتفورد ان افن » ، ولد وليم شكسبير عام ١٥٦٤ ، وكان ابوه تاجرا ميسور الحال ثم ادبرت عنه الدنيا فأفلس .. بينما كان ابنه طالبا فى « مدرسة النحو » بالبلدة . وتغيب شخصية الفتى عن الأنظار ، ولا يعرف المؤرخون من أمره الا انه تزوج وهـو فى الثامنة عشرة من عمره سيدة تكبره بثمانى سنوات .

وسافر شكسبير الى لنـدن ليبحث لنفسه عن عمل يتكسب منه عيشه .. فكان يقف بأبواب المسارح ليمسك بأعنة خيول كبراء النظارة احيانا ، وكان يقوم بتمثيل ادوار تافهة احيانا أخرى ، ولكنه ما لبث ان بزغ نجمـه وحالفـه الحظ ، فأخذ يؤلف .. وكان فى الغالب يعمد الى مسرحيات قديمة ، فيضيف اليها فصولا او يحـذف منها فصولا اخرى . وقد سمى «طبيب الرواية» The Play Doctor لفرط مهارته فى علاج عباراتهـا الغامضـة وترقيـع المـواضيع الضعيفة فيها . وما كان شكسبير يتناول ناحية فى موضـوع قديم حتى تلمس فيه طابع العبقرية

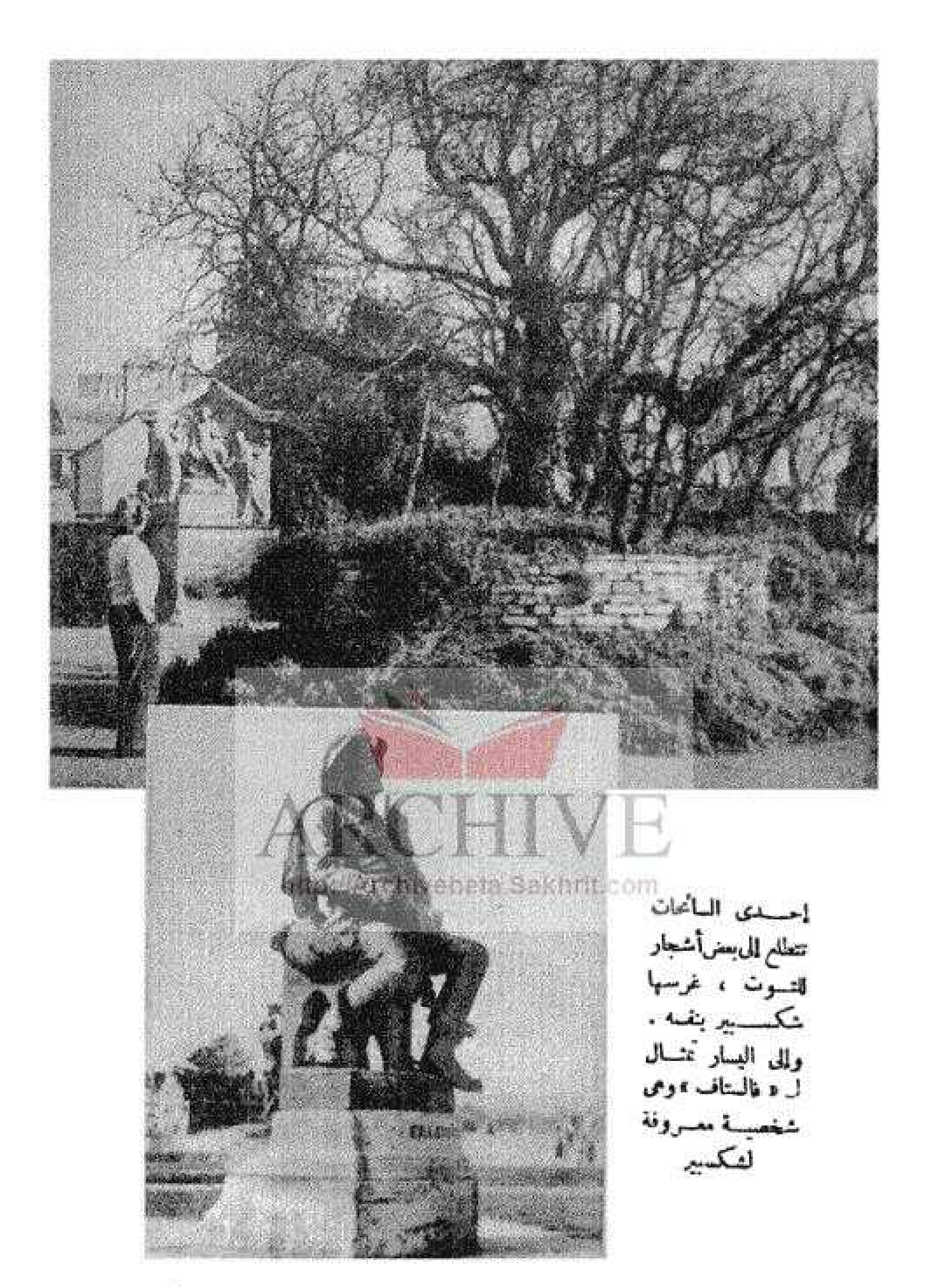
وقد اهتم أولو الأمر بتخليـد ذكرى شكسبير ، فجددوا مباني بلدة ستراتفـورد ، واقاموا فى الطرقات والميادين تماثيل لأبطال رواياته الخالدة كعطيـل وهاملت وماكبث وغيرهم . وعلى هـذه الصفحات ، ننشر بعض الصـور لهذه المدينـة التي يتردد عليهـا السياح من كافة أنحاء العالم ليروا مسقط رأس شكسبير العبقرى الخالد

البيت الذى كان يقيم فيـه شكسبير بعد اصلاحه وتجديده

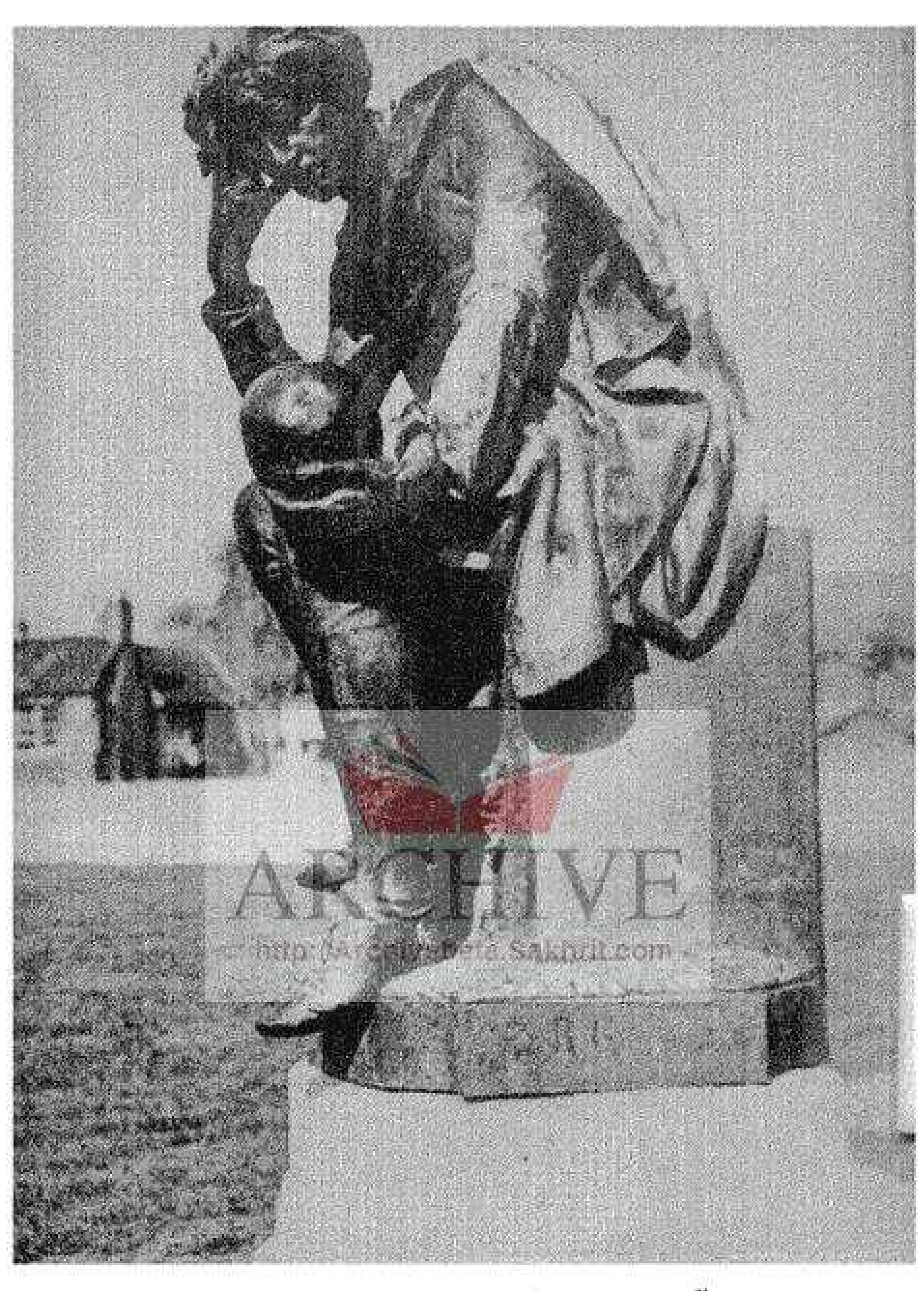




« ماكبث » تطل من بعيد على المسرح التذكاري الذي يقام فيه كل عام الاحتفال بذكرى شكسبير . وإلى اليمين ، برج الساعة في وسط البلد .



إحدى السائحات تتطلع إلى بعض أشجار التوت ، غرسها شكسبير بنفسه . وإلى اليسار تمثال لـ « فالستاف » وهى شخصية معروفة لشكسبير



من التماثيل التي تطالع الزائر لبلدة « ستراتفورد » ، هذا التمثال الرائع لـ « هاملت » وهو يحدق في جمجمة أحد أبطال القصة



عقد اللؤلؤ الوردى

قصة هندية

ودعت رفيقي « الماجور » مستأذنا في السفر الى مدينة بمباى . وكنا قد أمضينا مدة من الزمن معا في غابات رواهبور، أحد مواطن الافاعي والنمرة والتماسيح . وكان يقود قوة من الفرسان في تلك المقاطعة لقمع حركات العصيان التي كثرت حينذاك في جميع أنحاء الهند . وتمكن الضابط من المحافظة على النظام بسياسته المبنية على التعقل لا على القوة . ولكنه كان ضائقا بالبقاء في رواهبور بعيدا عن أهله وأصدقائه، فقد قال لى :

— انى أنتظر بصبر نافد أمرا بنقلى الى مكان آخر . فأنا ضائق بالحياة هنا .. ولكن ، لعل الحادث المنتظر يدخل بعض التعديل على سير الحياة اليومى

— وأى حادث هذا ؟

— ان مهراجا رواهبور يحتضر وسيموت قريبا

— هل هو مريض ؟

— كلا .. ولكنه سيموت من الشيخوخة !

— من الشيخوخة ؟ انه فى العشرين من عمره !

— هذا لا يهم . فالانسان قد يموت من الشيخوخة فى أية سن ! واذا كان الرجل فى سن العشرين ولكن جسمه متهدم ونفسه خبيثة لئيمة ، فانه يكون أشبه بالشيخ فى الثمانين . ان هذا الفتى يحمل على منكبيه عبء ماضيه الثقيل . وهو الآن يسير كأنه شبح أو خيال !

— وبعد موته ؟

— الفتى يهمنا الآن أن موته قد يعيد الى هذه البلاد بعض الاضطراب الذى سادها من قبل . فالانجليز يحكمون الآن باسمه ، أما اذا مات .. فباسم من تصدر أوامرنا ؟

— أليس له وارث شرعى ؟

— كلا . وهنا موضع الخطر . فالذين يطالبون بوراثة العرش كثيرون . وقد نفاجأ بحوادث لاتسرنا .

ثم جلس الماجور وقال : « آه ، لو كان عندى شىء من الافيون ! »

— أما عدلت عن تدخين هذا المخدر؟

ـ كنت قد عدلت عنه. ولكن الحياة في رواهبور مملة . فوجدت في تدخين الافيون سلوتي الوحيدة !

ـ سأحمل اليك كمية منه ، عند ما أعود من بمباي

ـ أشكرك .. تعال الآن نتناول العشاء معا

فاعتذرت اليه ، لانني كنت منصرفا الى اعداد العدة لسفري . فوعدني بأن يزورني في اليوم التالي قبل ذهابي الى المحطة

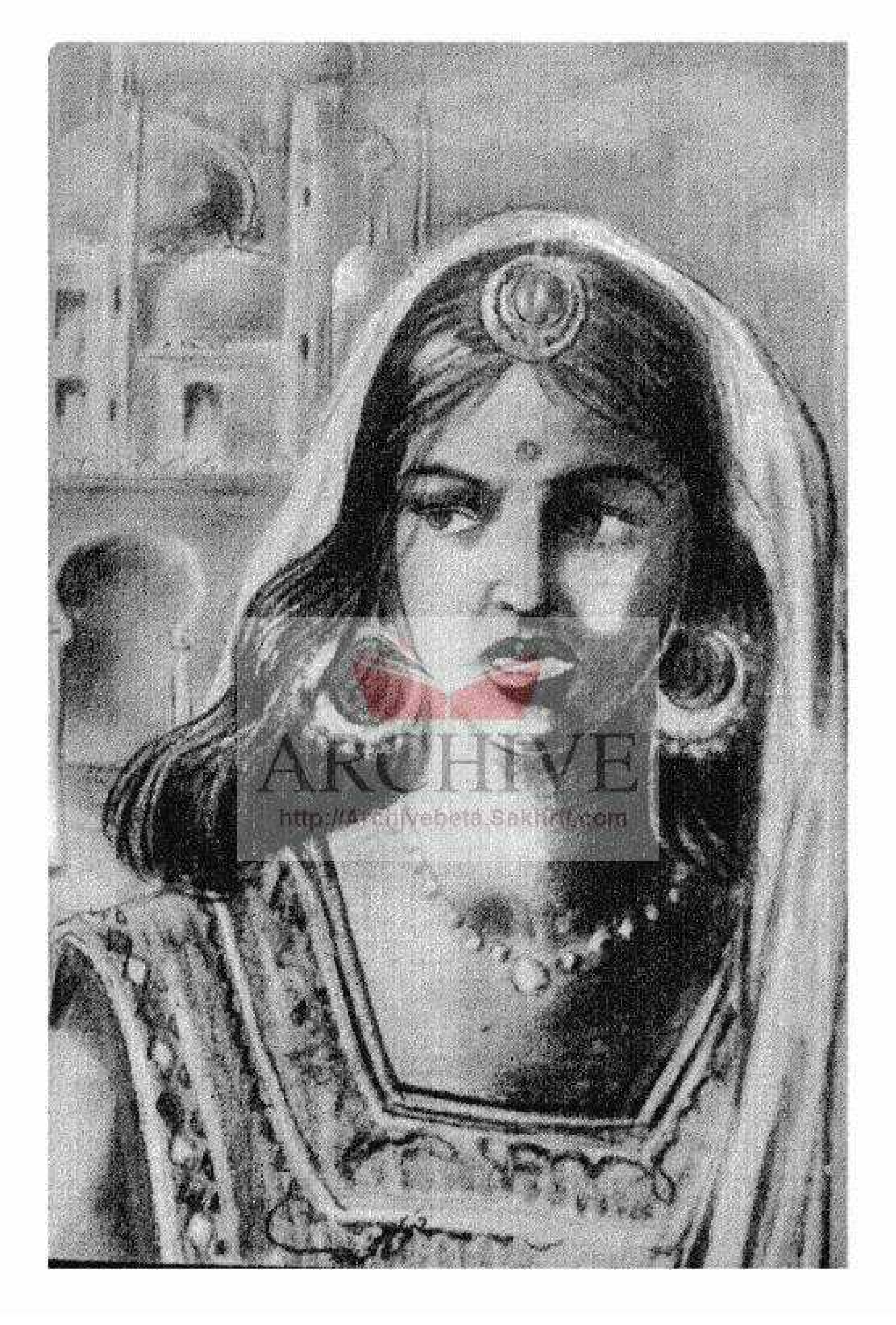
ومكثت قليلا في شرفة منزلي ، ثم دخلت الى غرفتي ، ولكنني لاحظت أن شخصا فتح الباب ودخل بلا استئذان، ونظرت حوالي فاذا بي أرى شبح انسان واقف بالقرب من المنضدة في الظلام. وقبل أن آتي بأية حركة، أضيء مصباح بيد ذلك الشبح ، فاذا به امرأة شابة بديعة الحسن ، ظلت جامدة في مكانها تنظر الى

كانت هندية متشحة بوشاح أزرق، وقد لمعت عيناها البراقتان كما لمعت الاقراط الذهبية في أذنيها . وخيل الى أنها قلقة مضطربة

أدركت المرأة أن اعجابي بها وبجمالها كان في تلك اللحظة يفوق دهشتي من وجودها داخل بيتي، وعندما فطنت الى انني أهم بمخاطبتها، أشارت الى بأن أسكت ولا أتكلم . ثم وضعت المصباح على المنضدة ، وأخذت من بين طيات ثوبها ثلاثة صناديق صغيرة وضعتها أيضا على المنضدة بجانب المصباح ، وأسرعت الى الباب فأغلقته، وعادت الى ... وحدثتني بصوت عذب كانت نبراته تداعب أذني كتغريد العصافير . قالت :

ـ أرجو أن تعدني بأنك ستصنع ما أطلبه منك ... انك تعدني، أليس كذلك ؟ أنا زوجة تاجر كبير في رواهبور. ولو علم زوجي بأنني خرجت وحدي من البيت وجئت الى هنا ، لقتلني. واليك الآن ما أريده منك .. أنا أعلم أنك ذاهب الى بمباي . وقد حملت اليك هذه الصناديق الثلاثة الصغيرة، وهي ملأى بالأفيون، لتبيع ما فيها في بمباي. فان زوجي قد رفض ان يشتري لي الحلى التي أريدها، ولابد لي من مال كثير لشرائها . والأفيون الذي في هذه الصناديق يساوي مبلغا باهظا، ويمكنك أن تحصل على ما يزيد عن وزنه من المال . اذهب الى عبد الله سنج ، وهو تاجر بشارع بمباي الكبير، وقل له انه هذا الافيون من حديقة الملكة برواهبور . وسيعطيك عبد الله مالا كثيرا تحمله الى عند ما تعود، وسأكون في انتظارك هنا ...

وعزمت على اجابتها الى طلبها ، على أمل ان أحصل فيما بعد على رضاها ، وعلى ابتسامة أخرى من فمها ونظرة من عينيها . والتفت المرأة بوشاحها، وتناولت مصباحها وهمت بالخروج .. فقلت :



— ولكن من قال لك انى ذاهب الى بمباى ؟ ومن انت ؟ ومن هو زوجك؟ وأين تسكنين ؟ فأنا لا أعرفك ولم أرك قط من قبل ..

— لا تكن فضوليا .. فقد طلبت منك خدمة اذا قمت بها جعلتني سعيدة. واذا رفضت فاني سأطلبها من رجل آخر !

— حسن ، لن أكون فضوليـــا ، وسنتحدث بعد عودتي ! ولكن كم تظنين ان التاجر سيدفع لى ثمنا لهذا الأفيون ؟

— خمس «مهورات» ذهبا للصندوق الواحد

— ولكن هذا مبلغ باهظ

— سيدفع لك ، اذا نقلت اليه الكلمات التى قلتها لك .. والآن ، دعنى أنصرف !

وخرجت مسرعة، واحتواها الظلام بعد أن أطفأت مصباحها . وجلست أفكر .. هل أنا فى حلم ؟ ولكن الصناديق الثلاثة أمامى على المنضدة.. وهى اثبات مادى محسوس

وقلبتها بين يدى ..كانت مصنوعة من القرن ومموهة بالذهب. ولم تكن مقفلة ، ففتحت احدها ، ووجدت فيه أفيونا كما قالت المرأة

فتذكرت الماجور الانجليزى ..انه يدخن الأفيون ، فلماذا لا أعرض عليه أن يشترى هذه الصناديق ؟

واستيقظت فى الصباح على صوت الماجور وهو يناديني ، فقصصت عليه ما حدث،وما انتهيت من سرد القصة، حتى أخرج من جيبه خفنة من الجنيهات الذهبية ألقاها على المنضدة ، قائلا بلهفة :

— اعطنى البضاعة حالا ! أريد أن انتزع هذه الصفقة من عبد الله سنج تاجر بمباى . وسأدفع لك خمسة جنيهات فوق ما تطلب المرأة . ولن يعلم التاجر شيئا مما حدث ! والآن ، لنذق طعم هذا الأفيون الممتاز ..

أعطيته جهاز التدخين الذى كنت أحتفظ به فى منزلى وان لم أكن ممن يستعملونه . وبعد ان أعد الماجور « التصبيرة » الاولى ، وتذوقها تذوق عارف عليم ، تنهد مسرورا ، وقال :

— لا شك لى أن هذا الأفيون يفوق كل أفيون عرفته حتى الآن .. ولكنه لا يستحق الثمن الذى تطلبه المرأة . غير انني لست آسفا على شرائى هذه الصناديق .. والآن ، اذهب،سافر، وستجدنى عند عودتك مستلقيا على سريرى ، فى خيمتى ، وأمامى تصبيرة الأفيون ..!

غادرنى الماجور وعاد الى خيمته . وأردت أن استطلع الحقيقة عن تلك المرأة فسألت خادمى « أكبر » فقال :

— لا يوجد أى تاجر فى رواهيور . فجيمنا هنا زراع ..واذا كانت الزائرة التى جاءتك الى هنا تتحلى بأقراط ذهبية، فهى ليست من بنات قومنا بل هى

غريبة . ولو كانت من هنا ، لسرقت أقراطها من زمن بعيد !

ـ يجب أن تضاعفوا انتباهكم فى غيابى وألا تدعوا أحدا يدخل البيت

ـ كن مطمئنا يا سيدى ، واعتمد علينا . سيكون البيت ساكنا كالقبر، ونحن صامتين كالموتى

وسافرت فى مساء ذلك اليوم .. وبعد ثلاثة أيام كنت فى بمباى

أنجزت عملى فى بمباى بسرعة . وأردت ان استوثق من صدق رواية المرأة ، فذهبت للسؤال عن التاجر عبد الله سنج . ووجدت المحل محلا ، واذا به مثل غيره من الدكاكين التى تباع فيها السلع التى يقبل على شرائها السائحون والاجانب فى الشرق . ورأيت شيخا جالسا أمام الباب ، فسألته :

ـ هذا محل عبد الله سنج ؟

ـ وماذا تريد من عبد الله سنج ؟

ـ أريد ان أقابله

فذهب الرجل ليناديه ، فعرفت أن عبد الله سنج ليس شخصا خياليا . وبعد قليل ، جاء شاب وسيم الطلعة ، متأنق فى هندامه ، وخيل الى وأنا أحدق فى عينيه انى قد رأيته من قبل . ولكن أين ؟ وخاطبنى بلغة انجليزية سليمة :

ـ ماذا تريد يا سيدى ؟

وكان قد لفت نظرى رأس جدى معلق فى الحائط ، فقلت :

ـ كم ثمن رأس الجدى هذا ؟

ـ كان يكفيك أن تسأل هذا الشيخ

ونادى خادمه وأمره بأن يضع الرأس بين يدى

ـ أهذا كل ما تريد ؟

ـ أريد أيضا شيئا من الأفيون

ـ أنا لا أبيع افيونا

ـ ومع ذلك ، فقد قيل لى أنك تبيع أفخر انواع الافيون

ـ من قال لك هذا ؟

ـ أناس فى رواهبور

ونظرت الى عينيه، وتذكرت . كان الشبه عظيما بينه وبين المرأة .. فهو بلا شك من أقاربها . وقال الشاب :

ـ أنت قادم من رواهبور؟ من حدثك عنى هناك ؟

ـ كثيرون .. وقد قيل لى انك تبيع أفيونا من حدائق الملكة

ـ أما قالوا لك شيئا آخر ؟

ـ كلا

ـ ولم يكلفك أحد بأن تحمل الى شيئا ؟

ـ كلا

ـ حسن جدا . ليس عندى أفيون للبيع .. لقد كذبوا عليك .. هل تريد رأس الجدى .. ان ثمنه ثلاثة جنيهات . ولكن ، من أعطاك اسمى؟

ـ جميع الناس يعرفون اسمك !

ولم يتمكن الرجل من اخفاء قلقه واضطرابه، فأدركت أن فى الامر سرا،



« ماذا تصنع هنا ؟

وجعل يسألني عن الاشخاص الذين أعرفهم في رواهبور، وعن القوة المرابطة فيها، وأسماء الضباط الذين يقودونها، مدعيا انه يعرفهم جميعا. وأظهر اهتماما بحالة المهراجا، وهل هو حقيقة مشرف على الموت أم لا. ولكنني تظاهرت بالجهل، ولم أجبه بوضوح عن أسئلته. ثم قال متململا :

— لقد غربت الشمس .. هل تريد رأس الجدي ؟

وكان معنى هذا ان الرجل يدعوني الى الانصراف بأدب، فاشتريت رأس الجدي وقفلت راجعا. وظل عبد الله سنج واقفا على عتبة دكانه يراقبني من بعيد. ورأيته يكلم الشيخ ويشير الى وبعد أن قطعت مسافة قصيرة، في شوارع وأزقة ضيقة، في طريقي نحو الميناء، شعرت بأن شخصا يتبعني، والتفت فاذا بالشيخ يجرى خلفي .. فانتهرته :

— ماذا تصنع هنا ؟

— سامحني يا سيدي .. أنا رجل مسكين .. اذا كنت متضايقا من سيرى في طريقك، فسأبتعد ..

— هل أمرك عبد الله سنج بأن تتبعني ؟

— طبعا. فهل يحلو لي أن أركض في الشوارع من تلقاء نفسي وبمحض ارادتي ؟

— لماذا أمرك بأن تتبعني ؟

— هو وحده يعلم ! انه يبيع الافيون وهو يخشى مراقبة البوليس

— من هو عبد الله سنج ؟ أليس من التجار ؟

— نعم هو تاجر. ولكن هناك اشاعات كثيرة تتداولها الالسنة عنه.. فمن قائل انه ابن ملكة « شهور » ومن قائل انه من سلالة مهراجات ميسور !

هددت الشيخ بلهجة جافة، فعاد على أعقابه وهو يقسم بأنه سيقول لسيده انه لم يتمكن من اللحاق بي. ووصلت بدون حادث آخر الى الفندق

وجعلت أفكر في هذه المسألة المعقدة. قد يكون عبد الله تاجر أفيون، وقد يكون سلوكه ناتجا عن خوفه من البوليس. ولكن، ما هذا الشبه الذي

بينه وبين المرأة التى زارتنى فى رواهبور ، هل هى أخته ؟ هل هى من أخص أقاربه ؟ هل هى زوجة تاجر متنقل تبحث لاخيها أو قريبها الافيون الذى تحصل عليه فى رحلاتها ؟

فكرت فى كل هذا وأنا داخل الى الفندق ، وفى أثناء الليل ، وفى طريقى فى اليوم التالى الى رواهبور ، وقبل أن يبلغ بى القطار أقرب محطة الى البلدة ، طرأت على ذهنى فكرة بعثت الرعب فى نفسى . أيكون ذلك الافيون مرسلا الى شخص معين ؟ أيكون مسموما يقصد به التخلص من حياة انسان ؟

وكان أول سؤال ألقيته على خادمى « أكبر » : « كيف حال الماجور ؟ »

وعلمت منه أن صديقى على أحسن حال ، وانه سأل عنى فى صباح ذلك اليوم . فتنفست الصعداء مرتاحا . وضحكت كثيرا من نفسى عندما رأيت الماجور يدخل على مرحبا مهنئا بسلامة العودة ، فسألته عن صحته فقال :

ــ الحمد لله ! وقد دخنت نصف صندوق من الافيون . انه لذيذ حقا . . واذا رأيت السيدة ، فاطلب منها كمية أخرى ، سأشتريها بأى ثمن ! وأنت ؟ هل تم كل شىء على ما يرام ؟

فقصصت عليه ما حدث لى فى بمباى . .

فقال :

ــ ماذا يهمنا ان كان الافيون مهربا أم لا . . انه لذيذ . . ان كل محرم لذيذ !

ــ كيف حال المهراجا ؟

ــ صحته تسير من سىء الى أسوأ . ان الدكتور « ريشتر » الألمانى يعالجه . ولكنه لا يقول شيئا عن المرض . فهو صامت كالصخر . . ولكن . . أظن أن المرأة الهندية ستزورك الليلة

ــ هذا ما أظن أيضا

ودعنى صديقى وانصرف . وبقيت انتظر زيارة المرأة الغريبة . وطفت أرجاء البيت والحديقة ، ولكننى لم أجد أحدا . وعدت الى حجرتى فاذا بها أيضا خالية ، فأويت الى فراشى ، وجعلت أفكر فى أعمالى ومؤلفاتى . ومرت على فترة من الوقت ، رفعت بعدها نظرى نحو المرآة الكبيرة القائمة أمام السرير ، فخيل الى اننى أرى من خلالها حركة فى الباب من الناحية الاخرى ، وفتح الباب قليلا ، ثم أغلق . . ورأيت المرأة الهندية أمامى . وسمعتها تخاطبنى : هل اشترى منك عبد الله سنج صناديق الأفيون ؟

ــ اسمحى لى ألا أرد فى الحال على سؤالك ، وان ألقى عليك من ناحيتى بعض الاسئلة

فتضايقت وقالت :

ــ ماذا تريد أن تعلم ؟

ــ أولا . . ما اسم زوجك ؟

ــ وماذا يهمك ؟

ــ لقد عهدت الى بمهمة خطرة

ــ خطرة ؟

— نعم .. تهريب أفيون ! هـذا خطر !

— ولكن زوجي يجهل ما فعلت

— ليكن .. ولكن أين هو ؟

— انه لا يسكن في رواهبور .. انه تاجر متنقل

— أنتم تسافرون مع القافلة التي مرت من هنا منذ أيام ؟

— نعم

— وأين تضربون خيامكم ؟

— على ضفاف النهر .. ولكن .. أرجو ألا تضايقني .. هل بعت الأفيون ؟

— نعم .. وبثمن يفوق ما طلبته مني

— صحيح ؟

أخبرتها انني بعت الافيون ، ولكن لرجل آخر غير عبد الله سنج . فبدت عليها أمارات الرعب والفزع ، وعندما انتهيت من حديثي ، وثبت علي ، وقبضت على يدي بيديها ، وحدقت في النظر صائحة :

— كيف ؟ ماذا تقول ؟ ألم تبع الافيون لعبد الله سنج ؟

وشعرت بأظافرها تنغرس في لحمي ، وعبثا حاولت اقناعها بأني حصلت لها على خمسة جنيهات فوق الثمن الذي طلبته ، ووضعت الذهب أمامها ، فألقته بعيدا ، وقالت في بحة مخيفة ، كأنها بحة حيوان مذبوح

— عليك اللعنة ! .. دعني انصرف ، انني أكرهك ! أمقتك ! عليك اللعنة ! .. اتركني والا قتلتك !

حاولت أن أوقفها ، فاستلت من صدرها خنجرا صغيرا واستعدت للقائي .. فقلت : -

— لا تحاولي الافلات .. انني أقوى منك !

— اذن سأقتل نفسي !

ووجهت النصل نحو صدرها .. فأمسكت بيديها ، وضغطت بكل قواي ، فسقط الخنجر على الارض ! وهدأت ثورتها فجأة ، فتمتمت بصوت ضعيف :

— اتركني يا صاحبي ! انك تؤلمني ! أنا مجنونة ! خشيت أن يذهب الرجل الذي اشترى منك الافيون الى رجال البوليس ويفشي أمري

— لا تخافي ! انني أثق به كل الثقة !

وتركتها .. فوثبت نحو البـاب واختفت !

وعدت الى التفكير .. كيف تركتها تنصرف ؟ ولماذا لم آخذ ثمن الافيون !

وماذا يجب أن أصنع الآن ؟

وفي الصباح الباكر ، جاء خادم الماجور يخبرني بأن سيده قتل في الليل !

أسرعت الى خيمته فوجدته على سريره جثة هامدة يابسة كالخشب .. وفي الجبهة آثار عراك عنيف

وقص علي الضابط الثاني ، فقال ان الحارس رأى شبحا يحاول الخروج من المعسكر فأطلق النار . وسمع صوت الماجور ، بعد اطلاق النار ، يسأل ما الخبر . وأسرع الجنود الى المكان

وجعلوا يبحثون ويفتشون فلم يعثروا على أحد . وذهب الضابط الى خيمة الماجور ليطلعه على ما حدث ، فاذا به يجد رئيسه ملقى على سريره ميتا !.. ولم يكن فى جسمه أثر لأى جرح . فأرسلوا فى طلب الطبيب الالمانى، ولكنه اعتذر لانه لا يستطيع ترك مريضه المهراجا وحده . وفحصت جثة الميت فتنبهت الى وجود بقع زرقاء على وجهه وبعض نواحي جسمه ..

وخرجنا من الخيمة، وعدنا الى المكان الذى أطلق فيه الحارس الرصاص ، فرأينا على العشب أثر أقدام . فمشينا متتبعين ذلك الاثر ، ووجدنا فى مكان بعيد قليلا عن المعسكر بضع نقط من الدم .. اذن ، فالمعتدى قد جرح ! وأكد الحارس انه أصابه برصاصة . وتابعنا السير ، ولم نجد عناء فى ذلك لاننا كنا نمشى على آثار الاقدام ومن وقت الى آخر على آثار الدم . وأدركنا بعد السير قليلا اننا نتجه نحو قصر المهراجا ..!

وفجأة، طرق آذاننا حفيف خافت . فاتجهنا الى مصدره ، ولمحنا شخصا يحاول الاختفاء . فأسرعنا نحوه ، وما اقتربنا منه ، حتى انتصب واقفا ، فاذا بنا أمام الدكتور ريشنر الالمانى، الذى حيانا باحترام :

ـ أيها السادة ،كنت قادما اليكم، ولكننى عثرت فى الطريق على هذه الآثار، التى يمكن أن تفيدنا فى بحثنا؟

ـ نحن أيضا كنا نتتبعها!

وعدنا معا الى خيمة الماجور . وقص الضابط الثانى على الطبيب كيف وقع الحادث . وقصصت عليه من ناحيتى حادثة الصناديق الثلاثة، وكل ما أحاط بها من ظروف وملابسات . وقلت انى أعتقد أن بين حادثة الصناديق ومقتل الماجور علاقة مباشرة . وبعد أن ألقى الطبيب نظرة سريعة على جثة صديقي القتيل ، قال :

ـ يا سيدي ، ان المسألة أصبحت ظاهرة واضحة .

وتناول الطبيب من جيوب معطفه صندوقين شبيهين بالصناديق الثلاثة التى جاءتنى بها المرأة . فبدت علينا جميعا دلائل الدهشة، ونظر بعضنا الى بعض . وقلت : ان الماجور مات مسموما بالافيون . وسألت الطبيب من أين جاء بالصندوقين الآخرين ، لاننا لم نجد بجانب الماجور غير صندوق واحد . ونظرنا اليه بشىء من الشك الممزوج بالتحدى . فدعانا الى الجلوس وخاطبنا قائلا :

ـ ستعلمون كل شىء .. ان المهراجا مات الليلة . ولم يعرف خبر موته غيرى أنا ، وأنتم ، وسيعرفه غدا نائب الملك عند ما يتلقى برقيتى . والرأى السائد بين الناس أن المهراجا شاب ضعيف البنية لايمكن أن يعيش طويلا . والحقيقة غير هذا ، فالمهراجا لم يكن

ضعيف البنية، ولكنه كان محكوما عليه بالاعدام من أعدائه، وقد مات بالتسمم البطيء . نعم ، مات مسموما ، ولم أستطيع أنا، وما كاد غيرى ليستطيع، أن ينقذه من الهلاك. فان السم النباتى الذى دس له لا يمكن للطب أن يجد له علاجا شافيا . وقد توسلت بجميع الوسائل لكى أنقذ المهراجا فلم أتمكن. وقد دخل فى دور النزع منذ عشرين يوما . وكنت أراه ينطفىء كالمصباح أمامى . وقد دعانى قبيل الفجر، وطلب منى أن أنادى نساءه ففعلت . وأنتم تعلمون أن أمراء الهند يتزوجون فى اليوم الذى يتولون فيه الامارة . فمهراجا رواهبور تزوج فى الثامنة من العمر امرأة أصغر منه سنا ، كانت بمثابة الملكة ، وكانت النساء الاخريات تابعات لها ، وهى امرأة بارعة الجمال والحسن والفتنة، واسمها شندرامانى، وهى من سلالة أمراء ميسور . وكان المهراجا يحبها حبا جما ويفضلها على جميع نسائه . ولم يرزق المهراجا أبناء من نسائه جميعا . وهذا ما يجعل وراثة العرش مسألة معقدة

سكت الطبيب لحظة ، ثم استطرد قائلا :

ــ وقفت نساء المهراجا حوله ، واقتربت منه زوجه المفضلة ، فنظر اليها بحب وهيام ، ومد يده الى عقد اللؤلؤ الوردى فى صدره ، فلم يجده فصاح صيحة هائلة ، ثم سقط ميتا ، وتصلب جسمه فأصبح كقطعة من الخشب . . .

ونظر الطبيب الى جثة الماجور :

ــ نعم ، . . هكذا قتل صديقكم . . وظهرت عليه بقع زرقاء مثل هذه البقع . . وفرت النساء الى خارج القاعة . . أما الاميرة شندرامانى، فقد صرخت صرخة قوية ، وسقطت على الارض ، فأسرعت اليها ، وتبين لى أنها ملطخة بالدم . . كانت مصابة برصاصة فى خاصرتها . فهى التى أطلق عليها الحارس الرصاص فى المعسكر . وهى التى جاءت الى هنا وقتلت الماجور !

فقاطعه الضابط الثانى قائلا :

ــ ولكن الماجور نادانا بعد أن أطلق الحارس الرصاص عليها . فكيف حدث هذا ؟

ــ أعتقد أن المرأة دخلت عليه وهو يدخن، فخيل اليه انه ما زال فى حلمه، حلم المدمن على تدخين الافيون . فدست له السم النباتى الذى قتل المهراجا فى عشرين سنة ، والذى قتله هو فى بضع ثوان ، فالمسألة مسألة كمية فقط . وعند ما خرجت المرأة وأطلق عليها الرصاص ، لم يكن الماجور قد شعر بعد بمفعول السم ، فناداكم سائلا عن الخبر ، ثم قضى عليه السم بعد ذلك بلحظات

فسألت من ناحيتى :

ــ ولكن ، كيف وجد هذان

الصندوقان معك يا دكتور ، بينما الثالث بقى هنا ...

ـ عندما سقطت الاميرة على الارض، كان هذان الصندوقان معها ،فأخذتهما . أما هي ، فقد حملتهما معها من هنا . وقد أفرغت ما فيهما ، وفحصت الافيون فلم أجد فيه أثرا للسم ،ولكنني وجدت في قاع أحد الصندوقين هذه الحلية !

ووضع الطبيب أمام أنظارنا عقدا بديع الصنع ، مكونا من سبع حبات من اللؤلؤ الوردي ، أي العقد الذي بحث عنه المهراجا ولم يجده !

ـ ان هذه الحلية هي شارة الملك، تناقلها المهراجات في رواهبور أبا عن جد منذ مئات السنين . وكان المهراجا الميت يبحث عنها لارسالها الى الشخص الذي يختاره خلفا له بعد موته فمن هو الشخص الذي اختاره الراحل؟ هذا ما لا يعلمه أحد، أما الاميرة شندراماني، فانها كانت تريد ان توصلها الى شخص آخر .. فمن هو ؟ انه عبد الله سنج! فان هذا الرجل ليس تاجرا كما قالت لك المرأة يا سيدي ! بل هو أمير يجري في عروقه دم ملكي . هو شقيق الاميرة شندراماني . وهو الذي كانت هذه المرأة تريد أن يصبح العقد الثمين بين يديه ، ليعود اليه العرش بعد موت المهراجا زوجها . ولو حملت يا سيدي الصناديق الثلاثة الى بمباي ، وسلمتها لعبد الله سنج ، لتحققت خطة الاميرة كما رسمتها . فهي التي قتلت زوجها بالسم النباتي البطيء ، وهي التي سرقت الحلية شارة الملك من عنقه لترسلها الى أخيها . وكانت تعلم الساعة التي سيموت فيها زوجها . ولكنك أفسدت عليها خطتها باعطائك الافيون للماجور الانجليزي . فجاءت لتستعيد الصناديق ، وقتلت الماجور بالسم ، وأخذت الصندوقين الباقيين . وبقتلها الماجور ، كانت تنتقم لقومها من الضابط الذي قمع بكثير من العنف ثورة السكان في هذه الامارة . أما الآن ، فقد مات المهراجا ، ولكن « الملكة » أيضا ماتت معه ، وعبد الله سنج يجهل كل شيء ، ولن تتاح له الفرصة لاصلاح ما أفسدته عليه أنت يا سيدي ، لان العقد شارة الملك معنا، وسنسلمه للسلطات المختصة للتصرف به كما تريد ..

ونقلت جثة الماجور ودفنت في احتفال عسكري . أما المهراجا ، فقد دفن حسب المراسم الهندية ، مع زوجه ..

وفكرت طويلا في المرأة الهندية الجميلة ذات العينين البراقتين ، التي جاءتني بصناديق الافيون الثلاثة ، في ظلام الليل ، والتي كنت آمل أن تكافئني بابتسامة حلوة !

[عن مجلة « جورنال دي فوياج »]



غرام ملك

قصة غرام ليوبولد ملك البلجيك الشيخ الذى أحب فتاة من الشعب ، واغرم بها ، وكاد بسببها يفقد عرشه

كانت تتفاءل بالرقم « ٧ » منذ عرفت الأرقام . فلما سمعت الساعة تدق سبع دقات ، ثم سمعت على أثر ذلك وقع خطوات فى الردهة الداخلية بالفندق ، أعقبها طرق باب حجرتها فيه ، اختلج قلبها سرورا ، وازداد وجهها الجميل اشراقا ، ورفعت صوتها تأذن للطارق فى الدخول ، متوقعة أنه جاءها بنبأ جديد سار

ودخل صبى فى الرابعة عشرة ، مشرق الطلعة ، فى بزة حسنة ، فوقف أمامها منحنيا فى اجلال ، ثم مد اليها يده ببطاقة تحمل اسم « مدام مارلينوف » . وقال :

ـ ان صاحبة هذه البطاقة تحيى سيدتى وتنتظرها فى مقصف الفندق لأمر ذى بال !

وأعادت الفتاة ، واسمها « دى لاكروا » ، قراءة الاسم ، فلم تذكر أنها تعرف صاحبته ، ولكنها لم تشأ أن ترفض الدعوة التى وجهت اليها فى تمام الساعة السابعة ، اذ حدثها قلبها بأن وراء هذه الدعوة ما يسرها ، فالتفتت الى الصبى وقالت له :

ـ حسنا ، بعد دقائق أرجو أن يسعدنى الحظ بلقاء السيدة

وما ان اجتازت الفتاة باب

مقصف الفنــــدق ، حتى نهضت لاستقبالها سيدة أنيقة فى سن الأربعين من عمرها ، ترتدى ثوبا من المخمل الثمين . فعرفت أنهـا السيـدة مارلينوف · وبعـد أن حيتها هذه ورحبت بها ، دعتهاالى الجلوس بجانبها فى ركن هادىء من المقصف.ثم قالت لها باسمة:

ـ ما اســعدنى برؤيتك ، وبأن أكون سببا فى سعادتك ، فقد بعثنى اليك ذو شــخصية عظيمه ومركز رفيع . لست فى حل من ذكر اسمه ومركزه الآن، لأدعوك الى مقابلته

وكانت الفتاة فى السادسة عشرة من عمرها،وقد خطبت منذ سبعة أشهر . ولم يبق على موعد زواجها غير سبعة أيام ، فبدا لها لأول وهلة أن ترفض هذهالدعوة الغريبة . ولكن فضولها ، مضافا اليـه تفاؤلها بالرقم « ٧ » وما شـعرت به من عطف السيدة مارلينوف ·· كل هــذا جعلها تـتردد فى الرفض ، ثم ما لبثت قليلا حتى رجحت كفة القبول ، فقالت للسيدة :

ـ حسنا ·· سوف أقابله · ولكن متى وأين ؟

فقالت السيدة : « غـدا ، فى مثل هذه السـاعة ، نتقابل هنا لأصحبك اليه »

□

وفى الموعد المحــدد . كانت السيدة تنتظرها بعربة فاخرة أمام باب الفندق ، وسارت بهما السيدة وتقدمت الفتاة حتى بلغتا وقفت أمام قصر منيف · فنزلت السيدة وتقدمت الفتاة حتى بلغتا ردهة القصر الداخلية ، فاذا فى انتظارهما شيخ وقور ، اشتعل شعر رأسه ولحيته شيبا ،فتلطف فى استقبال الفتــاة والترحيب بها ، ثم أجلسها الى جواره على أريكة فخمة هنــاك ، بعد أن أذن للسيدة مارلينوف فى الانصراف

وأخذ الشيخ يد الفتــاة بين يديه ، وسـألها مبتسما : « ألم تعرفى من أكون ؟ »

فتضرجت وجنتاها ، وأسرعت دقات قلبها ، وقالت فى صـوت مضــطرب : « نعم أنت جـلالة الملك أوسكار ، ملك السويد »

فقهقه الشيخ ، وشد على يدها قائلا : « لا ·· لست أوسكار ملك السويد ·· انى ليوبولد ملك البلجيك »

□

وراح الملك يصف للفتـــاة سعادته برؤيتها ، وكيف أحبها منـذ وقع نظره عليها · ثم ختم حديثه معها قائلا : « ستذهبين الى حجرتك فى الفندق الآن ، وبعد ساعات يكون لديك كل ماتحتاجين اليه للقيام برحلة طويلة · فقـد أعددت العدة لكى تلحقى بى فى مدينة « بادجاستين » بالنمسا · وهناك سأقدمك لمعارفى باسم كونتيس « ديتزى » · وهو اسم

اطلقته على فتاة كنت قد تبنيتها في ايطاليا

وبغتت الفتاة ، وقالت ويدها ترتجف بين يدى الملك وهو يودعها :

ـ ولكن ذلك متعذر يا مولاى ، فانني مخطوبة لضابط في الجيش اسمه « ايمانويل دورييه » ،وقد قررنا أن نعقد الزواج بعد سبعة أيام

وكان الملك يعلم ذلك من قبل، فلم يعبأ بسماعه ، وقال للفتاة :

ـ حسنا ٠٠ اذن تبدأ رحلتك منذ غد !

وفى صباح اليوم التالى،تلقت الفتاة جواز السفر ، ونخبة من الهدايا الثمينة ، وعشرين ورقة مالية كل منها بالف فرنك٠ ومع هـذه الأشياء خطاب به جميع التعليمات الخاصة بالرحلة الموعودة

ولم تفكر الفتاة طويلا ، فقد ضعفت أمام اغراء المال ، وكتبت الى خطيبها رسالة ذكرت له فيها انها اضطرت الى السفر الى جنوب امريكا لزيارة أختها هناك !

وقضت ثلاثة أسابيع مع الملك في بادجاستن ، ثم حجز لها جناحا فيأحد الفنادق ببروكسل، وأصبح يتردد عليها مرة كل أسبوع ، الى أن ماتت زوجته « مارى هنريت » ٠ فأمر باعداد «فيلا» بديعة في مواجهة قصره، خصصها لسكنى حبيبته « دى لاكروا» وأقام قنطرة عبرالشارع الذى يفصل بين الفيلا والقصر ليسهل عليهما اللقاء كلما شاءا

▭

وكان للملك ثلاث فتيات من زوجته الراحلة ، فحاولن بمعاونة بعض رجال الحاشية افساد العلاقات بينه وبين عشيقته الجديدة ٠٠ ولكن هذه المحاولات كلها ذهبت مع الريح ، اذ كان حب دى لاكروا قد تمكن من قلب الملك الشيخ ، فاصبحت كل شيء في حياته ، وهدد أكثر من مرة باعتزال العرش اذا هو حال بينه وبين البارونة دى لاكروا

وحدث في ذات مساء أن كانت البارونة تتنزه بعربتها فى احدى ضواحي بروكسل ، فهجم عليها بعض النسوة ، وحاولن الاعتداء عليها ٠ فلما أخبرت الملك بما حدث ، دعا اليه وزير الداخلية ، وقال له غاضبا : « لقد أهينت البارونة وهى تتنزه أمس ،وأنت المسئول عن ذلك بوصفك وزيرا للداخلية ، وعلى كل حال يجب الا يحدث مثل ذلك مرة أخرى !»

وكانت البارونة تصغي الى هذا الحديث،دون أن يعلم بذلك وزير الداخلية ، فسمعته يقول للملك:

ـ أرى يا مولاى أنه يحسن أن تغادر البارونة العاصمة بعض الوقت فانالرأى العام ثائرضدها

وكادت تصعق فى مكانها على أثر سماعها ذلك ، لولا أنسمعت الملك يضرب المنضدة التى كان يجلس اليها بقوة ويقول للوزير:

ـ أى رأى عام تعنى يا هذا ،

وما للناس وحياتي الخاصة ؟..
ثق أن البارونة اذا غادرت بلجيكا فانني سأغادرها معها في الحال !

▭

وفي ذات مساء ، وبينما كانت البارونة تسير في احد شوارع العاصمة ، اذ فوجئت برؤية «دوربيه» خطيبها الضابط الشاب . وسألها أن تسمح بلقائه لحظات ، فحددت موعدا قابلته فيه ، وما ان شكا اليها سوء حالته المالية حتى أعطته مبلغا كبيرا من المال . على أن يغادر بلجيكا في الحال . ولكن هذا أغراه بالبقاء ، وبأن يكرر طلب المال منها بعد ذلك مرات

ودخل عليها الملك قصرها يوما ، فاذا به يجد عندها « دوربيه » . فقدمته له على أنه أخوها «اتيين» . ولكن الملك لم تجز عليه كذبتها ، وغادر القصر غاضبا وظل اسبوعين منقطعا عن مقابلتها . على أنه ما لبث أن عفا عنها بعد أن أخبرته بالحقيقة

ومضت الأيام ، وشعور الكراهية نحوها يزداد بين الشعب البلجيكي . وأخذت الصحف تحمل عليها ، ناشرة مختلف الاشاعات عنها . وكأنما رأى الملك أن يعوضها عن ذلك ، فاصطحبها في رحلة بحرية ، طافا فيها بكثير من البلدان ، ثم استقر بهما المطاف أخيرا في فرنسا ، حيث وضعت البارونة ولدا ، فكان ذلك مبعث سرور وأسى للملك في وقت واحد ، لأن زوجته الشرعية لم تنجب له سوى ثلاث بنات ، ولأن هذا الولد الذي رزقه أخيرا لن يعتلي العرش لأن أمه ليست زوجة شرعية . وبرغم ان القانون يحول دون الاعتراف بمثل هذا الابن ، فان الملك منحه لقب « دوق ترفيرون »

▭

واستأنف الملك والبارونة رحلتهما البحرية الطويلة ومعهما ولدهما العزيز . وكان قد اختار أحد الأمناء واسمه كونت «فوناد» لمرافقتهما في الرحلة ، فبينما البارونة جالسة وحدها على سطح السفينة ذات ليلة اذ فوجئت بالكونت فوناد هذا يطوقها بذراعيه من الخلف ، ويبثها وجده بها وهواه ، فما كان منها الا أن لطمته على وجهه لطمة قوية ، وطردته من أمامها مشيعا باللعنات . ولم تر أن تخبر الملك بما حدث ، ولكنه كان قد شاهد ذلك الموقف دون أن يرياه . فلما كان اليوم التالي دعاها الى غرفته ، فاذا بها ترى «فوناد» واقفا أمامه وهو يرتجف . وقال لها الملك : «لقد دعوتك الآن لتشهدي طرد الكابتن « فوناد » الخائن »

وبعد هذا الحادث بحوالي شهر ، عاد الملك والبارونة الى باريس ، ونزلا بأحد فنادقها ، ثم دعي الملك الى بروكسل لمهمة خاصة . فتركها في الفندق ، وعهد في خدمتها الى رجل من أمنائه اسمه «فرمونت» . فلما كان صباح اليوم التالي لسفر

الملك الشيخ اذا بها تفاجأ بدخول «فرمونت» هذا غرفتها الخاصة ، ثم بتصريحه لها دون مقدمات بأن حبها قد ملك شغاف قلبه ، ولكي يثبت لها صدق حبه أخرج مسدسه وصوّب فوهته نحو رأسه وقال لها :

ـ اذا لم يكن في قلبك مكان لي فانني ساقتل نفسي !

واكتفت البارونة بأن ألقت عليه نظرة احتقار ولم تجبه . فضغط زناد المسدس ، ولكن الرصاص لم ينطلق منه اذ كانت خزانته فارغة . فلم تزد هي على أن رمقته بنظرة سخرية وازدراء أخرى ، وحينئذ قال لها :

ـ أي مولاتي ومعبودتي . اذا لم يكن سوى الموت ما يدل على صدق محبتي ، فها أنذا أبادر الى الموت راضيا بالقفز من هذه النافذة !

وقالت له البارونة الجميلة الشابة :

ـ حسنا .. هيا اذن الى النافذة أيها المحب الصادق !

وشد ما كانت دهشتها حين رأته يسارع الى النافذة ثم يقذف بنفسه منها فعلا . ولم يسعها الا أن تصرخ من الفزع ، ثم هرعت الى النافذة وأطلت منها لترى ما حدث للمسكين، ولكنها لم تجد أثرا له . وأخيرا لاحظت أن هناك شرفة تقع تحت نافذتها مباشرة ، ولا تبعد عنها أكثر من مترين .

فأدركت أنه قذف بنفسه اليها

ولما عاد الملك وعلم بهذا الحادث، اكتفى بطرد الرجل من خدمته

وأنجبت البارونة للملك ولدا آخر ، عاش حتى بلغ السادسة من عمره ثم مات . وفي ذلك الحين، كان الشعب قد ثار ضد الملك واتهمه بالتبذير والاسراف في سبيل ارضاء عشيقته . وكان قد أوصى لها بقصرين وضيعة كبيرة

□

وفي سنة ١٩٠٩ مرض الملك الشيخ، وقرر أطباؤه أنه في حاجة الى اجراء جراحة عاجلة خطيرة . فدعا اليه البارونة ، ودعا كاهنا ليعقد له عليها

ومات الملك في أثناء اجراء الجراحة، فخلفه على العرش الملك «البرت» ابن أخيه . ولم يسع البارونة على اثر ذلك الا أن تأخذ ولدها وتغادر بلجيكا . حيث استقر بهما المقام في باريس ، ولم تمض على موت عشيقها الملك الشيخ أربع سنوات حتى تزوجت من خطيبها الأول الضابط الشاب دوربيه ، ولكنه راح يستغل ثروتها وينفق منها بغير حساب . فطلقته ، وباعت القصرين اللذين كان الملك الراحل قد اشتراهما لها ، وانتقلت الى ضاحية نائية حيث أقامت هي وابنها في هدوء حتى ماتت منذ سنوات

[عن مجلة « أمريكان ويكلي »]



الممثلة الأميرة

كان اسمها « رودا موريل ماري بودام » ، وقد ولدت ونشأت في « دبلن » حيث كان ابوها يعمل ضابطا في الجيش البريطاني . فلما شبت عن الطوق ـ وكانت على جمال وفتنة يستهويان القلوب ـ قررت احتراف التمثيل المسرحي الذى كانت تهواه ، وانضمت الى احدى الفرق الاستعراضية الجائلة ، مستبدلة باسمها اسم « جاى ديزموند »

وذاقت مرارة الفشل في أول الامر ، فرغم جمالها الصارخ ، كانت شخصيتها اضعف من ان تشق لها سبيل النجاح ، وبخاصة أن صوتها في الغناء لم يكن له ذلك الرنين الذى يهز قلوب سامعيه

على انها لم تيأس ، وما لبثت ، بفضل الاعجاب بجمالها من بعض ذوى السلطان في عالم المسرح البريطاني ، ان وفقت الى الظهور على مسارح لندن في بعض الاستعراضات . ولكنها ظلت سنوات دون أن يتحقق حلمها وترى اسمها فوق واجهات المسارح ، يخطف الأبصار ببريقه وسناه

ولاحقها الفشل في حياتها الخاصة أيضا ، فقد أحبت وتزوجت ، ولكن عمر زواجها الاول كان اقصر من عمر الزهور ، ومع هذا لم تستسلم لهذا الفشل المزدوج واصرت على أن تفوز من الحياة بما تأباه عليها الحياة

وجاء الى لندن أمير روسي فنان ، هو « بول ترويتزكوى » . وكان



أوتيرو : ساحرة القياصرة

قد هاجر الى امريكا واصبح فيها من مشاهير المثالين ، ثم جاء الى اوربا لعرض تحفه الفنية فى عواصمها. وما ان التقت به «جاى» حتى راعها ما فى شخصيته من قوة مغناطيسية ، وسرعان ما ألف الحب بين قلبيهما ، ثم كان زواجهما فى سنة ١٩٣١ ، برغم انه كان فى الخامسة والستين ، وهى لم تجاوز الثانية والثلاثين !

وظنت « جاى » انها بلغت بهذا الزواج ذروة ما كانت تنشده فى حياتها من اطمئنان واستقرار. ولكن القدر كان متربصا بها ، ولم تمض أسابيع على زواجها من الأمير الروسى الفنان ، حتى دب بينهما الشقاق ، ثم انتهى بالافتراق ، بمثل السرعة التى تم بها الوفاق . وعاد الأمير الى ايطاليا حيث اقام بقصر له هناك الى ان مات سنة ١٩٣٨

وبقيت هى فى لندن ، تبحث عن السعادة من طريق آخر

واتجهت الى الكتابة لكى تخفف بها ما تعانيه من وطأة الفراغ ، وكان أن ابتسم لها الحظ فتجلت مواهبها فى هذا الفن ، واخذت الصحف تتخاطف ما تكتب ، كما ان دور النشر اخذت تتنافس فى الحصول على حق طبع مؤلفاتها . وهكذا قدر لها ان تبلغ الشهرة التى طالما تاقت اليها ، من حيث ارادت اللهو والتسلية

واقتنت « جاى » سيارة كبيرة للرحلات ، صنعت على هيئة يخت ، ثم راحت تتنقل بها فى أنحاء اوربا ، تاركة منزلها فى لندن لتحل به كلما استقر بها النوى فى العاصمة البريطانية من جديد

وبعد أن جمعت ما يزيد عن ١٦٠ الف جنيه ، اشترت قطعة أرض كبيرة فى ضواحى لندن ، مساحتها ٣٠ ميلا مربعا ، لتقيم فوقها مدينة صغيرة خاصة بسكنى نجوم السينما الانجليزية ، على نحو « تلال بيفرلى » التى يقيم بها نجوم هوليوود . . ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حال دون تنفيذ هذا المشروع ، كما حال بين «جاى» وبين استئناف رحلاتها ، فاعتكفت فى قصرها تندب حظها العاثر ، وادمنت الشراب الى حد الافراط

وفى ذات صباح ، عثروا بها صريعة بجانب صخرة على مقربة من قصرها . وكان براسها جرح كبير ، وكانت قدماها ملوثتين بالوحل

وتبين من التحقيق انها كانت قد افرطت فى الشراب ، وخرجت من قصرها فى جولة ، وكان الضباب كثيفا ، فهوت على تلك الصخرة من أحد المرتفعات !

وكذلك انتهت حياتها . وكانت نهايتها قاسية مفجعة

ساحرة القياصرة

اذا كانت « هيلين » ملكة طروادة هى اكثر غانيات الأساطير استغراقا فى المغامرات ، فان القرن التاسع عشر شهد امراة اخرى تبزها فى مغامراتها . . تلك هى



جرتى ميلر

« اوتيرو » الممثلة الاسبانيـة الحسناء ، واول من عرفتهن اوربا كلها من فتيات الحائط الجميلات

ظلت « اوتيرو » طول القـرن الماضى وهى عروس المسارح فى جميع العواصم الأوربية ، يتزاحم حولها المحبون والمعجبون من ابناء الأسر الكبيرة والفنانين واصحاب الملايين ، ولكنهـا لم تكن تعرف الحب الا على انه وسيلة للتسلية والترفيه ، واشباع رغبتها الجامحة فى الاستهتار والمجون والانغماس فى المغامرات

كان يلذ لها ان ترى عشاقهـا يقتتلون من أجلها ، وما كان اشد نشوتها حين تسمع بان احدهم انتحر ، لانها لم تستجب لهواه ، او قتل آخر لأنه نافسه فى غرامها

وقد نشات « اوتيرو » فى بيئة الغجريات الاسبانيات ، فاحترفت الرقص وهى فى الثانية عشرة من عمرها ، وكانت تعرض رقصاتها فى أحقر الحانات ، مثيرة فى نفوس روادها السكارى احط الغـرائز الحيوانيـة . وظلت على ذلك سنتين ، ثم اذا هى تقفز مرة واحدة الى مصاف نجـوم المسرح ، لا راقصة فقط بل ممثلة ايضا

وطافت بمسارح اوربا ، تعرض على جماهيرها الوانا مختلفة من فنها . وكانت بحق ممثلة لاتبارى ، ولكن الشيطان الذى كان يطل من نظراتها فى صغرها ظل يحتـل مكانه فى عينيها .. فلم تكن ترى فى اى رجل يدنو منها الا العوبة

فستا تيلر



تلهو بها ثم تنبذها بعد أن تصبح حطاما

وحتى قياصرة روسيا والمانيا، شغفتهم « أوتيرو » حبا ، وقد بلغ من تدله القيصر وليم الثانى بها ان كلف احد كبار الرسامين - فى عام ١٨٩٠ - بعمل صورة زيتية لها دفع فيها مبلغ الف جنيه ، ثم اهداها اليها دليلا على الاعجاب والتقدير

وهكذا مضت « أوتيرو » على هذه الوتيرة ، تعيش للغرام الزائف والمغامرات . حتى اذا تقدمت بها السن ، وجدت عشاقها قد انفضوا من حولها ، واضطرت الى أن تعيش فى عزلة قاسية فى مدينة « نيس » بفرنسا ، حتى نضب كل ما كان لديها من مال قليل ، واضطرت الى ان تبيع اثاث منزلها وبقية ما احتفظت به من تحف ، ومن بينها صورتها الزيتية المهداة من القيصر . وقد باعتها بثلاثة جنيهات !

ملكة الأندية الليلية

هى « تكساس جينان » راعية البقر الامريكية التى كانت حياتها سلسلة من الكفاح المتواصل ، مبعثه فشلها فى اول غرام !

والواقع انه لم يكن فشلا بالمعنى المعروف ، ولكنه كان شفقة منها بزوجة طريحة الفراش اراد زوجها أن يضحى بها من أجلها . فرفضت ذلك بإباء ، برغم تدلهها فى هواه !

وكانت « تكساس » ذات جمال أخاذ ، وقد احترفت منذ نشأتها ترويض الخيل وركوبها فى استعراضات تقام فى « سيرك » بغرب أمريكا يملكه ويديره رجل أسمه « روميرو كيلجانون » . وقد احبها وبادلته هى حبه دون أن تعرف أنه متزوج ، وأن زوجته تقاسى مرضا عضالا فى أحد المستشفيات . فلما كشفت الامر ، هجرته وسافرت الى نيويورك مع صحافى اسمه « تيم كالاهان » . وقد أحبها تيم أيضا وعرض عليها الزواج ، فقبلت لكى تنسى كيلجانون

ولكنها لم تكن لتنساه ، وقد لاحظ هذا زوجها بعد أن مهد لها سبيل الظهور على مسارح نيويورك فنالت اكبر النجاح .. وكان أن طلقها بعد أن يئس من استمالتها نحوه

وبرغم المجد الفنى الذى نالته، بقيت شقية بحياتها لأن حبيب قلبها لا يشاركها فيه . وانتابتها لذلك علة أجمع الأطباء على اليأس من علاجها ، بل قرروا ان « تكساس » لن تعيش اكثر من سنتين

وكان ذلك فى أثناء الحرب العالمية الاولى ، ثم رحلت « تكساس » الى هوليوود ، على امل الظهور فى أفلامها ، والمساهمة بأموالها فى انتاج بعضها . ولكنها اصيبت بخسارة فادحة اضطرتها الى العودة الى نيويورك للاشتغال بالمسرح من جديد . على ان ابواب المسارح اغلقت فى وجهها ، ولما كانت تعرف أن حياتها قصيرة

فقد اخذت تعطي نفسها كل ما تهفو اليه ، واتفق أن كانت مع صديقة لها من فتيات المسرح فى ناد ليلى كاسد يملكه احد معارف صديقتها . فخطرت لتكساس فكرة تنقذ هذا النادي مما هو فيه .. فاعلنت عن حفلة ساهرة دعت اليها علية القوم وبعض مشاهير المسرح والسينما .. ولبى الجميع الدعوة ، وبعد ان تناولوا العشاء ، وقفت تكساس بينهم تعرض عليهم بعض مواقفها التمثيلية الغنائية التي اشتهرت بها . ثم صارحت المدعوين فى النهاية فى اسلوب فكاهى لطيف ، بأن دعوتها لها ثمنها ، وان على كل منهم ان يدفع ٢٥ ريالا مقابل اللحظات السعيدة التى قضاها



ماري مور



ماى يوهى



وضحك الجميع لهذه المفاجأة ، ودفعوا الثمن راضين ، وكان ذلك فاتحة مجد لم يشهده اى ناد ليلى آخر فى نيويورك ، وكان أن اصبحت « تكساس جينان » ملكة الأندية الليلية فى نيويورك

ولما اوشكت نهايتها .. جاءها حبيبها « روميرو » ليخبرها ، بان زوجته ماتت ، وانه على استعداد للزواج منها . ولكنها كانت تنتظر الموت ، فتظاهرت بأنها لم تعد تحبه ، وان كانت تتلظى شوقا اليه

ولم يعرف روميرو حقيقة الامر ، الا بعد أن ماتت « تكساس » بعد اسابيع



اوليف ماى

ممثلات نبيلات

كثيرات من الممثلات اللاتى حصلن على الالقاب النبل والشرف، عن طريق زواجهن بأصحاب هذه الألقاب

وهذه « ماى يوهى » . كان ابوها امريكيا ، وكانت امها من قبائل الهنود الحمر . وقد احترفت التمثيل والغناء ، ثم سافرت الى لندن فى سنة ١٨٩٣ للظهور على مسارحها . وهناك رآها اللورد فرنسيس الذى ورث الماسة التاريخية المشهورة «هوب» التى سرقها أحد المغامرين الفرنسيين من معابد الهند .. وكان فرنسيس هو الذى سماها « هوب » أى الأمل ، فلما أحب « ماى يوهى » وتزوجها ، أهداها تلك الماسة .. فكان من شؤمها عليها أن هجرت زوجها اللورد ، وهربت الى امريكا مع احد الافاقين . وهناك هجرها عشيقها ، فذاقت مر الهوان .. ودفعتها الحاجة الى الاستجداء ، حتى ماتت قبيل نشوب الحرب الأخيرة وهى لا تملك درهما

وهناك ممثلة اخرى من ذوات الالقاب هى « فستا تيلر » او « الليدى دى فريس » ما زالت

تنعم حتى الآن بالحياة الرخية الهانئة . وبرغم أنها فى الرابعة والثمانين من عمرها . ما زال صوتها على حلاوته التى اشتهر بها حين كانت تحترف الغناء

وقد اعتزلت « فستا » المسرح سنة ١٩٢٠ ، وكرست حياتها لزوجها اللورد وولتر دى فريس الذى مات سنة ١٩٣٥ بعد أن عاش ٤٥ عاما كأسعد ما يكون زوجان ، وقد خلف لها ثروة تقدر بستين الف جنيه

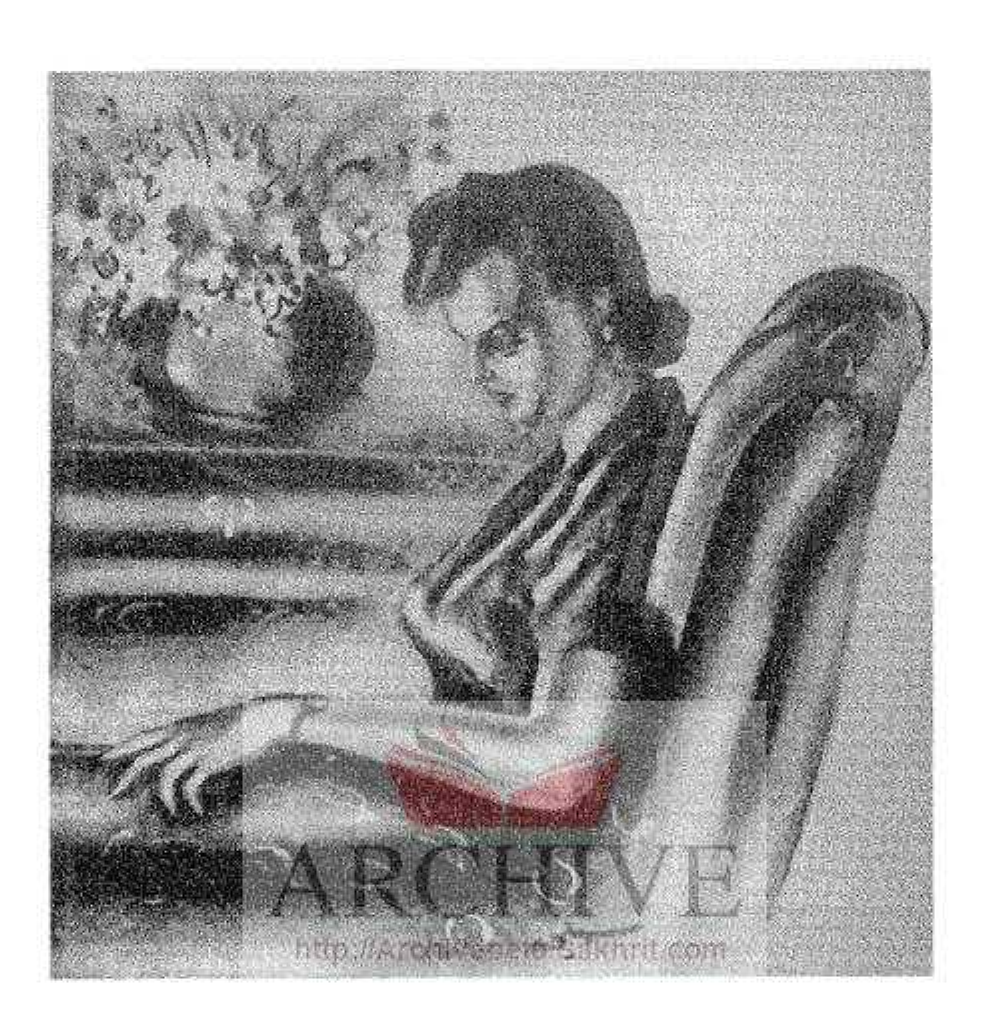
ومثل « فستا » فى ذلك الممثلة « مارى مور » التى تزوجت من الممثل « تشارلس وندهام » .. وهو من أوائل ممثلى الانجليز الذين فازوا بالانعام الملكى عليهم . وقد ورثت عنه زوجته ثلاثة من اكبر مسارح لندن ، فلما توفيت قدرت الثروة التى خلفتها بمبلغ ١٧٨ الف جنيه

وكانت « جيرتى ميلر » من كواكب المسرح الفكاهى فى سنة ١٩٠٠ ، وهى تعرف الآن باسم « الكونتس دادلى » فقد أحبها « ايرل أوف دادلى » وتزوجها ، وخلف لها عند موته ثروة تقدر بأربعمائة الف جنيه !

وهناك « أوليف ماى » احدى نجمات المسارح الاستعراضية فى لندن . فقد تزوجت من احد النبلاء ، فأصبحت تعرف باسم « الكونتس دريجيدا » . وقد توفيت أخيرا فورثت عنها شقيقتها الممثلة « ادنا ماى » ثروة تقدر بثمانية وعشرين الف جنيه . وقد اراد الحظ أن يضاعف ثراء هذه الشقيقة ، فتزوجت هى الأخرى من أحد رجال الاعمال ، فلما مات خلف لها ثروة تقدر بمليون جنيه !

[لمراسلنا الخاص فى هوليود]





المطلقـــة

بقلم الدكتور أحمد زكي بك

وصاحت صيحة أخيرة : يا الله ! كل الاحزان الا حزني هذا ، وكل الوجائع الا وجيعتي هذه . ويزيد في وجيعتي انها من صنع يدي .. »

قلت لصاحبتي : لست قصاصا فاحكي لي حكاية مما يتصل بين الرجال والنساء من حب وكراهة

قالت : ان حكاية ما بين الرجل والمراة على الحب تدور

قلت : فاحكي لي حكاية المراة التي طلبت الحب ، فلما جاءها ، واستقر عندها ، اصابها القلق ، فاورثها القلق الشجن ، واورثها الشجن الفراق . فلما فارقت ندمت اكبر الندامة

قالت : لك ذلك . واخذت تحكي

▭

كانت بالامس القريب زوجة ، اما اليوم فقد انقطع مابينها وبين زوجها من صلات

ووقفت في المنزل ترقب الحمالين يرفعون الاثاث من حجراته . وجاءها حمال يسأل ، وقد وقفت عند النافذة واسندت ظهرها الى الحائط تفكر :

ــ اهذا كل شيء ياسيدتي ؟

ــ نعم ، الا هذه الكنبة الزرقاء ، وهذه المنضدة ، وهذين المصباحين ، وصندوق الكتب هذا . اما سائر الاثاث فيبقى . انه ليس مما ينقل

وعادت الى التفكير ، حيث هي من الحائط : هذه الكنبة الزرقاء ، لطالما نقلت من هذا المكان ، ثم عادت اليه ، تقترح هي نقلها ، فيوافق هو . فلما تنتقل ، ترى هي انها غير مستقرة في مكانها الجديد ، فتقترح ان تعود ، فيوافق هو . لكثر ما نقلاها ثم أعاداها . وحجرة النوم ، هذا الاثاث الذي فيها ، او هذا الذي كان فيها ، كم نقلاه وكم بدلاه بطلوع كل ربيع !

وهنا تلحظ امرا

ــ ايها الحمال . لقد نسيت شيئا . منضدة الزينة بحجرة النوم . . لا ، لا . ليست هذه . ولكن تلك ، ذات المرآة العريضة . فهذه تخرج ايضا

وما هي الا دقائق حتى خرج الحمالون . وسمعت أصواتهم على السلم ، يحذر بعضهم بعضا كلما مال بهم ما يحملون . واخيرا سمعت باب الدار يغلق . لقد اغلقوه بعنف فكأنما أغلقوا بابا في قلبها

وابتعدت عن الحائط التي استندت اليها ، تتجهز للرحيل

قالت : والآن لم يبق الا ان اخرج انا ايضا . لقد انتهى كل شيء ، انا جاهزة . ولابد ان أصل الى الدار الجديدة قبل أن يصل هؤلاء الرجال . لابد أن القاهم فيها عندما ينزلون الاحمال

ولكنها احست بتعب في ساقيها . ام هو في غير ساقيها ؟ لم تدر . ولكنها وجدت الى جانبها ذلك الكرسي الاخضر الوثير فارتمت فيه

ثم اخذت تفكر فيما حدث في الامس ، وفي اول من امس

▭

ذكرت زوجها وهو يقول

وذكرت نفسها وهى تجيب :

ـ اظن هذا خير ماكانت تنتهى اليه الامور بيننا . اليس كذلك ياعزيزتى . اتفاق على فراق . لم نتعلل اليه بخصام ، ولم نختمه بخصام

ـ نعم . هو ذاك ياعزيزى . هذا خير كثيرا مما يحدث بين كثير من الناس

وما آمنت بالذى تقول ، ولكنها ارادت ان تبادله كذبا بكذب

وساد السكون حينا ، ثم عاد الكلام . قال لها وهو جالس فى اقصى الحجرة :

ـ نعم . نحن الآن نستطيع ان نرتب امورنا فيما بيننا ، بدون مرارة ، وبغير انفعال . فقد مضت الساعة التى يكون فيها للانفعال مجال

ولم تستطع هى ردا ، لان صوتها انحبس . ولكن لما كان لابد من رد ، فقد ردت بهزة من راسها . ووافقت طبعا . وساد السكون بعض حين ، حتى قطعه يقول :

ـ انا ماكنا نستطيع ان نمضى هكذا ابدا . لقد حاولنا ان نجبر الصدع ، والصدع يابى ان ينجبر . وكان لابد من نهاية . فهذه هى النهاية

وخارت عزيمتها برهة ، فقالت :

ـ اظن اننا نستطيع ان نطيل المحاولة اياما اخرى

ـ هذا ماقلناه مرارا وتكرارا . اربع سنوات ياعزيزتى ، ثم ننتهى الى حيث كنا . انك تعلمين ذلك

وتحس بان عزتها قد جرحت ، فتقول :

ـ لقد حاولت ان احبك ، ولكن الحب لايصطنع اصطناعا . انا بالطبع احبك ، ولكن ليس بالكفاية التى يجب على المراة ان تحب زوجها

ومضت تشرح هذا الحب الذى لم يكتمل . وبيد رقيقة اخذت تخز جانب زوجها وخزا . بسن السكين اولا ، ثم بنصلها ، تغور به فى لحمه قليلا قليلا . حتى اذا تم غوره ، اخذت تدور بالنصل لتزيد الجرح بذلك الما . والصوت لم يرتفع . والوجه لم يحتر . وطلبت اليه ان يناولها الزبدة . ففعل . وطلب اليها ان تناوله الخبز . ففعلت . واخذا على المائدة يضغان ، ويطيلان مضغا . وقاما عن المائدة وقد نسيت هى طبق الحلو اللذيذ الذى قضت جانبا غير قصير من النهار تصنعه له لانه كان لونه المحبب المختار

وما قامت عن المائدة وضيقها ، حتى احست ان الدنيا تنفسح امامها وسعها

وجلسا فى الصالون

انه فتح الراديو كعادته كل ليلة بعد العشاء . وخالت ان فى الموقف تناقضا . لقد تحدثا عن الفراق ، وتحدثا عن الطلاق ، ومع هذا فهما يجلسان فى هذه الحجرة

سويا ، على المقاعد وبين الاثاث الذى اختاراه سويا . والقط على عادته قد جلس على الارض بين اقدامها يلعق ذيله . وسكتت . وسكت . فظنت سكوته ، كسكوتها ، تفكيرا فيما فكرت هى فيه . انه لابد يدرك أنهما يحسنان الحديث معا ، ويستطيبانه . وإنه لابد يدرك انهما يأنسان ، احدهما بصاحبه ، والا فما هذا الاجتماع ، وقد صحت النية على غير اجتماع . وانه لابد يدرك أن بينهما احتراما لم ينقص منه هذا الخلاف القائم . وخطر لها أن تبدأ الحديث فقالت :

ـ ما هذا الحديث السخيف الذى جرى بيننا على المائدة ؟

ـ سخيف ؟ !

ـ لا . لا . لم يكن سخيفا

وملأها الرعب فصرخت فيه :

ـ انى لا أريد ان افارقك . انى لا ادرى كيف أعيش بدونك

ومضت تستكمل حديثها ، على الصمت ، تخاطبه فى ضميرها ، وهو لا يسمع : وانت أيها المسكين ، كيف تعيش بدونى ؟ أنت الذى قضيت هذه السنوات الاربع تحبنى ، وتحتال لسرورى ، وتخطط وتدبر لهنائى . أنت الذى عودتنى الا يكون اعتمادى على أحد سواك

ثم اذا بهذه الفكرة الخفية الخرساء تخرج على لسانها سؤالا واضحا ناطقا :

ـ وانت ، كيف يكون حالك من بعدى ؟

ـ ثقى يا عزيزتى ان حالنا ، من بعد افتراق ، سيكون خير حال

ـ ربما . لن يطول الزمن بنا حتى نعرف . فى الخريف نفترق

ـ بل الآن . غدا . لقد اتفقنا

ـ لم نتفق على شىء

وبان عليها الفزع مرة أخرى . انها لم تعرفه بعد على طول العشرة . ومضى يقول :

ـ لابقاء بعد الذى قلناه الليلة . وكل ماقلناه صحيح . وغير الصحيح ان نخدع بغيره انفسنا بعد اليوم

والقى الصحيفة التى كان يقرأ فيها . ووقع نظره على القط . فقال لها :

ـ اتأخذين القط معك ؟

فلم تجب . وجرى دمعها على خدها . وكان بكاء صامتا

فقام هو عن مكانه ، واخذ يذرع الحجرة رواحا وجيئة ، وهو يحاول ان يعطيها دائما ظهره . ونظرت الى ظهره تتأمله . نعم ، انه الظهر الذى ألفت أن تراه مرارا . ونظرت الى مشيته . نعم ، انها المشية عينها ، وانهما الذراعان تتأرجحان على هذه المشية ، فى طول وسراحة ، وقد الفت أن تراهما تكرارا . واصابعه الطويلة الرقيقة ، وصفحة وجهه الدقيقة ، وشعره الاسود المتموج ، ووقع حذائه على الارض ، ذلك الوقع الذى تعلمت أن تتبينه من بين وقع الاحذية جميعها

واستمر يقول لها :

ـ والكتب . خذى منها ما تشائين . وسوف احزمها لك غدا

ونظرت اليه ، فى جوده ، وفى بروده . فاستمر يقول :

ـ والسرير . خذى السرير ومنضدة الزينة

ولم تستطع جوابا . ولكنها قالت له ، من حيث لايسمعها ، او يسمع احد : لا . بل خذ انت السرير . فانا انام فلا اتحرك ، فسوف تكفينى الكنبة . اما انت فتتقلب كثيرا

ومضى يقول :

ـ وخذى الراديو ايضا

وعندئذ تماسكت فقالت :

ـ لا ، بل احتفظ بالراديو فانت احوج للموسيقى منى

ـ لا . انى سآخذ الفونوغراف القديم

فانخرطت فى البكاء وهى تصيح فيه :

ـ بل خذهما جميعا

وهنا لم يستطع الا ان يعود كما عرفته . عاد يطوقها بذراع ويقول : « لاتبكى هكذا » . ولكنه ما لبث ان قال :

ـ بالله صدقينى اذا قلت لك اننا سوف نتعود هذا الجديد الطارىء . بعد شهرين ، أو بضعة من اشهر ، أو عام . لقد فشل زواجنا ، انك قد وجدت فيه شقاء ، وهذا قد اشقانى . ان اشقى ما يشقى به الزوج ان يحس بأنه فشل فى اسعاد زوجته

فضمت اليه جسمها ، وقالت عندما استطاعت أن تقول :

ـ ولكنه كان لنا من هذا الزواج صحبة طيبة

وتعلقت الفتاة المسكينة بما تتعلق به كل امراة عندما تصحو من بعد فوات ، برعاية الزوج ، وحمايته ، وصحبته ، وحبه ، ورحمته . ولكن جاء صوته القاسى يحسم الامور :

ـ لقد حسمنا فى هذا الامر الليلة ، وغدا يأتى الحمالون ينقلون غدا ؟ !

ـ اذن فبعد غد

ـ واين اذهب انا ؟

ـ سأبحث لك عن دار اذا اردت ذلك ، أو تبحثين انت ان شئت . انه لابد لى من البقاء هنا . اما انت فتستطيعين الآن ان تعيشى فى المدينة

وما اتم قولته حتى ظهر فى وجهه اعياء شديد ، فارخى ذراعه من حولها ، وذهب فارتمى فى الكرسى البعيد

اما هى فرفعت مجلة كبيرة الحجم الى وجهها . وجعلت تقرأ . وما كانت تقرأ ، ولكنها الذكريات اخذت تمر بها تباعا سراعا ، تسارعها دموعها الهاطلة . واحست كان حشاشة نفسها تتساقط فى هذه الدموع . نعم ، نعم . انها هى التى اخطأت . لقد كان خطؤها هى أن رضيت به

زوجا .. ولكنى كنت صغيرة عند ذاك . لم أكن طفلة ، ولكنى كنت اصغر منى اليوم بمئات السنين . واحبنى ، وتدله فى حبى ، وكان عطوفا كريما . وكانت الوحدة تقتلنى فرضيت . ولم أدر لم لم اسعد معه . بل لم اكن ادرى انى غير سعيدة معه . وقال الناس : ما أوفق . وقال الناس : انـنا اختلفنا خلافا يكمل بعضه بعضا . ونسمع فندعي الايمان . وبعد سنتين قال لى : انك غير سعيدة معى ياعزيزتى . وجبنت فأنكرت . فضاعت فرصة الفراق فى حينه . ومضى الزمان يزيدنا تقريبا ، ويزيدنا رباطا ، ويزيدنا شركة ، وينسج من حولنا نسجه كما تنسج العناكب ، ولكن بخيوط من فولاذ . ومضى عام ثالث فجاء يقول لى من جديد انك غير هانئة . فكذبت وقلت بلى . وأعطيت الزمان فرصة أخرى يزيد بها نسجه احكاما . واليوم ..

وقطع حديثها الى نفسها قيام فتاها من مقعده . لقد تذكر ان الخادم لاتأتى الليلة فقام الى المطبخ يغسل الصحون . وقامت وراءه تجفف ما يغسل . قال لها :

ـ ان بيننا وجوها للخلاف كبيرة

ـ وبيننا وجوه للوفاق كثيرة

ـ وفاق فى صغائر الاشياء ، أما كبارها ... ومع هذا فقد أحسسنا بالسعادة معا بعض حين

ـ نعم . نعم . فعلنا

ـ ان كثيرا من الازواج لم يوفقوا فى الزواج بعض توفيقنا ! . أنا لا اذكر أننا تخاصمنا يوما

ـ لم نتخاصم قط

وسادت دقيقة من الصمت ، عاد بعدها يقول :

ـ الاولى أن تأخذى اكثر هذه الصحون ، فلن تكون بى حاجة الى الكثير . انه الافطار ، ثم لايكون بعده فى البيت طبخ . سيكون طعامى دائما فى خارج الدار

فلم تكد تسمع هذا حتى ملكها الذعر ، وجرت هربا الى حجرة النوم ، وقد عمها الظلام . فجرى وراءها . وتباشر أهل الارض ، وتباشرت السماء ، بأن سيكون ، فى ظلمة هذه الحجرة ، لهذا الفراق لقاء . فقد يضل النور ، ويهدى الظلام . وليس للعواطف الثائرة العارية كسواد الليل غطاء . وفى ثورة من حبه أراد تقبيلها ، فأشاحت بوجهها . فقام عنها ، وخرج من الحجرة مبصرا ، ولكنه لايرى

كانت هذه هى الحاسمة

▭

ومضت هذه الليلة ، وجاءت الليلة التى تليها . الليلة الاخيرة التى ظللهما فيها سقف واحد . ماذا صنعت فيها ، وماذا صنع ؟ لم تذكر شيئا ذا بال . انه خياله وخيالها يتلاقيان ذهابا وجيئة . هو يحزم كتبا ، وهى تحزم ملابس . ويتبادلان الحديث كان لم يحدث شىء . حتى النكات

تقارضاها . وساءلت نفسها ماسوف تصنع ؟ واجابت بانها سوف تجد عملا . وقال لها : « أكتبى لى كلما وجدت حاجة ». قالت : « بل اكتب كل يوم » . قال : « لا . أكتبى لى الحين بعد الحين »

□

هكذا فكرت فتاتنا البائسة ، فى تلك الساعة الاخيرة التى قضتها وحدها فى البيت ، والبيت قد فرغ من اكثر أثاثه ، واستيقظت مما هى فيه والدمع قد غسل وجهها وفاض الى ثيابها. وتذكرت الحمالين ، وقدرت أنهم لاشك بلغوا دارها الجديدة ، فنهضت عن ذلك الكرسى الاخضر الوثير الذى جلست فيه لآخر مرة . وهمت بالخروج فتعثرت بالقط . واخذ القط يموء كأنما خشى شيئا . ومسحت فروه بيدها آخر مسحة وجرت الى السلم تفر مما هى فيه . واصابها على السلم شىء من غشاء من شدة الالم . ذكرت زوجها .. من ذا الذى يخيط له من بعدى ثوبا تمزق او يرتق له جوربا تخرق؟ من ذا الذى يلتقط له زرا عن قميصه سقط ؟ من ذا الذى يعد له طعامه ؟ من ذا الذى يمسح فوق جبينه اذا جاءه السهاد وعزه النوم ؟

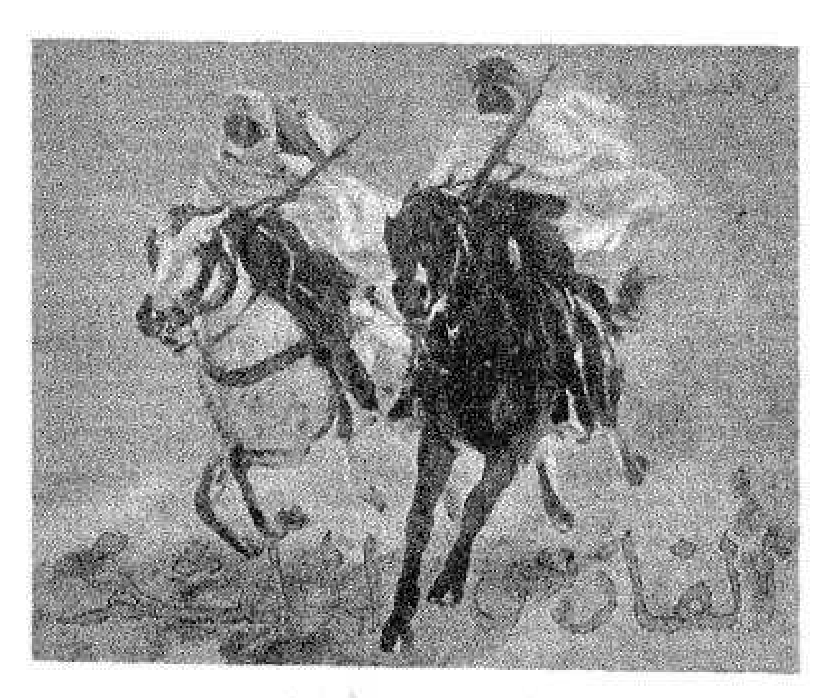
وصاحت صيحة أخيرة : يالله ! كل الاحزان الا حزنى هذا ، وكل الوجائع الا وجيعتى هذه . ويزيد فى وجيعتى انها من صنع يدى . فأنر لى الطريق يا رب الانوار جميعا . ارفع فتيلا فى سراجى ليخرج منه النور ساطعا ، فقد عمشت عينى واختلطت عليها المسالك

أحمد زكى

اللحوم والورق

مرت على مدينة لندن خلال الحرب الماضية فترة من الزمن عانت فيها أزمة شديدة فى كل أنواع الورق . وكانت أكثر متاجر اللحوم هناك تضع على واجهاتها لافتات كتب عليها « نرجو من حضرات الزبائن احضار أوراق للف مشترواتهم »

وقد انعكست الآية الآن فقلت اللحوم فى العاصمة البريطانية الى درجة كبيرة تبعا لقلة الوارد منها فى حين زالت أزمة الورق . فعلق أحد الجزارين الظرفاء لافتة على متجره كتب عليها : « لدينا الآن مقادير وفيرة من أوراق اللف . نرجو من حضرات الزبائن أن يحضروا معهم اللحوم ! »



كان فقيد الأدب العربى المرحوم على الجارم بك قد كتب هذه القصة العربية للهلال . ولكن الموت عاجله قبل نشرها . وهى أثر نفيس من آثار أدبه النثرى القيم

بقلم على الجارم بك

هذه دمشق جنة الله فى أرضه ، تتخايل بمروجها الخضراء، ورياضها الزهر ، وبنسيمها الذى اعتل فصحت به الاجسام ، ورق فهفت له الارواح ، ومر وئيد الخطى فتشبثت بذيله الازهار . وهذه جداولها التى تجرى فى خرير عذب ينافس تغريد الطيور ، تفترق وتلتقى فتصور الحياة بين يأس ورجاء ، وفرقة ولقاء ، ثم لا تفتأ تتعثر بين الخمائل ، وتنحدر بين الغياض ، حتى تلتقى بنهر بردى فيلتقمها زخاره الخضم ، ويدور بها كالمذعور الحائر يلج كل دار ، ويخرج من كل حائط

هذه دمشق بقبابها العالية ، وقصورها الشامخة ، ومآذنها التى امتدت الى السماء كأنها تطلب شيئا فى السماء

هذه دمشق فى سنة ثنتين وتسعين للهجرة ، فى أيام خليفتها العظيم الوليد بن عبد الملك عظمة وسلطان وملك عريض ، وقوة أخضعت الفرس ، وجثت

امامها بيزنطة خاشعة تلقى الزمام فى ذلة وخضوع ، ومشت اليها الرسل من أقاصى أوربا والشرق يطلبون الزلفى ، ويستجدون نظرة رضا تضع قلوبهم فى امكنتها ، وسارت كتائبها فى ارجاء الارض فاتحة غازية لا يفارق النصر رايتها ، ولا ينزل الدهر الاعند كلمتها . ثم سياسة ودهاء ومراس بالحكم ملأت بها دولة امية القلوب خشية ورعبا ، أو اخلاصا وحبا ، وجردت كل سيف من غمده فى الذياد عن حوزتها ، وبذل النفس رخيصة فى توسيع رقعتها

هذه دمشق ايام الوليد بن عبد الملك وقد كانت زينة العواصم ، وقرة عين الدنيا ، تموج بمن يردون عليها من اقطار الارض من عرب وترك وروم وبربر . وكانت فى هذا اليوم الذى تبدأ فيه قصتنا شديدة الزحام ، انتشر الناس فى ارجائها جماعات جماعات ، واخذ بعضهم يصافح بعضا فى سرور ونزق ، وخرج كثير منهم عما اعتادوه من وقار وتحرج . وكان الشبان يتغنون بأهازيج ترنم انغامها بمجد العرب، وبسالة العرب ، واقدام العرب . وانتزعت فتاة خمارها وانطلقت به ، ثم انطلقت ترقص بين تصفيق المعجبين ، وترديد المنشدين . وكان من اراجيزهم :

«للذريق» قد طارت بك الأوهام
مالك عند طارق كلام
ابطالنا غطارف كرام
الحق فى يمينهم حسام
وراية يرفعها الاسلام
عزيزة فى الجو لا ترام
الدير « للذريق »او الحمام

وكان يقف ناحية شيخ جاوز الثمانين ، حطمته الايام ، وحنت ظهره أثقال السنين ، فتقدم نحو احد الشبان وسأل فى كلمات تعثر بها لسانه :

ــ ما الخبر يا فتى ؟

ــ فتحنا الاندلس ، وانتصرت جيوش طارق بن زياد بوادى «لكة» على علوج «القوط» . وفر صاحب مملكتهم المسمى «لذريق» بجواده فلم يقفوا له على اثر

ــ هذا فتح مبين يا بنى ! ولو اطاعتنى عصاى ، وحملتنى ساقاى ، لرقصت مع الراقصين

ثم لوح الشيخ بعصاه ، وصاح بقدر ما يستطيع صوته : « هلم الى دار الخلافة ، هلم الى الوليد ابن عبد الملك ، ان هذا اليوم يا ابنائى يوم مشهود يجب ان تسرع فيه الوفود الى تهنئة امير المؤمنين »

وكان لهذا الصوت الضعيف من هذا الشيخ الفانى سحر تفتحت له القلوب ، واصغت الاسماع ، فتزاحم الناس صائحين . « الى دار الخلافة ! الى دار الخلافة ! »

□

كانت دار الخلافة بالجانب الشرقى من دمشق تطل على الغوطة التى

تعد من اجمل منازه الدنيا ، وكانت ترى من بعيد جاثمة فوق ربوتها العاليـة كأنهـا الحصن العظيم . وهى بناء بيزنطى قديم بذل فيه الفن والمال ما جعله صورة ناطقة بالجمال، وأثرا باقيا للعظمة والجلال

جلس الوليد فى أصيل هـذا اليوم فى القـاعة الـكبرى التى يستقبل فيها الوفود وكبار رجال المملكة ، وجلس الى يمينه سليمان ابن عبـد الملك ، والى يسـاره مسلمة ابن عبد الملك ، الذى لم تترك غزواته للروم بلدا لم يرتفع فيه صـوت مؤذن ، ثم جلس بعدهما كبار دولته ، وكان منهم : عبـد الله بن همـام السلولى ، وقتيبة بن مسلم ، وابو القاسم المخزومى ، والمغيث بن الحارث ، وحبيب بن عقبة . فبدأ الكلام عبـد الله بن همـام وكان ذرب اللسان حاضر البديهة ، فقال :

ـ ان هذا الفتح يا امير المؤمنين الى ما أنعم الله به علينا من فتح الهند والروم وأقصى بلاد خراسان، لدليل على يمن طالع امير المؤمنين وسعادة جده ، وأن المسلمين فى اقطار الارض ليتجهون نحو دار الخلافة كما يتجهون فى صلاتهم الى القبلة ، ويرون أن امير المؤمنين ـ أمتعنا الله بحيـاته ـ عصمـة دينهم ، ومجـد دنياهم ، وحامل رايتهم الى الظفر والانتصار

فتحرك فى مجلسه قتيبـة بن مسلم جبار خراسان ، وظهرت على وجهـه كدرة من الغـيرة المكبوتة وقال فى تردد :

ـ لو كنت فى سرج طـارق ما اكتفيت بفتـح الاندلس ، وما خلعت رجلى من ركابى الا بعد أن اخترق الارض الـكبيرة ، واطل على البحر المحيط . فصـاح به امير المؤمنين :

ـ مه يا قتيبة ، فان لطارق من الجراة ما لا تقف امامه عقبـة ، وهو فتى احوذى بعيـد الراى واسع الحيلة ، واخشى ما اخشاه أن يغرر بالمسلمين ، ويسلك بهم مسالك تنسد خلفهم منافذها ، وبيننا وبينه المهامه الفيح واللجج الخضر

فقال المخزومى :

ـ ومتى علمت بالفتح يا امير المؤمنين ؟

ـ قدم فى هذا الصباح حبيب ابن عقبة رسولا من قبل طارق ، وما كاد يصل الى بساطى حتى سقط من الاعياء بعـد أن طوى فى السفر الينا شهرا لا يستقر به جواده فى ليل أو نهار .. فلمـا سكت عنه التعب ، وعادت اليـه انفاسه تقـدم الينا برسالة من طارق لم يكتب فيهـا الا سطرا واحدا

ثم اشار الى كاتبـه وأمره أن يقرأ الرسالة فقرأ : « أيد الله امير المؤمنين واعز جنده ، انه ليس فتحا يا امير المؤمـنين وانما هـو الحشر ويومه ! »

ثم اتجه حبيب بن عقبة نحو الخليفة فأومأ اليه بيده أن يتكلم فقال :

ـ لقـد كانت مغامرة يا امير

المؤمنين باع فيها المسلمون انفسهم فى سبيل الله والحق ، ووثبوا بعزائم كالقضاء المحتوم ليس له من مرد ولا عنه من محيص ، ونبذوا الخوف من العواقب وراء ظهورهم ساخرين مستميتين . ولقد كنت الى جانب طارق حين ابحرت سفننا من « سبتة » فى ظلام الليل الدامس كانها مردة الجن لاتبطش الا فى الظلام ، وكنت اراه وهو ينظر نحو الاندلس بوجهه العابس، وعينيه المتقدتين ، فما كنت ارى الا اسدا غاضبا يتحفز للوثوب ، أو نسرا جارحا لاحت له الفريسة من بعيد فصفق بجناحيه لاصطيادها . بلغنا بر العدوة فنزلنا فى صمت زاده ظلام الليل روعة وارهابا ، وكأن الخيل والابل ارادت الا تكون دوننا فى الحذر فكتمت ما فى صدورها من صهيل ورغاء . نزلنا يا امير المؤمنين كأننا ملائكة الله نزلت على القوم من السماء ، وتقدم جيشنا نحو الاعداء ، وقدم لذريق باجناده مدججين مسلحين فى جيش لا يعرف أوله اين آخره . فلما رأيت يا امير المؤمنين كثرة عددهم ، وقوة عتادهم ، جشأت نفسى وجاشت — كما يقول قطرى ابن الفجاءة — وهالنى ما يهول الشجاع اذا راى الفرار حزما ، فهمست فى اذن طارق قائلا : (حذار يا طارق ! فانى ارى جيوشا تسد الافق ، كانها البحر المضطرب ، وماذا نصنع امام هؤلاء باثنى عشر الفا من العرب لا يحمل أكثرهم الا هراوة أو رمحا محطما ؟ !) فنظر الى نظرة ساخت لها نفسى ، ثم قال فى غضب : (صدق الله العظيم وكذبت يا حبيب) :

(كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين)

« ثم صاح فى وجهى وكأن صوته زمزمة الرعد وقال : (اذهب مع جماعة من جندك واحرق السفن التى قدمنا عليها)

« فملكتنى الدهشة وقلت : (ماذا بك يا طارق ؟ احرق السفن ؟) فصاح : (نعم احرق السفن واجعلها رمادا حتى ييأس من لم يثبت الايمان قلبه من الفرار)

« واحرقت السفن امام الجنود يا امير المؤمنين ، ووقف طارق بينهم خطيبا ، ولا والله ما طرق اذنى من مخلوق كلام بعد كلام النبوة انفذ الى القلب ، وادعى الى الاقدام والاستهانة بالموت !

« وثار الجيش يا امير المؤمنين ، وتقدم كانه البنيان المرصوص ، فلعب القوط ، وادركهم الوهل ، ولمح طارق من بعيد كبيرهم لذريق وهو فى سريره ، وعليه مظلة مكللة بالدر واليواقيت فصاح : (هذا طاغية القوم ! هذا هو بعينه ، وانى والله لقاتله !) . ثم خلص اليه فضربه بالسيف فقتله على سريره . فلما رأى القوم مصرع سيدهم طارت نفوسهم شعاعا ، وتفرقوا ايدى سبا كما تطير العصافير قذفت على دوحتها حجرا . وقد

تركت طارقا وهو ينتقل من ظفر الى ظفر ، والحصون تنقض امامه كأنها كثبان الرمال . أما ما أفاء الله به علينا من الكنوز والغنائم ففوق ادراك العقل وتصور الخيال»

فقال مغيث بن الحارث فيما يشبه الدعابة : « يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ! ». وزفر الخليفة زفرة طويلة وهو يقول :

ـ هذا كله من فضل الله علينا وعلى الناس ، ولكن الخوف لا يزال يساورني ، وأكثر ما أخشى أن يجتمع القوم بعد أن فجأتهم الهزيمة فيلموا شعثهم ، ويعيدوا الكرة على المسلمين ، وليس أقوى من طالب ثأر ، ولا أشد شكيمة من ذائد عن وطن . ونحن هناك فى قلة ، وليس وراء جنودنا ما يحميهم . هذه الوساوس تلعب بي منذ الصباح ، ولن تقر لى عين ، أو يستقر لى وساد ، وأنا أرى المسلمين فى خطر محدق وبلاء محيق

فقال ابن همام :

ـ ليهدأ روعك يا أمير المؤمنين، فان جنودك انما يجاهدون فى سبيل الله ، وقد وعد الله فى كتابه بنصر المؤمنين

ـ نعم يا عبد الله ، ولكن يجب أن نعد لهم ـ كما أمرنا الله ـ ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل

وهنا وقف المغيث بن الحارث وقال :

ـ لو أمرنى أمير المؤمنين بالرحيل لرحلت الساعة مع جنودى

ـ كم عدد جنودك ؟

ـ سبعمائة بين فارس وراجل

فقال الخليفة فى نبرة حزينة :

ـ يا له من جيش لهام !

ـ أن كل رجل فى جيشى يعدل مائة

ـ هل أعددت العدة ؟

ـ ثلاثة أيام تكفينى

ـ اذهب على بركة الله منصورا موفقا !

ثم تهيأ الخليفة للقيام فانصرف القوم ، واتجه ابو القاسم المخزومى الى المغيث فوضع ذراعه على كتفه فى حنان الأبوة ، ثم همس فى اذنه قائلا :

ـ ما أعجلك يا بنى ! لقد كنا نعد العدة لزواجك ببنت أخى عائشة ، فماذا أنت قائل اليوم ؟ وكيف تنفض اليها الخبر ؟ ان نبأ رحيلك سينقض عليها انقضاض الصاعقة ، فأجمل لها الحديث يا بنى وتلطف

فقال المغيث وعلى وجهه سحابة من الحزن والقلق :

ـ لا تبتئس يا سيدى ، فان عائشة أشجع فتاة بدمشق ، وهى لا تحب لمن أختارته لنفسها الا أن يكون شجاعا مقداما . هلم بنا اليها

☐

عائشة المخزومية بنت هشام المخزومى من بيت عريق النسب ، كريم الأرومة . كان أبوها من حماة الأموية وصناديدها ، وكانت فى ذلك الحين فى العشرين من سنيها صبيحة مليحة رائعة القسمات ،

مشرقة البسمات ، لها عينان يتألق فيهما السحر ، وتتوثب الفتنة . ثم هي الى ما منحها الله من الجمال البارع ، والحسن الفاتن، تعتز بنفس عربية كريمة خلقت للشجاعة والاقدام وخطيرات الامور . جسم تحسده حور الجنة الحسان ، ونفس امضى عزيمة من الصارم الفصال

خطبها المغيث الى عمها فرضيته بعلا لما عرفته، وعرفه الناس فيه من البطولة والمروءة والطموح الى العظائم . الى قسامة وجه، ورجاحة عقل ، وحسن ادب ، ولطف حديث . وكان يزور دارها بين الحين والحين فكانت كلما زادت به معرفة زادت به كلفا وحبا ، وكلما زالت بينهما الكلفة ونمت الالفة ، زاد اكبارها له وافتتانها بادبه وخلقه العظيم ، لذلك اصبح حبه خيال احلامها بالليل ، وسمير وحدتها بالنهار

دخل ابو القاسم مع المغيث فحيتهما عائشة في سرور وابتهاج، وصاحت :

ــ أعلمتما الخبر ؟ لقد فتحنا الاندلس !

فقال لها المغيث مداعبا :

ــ وعلمنا قبل ذلك ان فتاة تدعى عائشة المخزومية غزت القلوب ، وجلست فوق عروشها ملكة مطاعة !

فابتسمت عائشة وقالت :

ــ دع المزاح يا بن الحارث فالامر جد وما هو بالهزل

ــ هذا صحيح ، واظن طارقا الآن في طريقه الى طليطلة

ــ يا له من فتح مبين !

ــ لا يكون فتحا مبينا الا اذا ذهب حبيبك فملك الجزيرة كلها ، وعاد اليك بتاج ملكة القوط ليزين به اجمل جبين اشرقت عليه الشمس

فبسر وجه عائشة كأنها توجست شرا وقالت :

ــ تذهب الى الاندلس غازيا ؟

ــ نعم يا فتاتي أذهب بعد أيام على رأس جيشي بأمر أمير المؤمنين

فوثبت اليه تعانقه وتمسح بيدها على كتفه في رفق وتدليل وهي تقول :

ــ خذني معك يا مغيث ، فاني لا اطيق أن يمر يوم واحد دون أن أراك

فقال المغيث في استنكار :

ــ كيف أصحب فتاة لم أكن لها بعلا ؟!

ــ نعقد الزواج غدا ونسير على بركة الله

فقال في سخرية لاذعة :

ــ وماذا نقول للشاعر الذي يقول :

كتب القتل والقتال علينا
وعلى الغانيات جر الذيول ؟

ــ نقول انه مغرور احمق، جهل الرجال ولم يعرف بعض خلائق النساء . فليس كل رجل شجاعا، وليست كل غانية خائرة العزم مكسالا . ما هذه الاثرة ايها الرجال ؟ كأن الله لم يخلق سواكم للمجد والبطولة . نعم ان الله



« فقالت عائشة : لا تجزعى يا فلورندا فلست أول من خابت آماله فى الغرام »

ميزكم علينا ببسطة الجسم، وقوة العضل ؛ ولكن قوة الروح وجراة العزيمة اقوى من الحديد والنار . والعزيمة اذا تمكنت من المراة وتغلغلت بعواطفها ، ونهلت من غرائزها ، خاضت الاهوال ، وعصفت بكل ما امامها من عقبات وصعاب . لقد زينت لكم كبرياؤكم ان المراة لم تخلق الا ليلهو بها الرجل فى شبابها ، ولتلهو هى بالمغزل فى هرمها ، فرحتم تتندرون بالنساء وبضعف النساء . لم لا تقود المراة الصفوف ، وتلاقى الحتوف ، وتضرب فى سبيل الله كما تضربون؟ ان الله فرض الجهاد على الرجل والمراة معا ، فدعونا نقاتل فى سبيل الله ، ودعونا نقاسمكم ثمرات المجد او نفز بالشهادة اذا وارتنا القبور

كان المغيث مطرقا واجما ، فقد هاله ما سمع من فتاة بنى امية ، وابت عليه نفسه ان يطفىء هذه الشعلة ، او ينال من هذه الحماسة بسوء ، فربت كتف عائشة وقال :

ـ لم تزيدينى يقينا ببطولتك يا عائشة ، ولن يزال الاسلام بخير ما زاحم النساء الرجال فى ساحات المجد والجهاد

فتهلل وجه عائشة وصاحت :

ـ اذن خذنى معك يا مغيث

فتلعثم لسانه وقال :

ـ دعى هذه الغزوة يا عائشة، فان الخليفة يخشى فيها على الرجال فكيف يرضى ان تخوض غمارها النساء ؟

ـ ايقف الخليفة فى وجه فتاة رات ابواب الجنة مفتحة فحنت الى دخولها ؟

ـ ان شؤون المسلمين امانة فى يده يا بنية ، وهو بهم رحيم ، وعليهم حريص

ثم انفلت من بين يديها فى خفة الطائر الحذر ، وقامت عائشة لتدركه فلم تجد له اثرا ، كانما ابتلعته الارض او تخطفته السماء

☐

رحل المغيث الى الاندلس برجاله ، والتقى بطارق بمدينة «اشبيلية » فراى جنودا يتقدون حماسة ، وقائدا لم تلهه الغنائم والكنوز عن مقصده الاسمى ، ولم تستهوه غانيات الاندلس بما أفاض الحسن عليهن من سحر وملاحة ، فاندمج فى جيش طارق وانقض معه على « استجة » وكان اهلها فى قوة ومنعة وعدد وعدة

اما عائشة ، فبقيت بعد رحيله اياما تقاسى الم الفراق ولوعة الهجر، وتشكو مما أسمته ذل الأنوثة واستخفاف الرجل بالمراة ، لانها لا تشهد حربا ولا تصول بسيف. وحينما ضاق بها نطاق الصبر ، الحت على امها ان تاذن لها فى الرحيل الى الاندلس ، فبهتت المراة ، وظنت ان مسا من الجنون أصاب فتاتها لفراق من تحب ، ولكن عائشة لم تنهزم امام هذا الاستنكار ، فكررت الرجاء ، والحفت فى المسالة . وكلما زادت امها اباء زادت عزيمة وعنادا . وطال الجدل ، وطال الحديث ،

حتى ألقت امها بالعنان مستنكرة ساخطة ، وخضعت لارادة ابنتها لانها لم تستطع الا ان تخضع .
وهبت عائشة كأنها النمرة الوثوب ، فارتدت ملابس اخيها عبد الله ، ولبست درعه ، وتسلحت بسلاحه ، ثم اعدت حقيبة ملابسها ووضعت بها مائة دينار وصاحت : « يا رباح ! » . فاقبل عبد زنجي براق السواد كبير الهامة شعشاع ، كأنه قطعة من جبل . وحينما وقف بباب الحجرة دهش لما راى عائشة فى زى الرجال ، وهز راسه فى عنف كأنه يريد أن يستيقظ من حلم مخيف ، فابتدرته آمرة :

ـ خذ الأهبة يا رباح لسفر طويل ، فاعد أربعة جياد ، واحمل على اثنين منها ما تحتاج اليه من زاد وسلاح . اسرع !

ـ الى أين يا سيدتى ؟

ـ الى حيث تغرب الشمس

فبهر العبد وقال :

ـ اخشى ان يلتقمها البحر يا سيدتى قبل أن ندركها

ـ لا تخش شيئا يا رباح . اذهب قبل ان يظلنا الليل

فانطلق رباح وكان يرى لذة فى فى خدمة سيدته ، وسعادة فى أن تأمره فيطيع . وبعد قليل أعدت الخيول ، وودعت عائشة امها بين زفرات الالم ، وقطرات الدموع

▭

انطلقت عائشة من دمشق وخلفها رباح فى اصيل يوم من أيام ذى الحجة سنة ثنتين وتسعين ، وخير لنا الانحاول وصف ما لاقت هذه الفتاة المقدام فى طريقها فى الشام ومصر وبلاد المغرب ، من اخطار وصعاب ، فقد يكون احيانا من حسن الوصف الا تصف ، ومن حسن الرأى ان تدع الكلام عما يعجز عنه الكلام

وبلغت عائشة « سبتة » وهى مدينة حصينة بمراكش ، تقع قبالة الجزيرة الخضراء بالاندلس ، وبينهما بحر الزقاق الذى يبلغ عرضه بضعة اميال . وحينما وقفت على سيف البحر حاولت ان تجد سفينة تمخر بها الى عدوة الاندلس ، ولكنها لم تجد الا سفينة واحدة ظهر لها مما فيها من العبيد والخدم انها خاصة ببعض كبراء المدينة ، فوقفت حائرة تجيل الطرف هنا وهناك ، علها تظفر بسفينة اخرى ، ولم يطل بها الوقوف حتى رأت فتاة تدنو منها فى بشاشة ولطف وتقول :

ـ أراك تنظر نظرة الحائر أيها الفتى الشجاع ، فهل من حاجة لك نقضيها ؟

فقالت عائشة فى نبرة حزينة :

ـ أشكرك يا فتاتى ، لقد كنت ابحث عن مركب أصل به الى شاطىء الاندلس

ـ انى ذاهبة الآن الى الاندلس فى سفينتى هذه ، وفيها متسع لعربى كريم مثلك . فهل تسعدنى باجابة طلبتى ؟

وكانت عائشة حريصة على السفر ، فلم تاب الكرامة وقالت : « هذه منة لن أنساها يد الدهر » . ثم التفتت نحو رباح وكان يقبض

على عناني جوادين بقيا لهماً بعد سفرهما الطويل ، وقالت : «انزل يا رباح بما معك الى السفينـة ؛ فقد تفضلت السيدة بحملنا الى بر العدوة »

كانت هذه السيدة ، او الفتاة ان شئت ، تدعى «فلورندا» وهى ابنة «يوليان» الاسباني الذي كان حاكم « سبتة » من قبل القوط، وكانت ذاهبة الى الاندلس للقـاء ابيهـا . وعندما كانت السفينة على وشك الابحار لمحت فلورندا عائشـة او لمحت ـ فيمـا راته عيناها ـ فتى عربيا يتالق فيه ماء الشباب ، فأطالت التأمل،واتبعت النظرة النظرة ، فاذا شاب وسيم تظهر عليه سيماء النبل وملامح البطولة ، وجه مشرق كأنه تنفس الصباح،وقامة معتدلة كأنها صعدة الرمح ، وشباب ورونق وفتوة . رأت فلورندا كل هـذا بعينيهـا فترجته غريزتها ، وغريزة الفتاة في هذه السن الناضجة سريعة التأثر ، ماهرة في الانتقـال من الاستحسان الى الرغبة والأمل . وكثيرا ما يطغى بها الخيال فتجعل الأمل حقيقة واقعة. فتمنت فلورندا ما رأت ، وتيقظت أنوثتها عاتيـة جامحة ، فكادت تلتهم الفتى العربي بنظراتها ، وتحرقه بزفراتهـا ، وميل الفتاة الى الفتى أو ميل الفتى الى الفتـاة أمر فطـري يقـوى ويضعف كمـا تقـوى كل الميول والغـرائز وتضعف ، ولـكن اذا اختلف الجنسان اشتد هذا الميل وعنف ، كالكهرباء فانها لا تتولد الا اذا التقى سـالب بمـوجب . وهنا التقى الجنس الآري بالجنس السامى فكانت الشرارة لواحـة متأججـة اللهب ، هتفت نفس فلورندا بها صاخبة ساغبة : « لم لا تتزوجينه ؟. انك لن تجدى له بين الفتيان مثيلا ولو ذهبت الى أقصى الارض ، ان له وجهـا لم تطلع الشمس على اصبح منه . أن سمته وزيه ينمان عن أصل كريم ومجد عريق ، أن بسمته في الصباح صباح ، وطلعته في المساء ضياء المساء ، يجبان تتزوجيه أو أن تعملى على أن تتزوجيه ، فان من جد وجد ، وكل من سار على الدرب وصل »

جالت بنفس فلورندا كل هذه الخواطر وهى جالسة الى جانب عائشة والسفينة تنشر قلاعهـا للرحيل ، فقالت في صوت تكلفت ان يكون غير مختلج :

ـ مـن أين والى أين يا اخا العرب ؟

ـ من دمشق يا سيدتى الى جيش طارق

ـ وهل اجتزت هذه الطريق الموحشة المزدحمة بالاخطـار مع هذا العبد لا يصحبك سواه ؟

ـ كان يصحبنى سواه

ـ من هو ؟

ـ سيفى

فابتسـمت فلورندا وقالت : « انتم هكذا ايها العرب لا تفارقكم هذه الثقة بالنفس التى تسميها غرورا ؟ ! »

ــ سموها يا سيدتي كما تشاءون ، ولكننا حينما نثق بانفسنا نثق معها بخالق أنفسنا

ــ انى اخاف على هذا الشباب النضر ان تعصف به الحرب فى اسبانيا

ــ نحن عقدنا صفقة بيع ولن نرجع فيها

ــ مع من ؟

ــ مع الله ، فانه يقول عز شانه : «ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون »

فضحكت فلورندا ضحكة ناعمة وقالت :

ــ اذن لا استطيع ان ارجعك عن عزمك ؟

ــ يا سيدتى كانت امى اقوى منك

ــ ولكنى قد اكون اقوى من امك اذا كان لى مكان من قلبك

قالتها مبتسمة وهى تنظر الى عائشة بعينين فيهما كل حبائل الشيطان ، فاحست عائشة بالخطر ، وهالها ما لم تفكر فيه او تحسب له حسابا . هالها ان الفتاة مفتونة بها مشغوفة ، وان هذا الشغف قد يكشف سرها الذى بالغت فى كتمانه ، فرات من حسن الراى ان تجامل وتراوغ حتى يفصل بينهما غمار الحرب ، فقالت :

ــ ان لك مكانا يا فتاتى فى كل قلب ، ولو ان بنات الاسبان كن مثلك لانتصرن على طارق وجيشه بسهام عيونهن.

فضحكت فلورندا ، ومدت يدها الى عائشة ، وسألت :

ــ اتعرف من انا ؟

ــ كيف اعرف يا فتاتى وانا لم أصل الى سبتة الا هذا الصباح ؟

ــ اولا ما اسمك ؟

ــ اسامة الفهرى

ــ انا فلورندا . فلا تقل « يا سيدتى » او « يا فتاتى » ، ولكن ادعنى باسمى هكذا مجردا كما يدعو الصديق الصديق

ــ سمعا وطاعة يا . . .

ــ فلورندا

ــ يا فلورندا

ــ ان ابى يوليان كان حاكم سبتة ، وهو من عظماء القوط . وكانت العادة ان يرسل امراء المملكة بناتهم الى قصر الملك لتدريبهن على آيين القصور ، فارسلنى ابى الى بلاط لذريق فرايت من لحانه وكلماته ما أعجلنى الى الفرار بعرضى . وعلم أبى بالامر فاشتد غضبه ، واقسم بدين المسيح ان يكون حربا عليه والبا مع العرب، وذهب الى قائدكم ابن نصير فعاهده على مناصرته وتذليل طريق الفتح لطارق ، ولولا ابى ما استطاع جيشكم ان يفوز بهذا النصر المبين

فابتسمت عائشة وقالت :

ــ ان لك ان تنسبى الفضل كله فى هذا الفتح الى ابيك يا فلورندا ، فكل فتاة بابيها معجبة كما تقول العرب فى امثالها . ولكننى اعتقد أن سيل العرب الزخار سيلتهم اسبانيا اساعدهم ابوك أم لم يساعدهم .

ان هذه صاعقة من السماء يافتاتي لا يقف أمامها جيش ، ولا تصدها قوة . وهل كان يوليان يعين جيش عمرو بن العاص حينما فتح مصر بأربعة آلاف مقاتل ؟ وهل كان يوليان مع سعد ابن أبي وقاص حينما سار لفتح الفرس بسبعة آلاف ؟ دعي هذا يافلورندا فاني اخشى ان اقول ان اباك كان حكيما المعيا ، وانه رأى أن لا بد مما ليس منه بد

ـ انت تقسو على أبي

ـ انا أصفه بالحكمة والالمعية ، وانت ترمينه بخيانة قومه ووطنه، فأينا انصف الرجل ؟

ـ هذا جدال على الطريقة العربية يا حبيبي

ـ أو على طريقة الحق

وبلغت السفينة في المساء جبل الفتح أو جبل طارق . وارادت عائشة التخلص من الفتاة ، فقالت :

ـ انت ذاهبة الى ابيك ، اما انا فسابقى هنا قليلا لاستريح

فقالت فلورندا :

ـ ان ابي مع طارق وانت ذاهبة اليه ، فلنذهب معا . فلم تجد عائشة بدا من مرافقتها فامتطتا جواديهما وخلفهما الخدم والعبيد ، وما زالتا تغذان السير حتى بلغتا مدينة « استجة » ، وكان طارق قد فتحها واقام بها اياما ليستريح جنده

▭

بلغتا المدينة عند الاصيل وكانت تموج بالفاتحين ، وقد ضربوا حولها خيامهم ، وأناخوا ابلهم ، وربطوا جيادهم . وزادت عائشة في تنكرها فوضعت على وجهها لثاما على عادة أشراف العرب ، فالتفتت اليها فلورندا ضاحكة وقالت :

ـ كنت اجتهد في أن اختار لك وصفا جيلا أدعوك به يا أسامة ، ولكنك كفيتني عناء البحث . فهل تحب أن أدعوك بالفارس الملثم ؟

ـ ادعيني يا فاتنة الأسبان بما تشائين

ثم امرت رباحا أن يبحث في حذر وتلطف عن مكان المغيث ، فعاد اليها بعد قليل يقول :

ـ انه مع طارق في فناء قصر امير المدينة

وصاحت فلورندا :

ـ وهل رأيت ابي ؟

ـ لا أعرف أباك ، ولكني رأيت معهما علجا مديد القامة طويل الشاربين كان الجنود يسمونه يوليان

ـ الجنود يسمونه يوليان وانت تدعوه علجا يا ليلة المحاق ؟ ولولاه . .

فأشارت اليها عائشة ان تكف وقالت : « ان رباحا رجل خشن لا يعرف مواقع الكلام »

وانطلقت الفتاتان نحو جيوش القائدين ، والتقت فلورندا بأبيها فطلب اليها ان تنزل معه فهزت راسها في امتناع وهمست في اذنه قائلة : « لقد أسرت فتى

عربيا جميلا » ، فدهش يوليان وقال :

ـ اسرت عربيا ونحن نحارب في صفوف العرب ؟

فضحكت فلورندا وقالت :

ـ اسرته بشيء آخر غير الأغلال والقيود

فابتسم يوليان وهو يقول :

ـ غمزة بعين، وابتسامة مغرية، وينتهي كل شيء ؟

فهزت فلورندا رأسها في عبث الفتاة المتمكنة من فنونها . فقال ابوها :

ـ حسن ، وماذا تريدين ؟ ان طارقا سيزحف على طليطلة ، والمغيث سيذهب لفتح قرطبة غدا . فأى جيش تتبعين ؟

ـ سأتبع الجيش الذى يختاره الفارس الملثم

ثم شبت على اصابع قدميها وتعلقت بعنق ابيها فأشبعته لثما وتقبيلا ، وانفلتت منه كما ينفلت الظبى من الحبالة تبحث عن فتاها، فألفته تضرب خيمته الى جانب قصر المغيث فأظهرت الدهش وصاحت :

ـ أعزمت على النزول هنا يا اسامة ؟

ـ نعم

ـ سأضرب خيمتي الى جانب خيمتك

ـ الم ترى اباك ؟

ـ رأيته .ولكنى لا استطيع أن افارقك يا حبيبى

فقالت عائشة وقد ادركها ما يشبه الغيظ :

ـ انني قد اخوض مهالك اخشى أن يصيبك رشاشها ، فخير لك يا فلورندا أن تقيمى هنا حتى اعود . انني سأكون في جيش المغيث وسنثب غدا على قرطبة فرجى الخير وانتظرى ايابى

ـ لن انتظر ، وسيكون فرسى جنب فرسك

فهزت عائشة رأسها في صمت ووجوم

وتحرك جيش المغيث في الصباح نحو قرطبة وكان البرد شديدا والريح صرصرا عاتية . وركبت عائشة وفلورندا ووراءهما العبيد، وكانت عائشة تتبع راية المغيث وتمشى في ظله لا يرتد طرفها عنه لحظة

□

سار الجيش يهز جناحيه متصل الاجزاء متماسك البناء ، كأنه وحش هائل الجثة من وحوش الاساطير ، ومر بالجند يومان حتى اذا كانوا على مقربة من نهر « شقندة » والشمس على وشك المغيب لمحت عائشة فارسا مدججا بالسلاح من فرسان الاسبان ، يخرج في تلصص وحذر من غيضة ارز ، ويدنو نحو المغيث من الخلف، وسيفه في يده يلمع على صفحته لعاب المنية . وما كاد يرفع به يده حتى انقضت عليه بسيفها انقضاض النسر الغاضب، فأطارت رأسه في الهواء كأنه كرة لاعب . وتلفت المغيث واصحابه فاذا الأسبانى الذى حاول الغدر به

صريع مجندل ، ورأوا الفتى الذى انقذ حياته يمر من خلفهم مرور البرق فيندس فى الجيش ويغيب فى آذيه المضطرب ، ولا يكاد يلمحه المغيث حتى يصيح : « ادركوا الفارس الملثم ! »

ويسرع اتباعه يتعقبونه فلا يجدون له اثرا ، فيضرب المغيث كفا بكف ، ويهمهم : « لقد كاد العلج يقتلنى لولا هذا الفارس ، فمن يكون يا ترى ؟ » . فيجيبه مالك الجوهمى وكان من اخص اصحابه :

ـ لقد حيرنى هذا الفتى بفراره، ولو ان غيره فعل فعلته لتبجح بها وللأ الدنيا صياحا بانه انقذ حياة القائد

ـ هذا عجيب ! لقد حاولت ان ارى وجهه وهو يطير بجواده فما استطعت لانه كان ملثما

فضحك مالك وقال :

ـ لعله ملك من السماء

ـ ان لم يكن ملكا فلقد قتل شيطانا ، وانى لأتحرق شوقا الى لقائه لاجزيه اجر ما صنع لنا

ـ سنراه بعد المعركة ان تركته شجاعته حيا

▭

بلغ الجيش نهر قرطبة فعبره ، ورفع الجنود ابصارهم فراوا اسوار المدينة شامخة متحدية ، وقد اغلق اهلها ابوابها فلم يتركوا منفذا لهاجم . ورأى المغيث ان ينتظر حتى يقبل الليل ليباغت الحراس وينقض عليهم انقضاض الباشق، وكان البرد شديدا قارسه وهطل مطر منهمر اخفى اصوات الجنود ، ووقف المغيث بين جنده وهو يقول فى صوت خافت : « ليس من وسيلة الا ان يتسلق رجل منا السور ، حتى اذا بلغ قمته تحين غفلة من الحراس فنزل الى المدينة فى خفة وحذر ، وفتح الباب للجيش » . فقال رجل كانت دقات قلبه اعلى من نبرات صوته :

ـ ان الحراس لا يتركون الابواب فى هذه الليلة ، والذى ينزل اليهم انما ينزل الى قبره !

فقال المغيث فى غضب :

ـ استرح يا اخا الهزيمة ، فانى لم ادع الجبناء لهذا الامر الجسيم، وانما دعوت من يرون ان الموت فى سبيل الله حياة باقية

وهنا التفت بعض الجنود الى بعض فى ذهول اعترك فيه الجبن والاقدام ، ولم تدم حيرتهم طويلا حتى راوا فارسا ملثما يتسلق شجرة زيتون كانت الى جانب السور ، ثم يتعلق باحد فروعها العالية ويترك جسمه يترجح ذهابا وجيئة ، وهو فى كل مرة يزيد فى اتساع قوس حركته ، حتى اذا قرب من قمة السور قذف بنفسه اليها فى خفة النمر وجراته ، وكان الجنود ينظرون اليه فى دهشة وعجب . ورآه المغيث فصاح : « انه الفارس الملثم ! انه البطل الذى يحمل روحه فى يده ليصون ارواح المسلمين »

وكانت ساعة رهبة وصمت ويأس وأمل ، واستمر المطر

هطالا والبرد قاسيا . ونظرت عائشة من أعلى السور الى المدينة فاذا الحراس وقد اضناهم التعب والسهر واضر بهم البرد والمطر ، قد اجتمعوا تحت سقيفة والتفوا باغطيتهم واسلموا اجسامهم الهامدة الى نوم مفزع مضطرب ، فنزلت من السور فى هدوء كأنها الحرباء ، لا تسمع لها نامة ، ولا تحس ركزا ، حتى اذا قربت من الارض وثبت فى خفة واحتراس ، واتجهت نحو الباب فعالجت مزاليجه، وكانتمن الحديد الضخم الثقيل . فعجزت أول الامر ، وخانتها قواها ، وسعل احد الحراس تحت غطائه فاهتزت اعصابها وادركها الخوف وكادت تستسلم لليأس لولا أن استنجدت بما بقى من قواها ، واستنفدت كل طاقتها ، واعادت الكرة فخضع لها الحديد، ورفعت المزاليج وكانت تنوء بالعصبة أولى القوة ، وما كادت تفتح الباب حتى اندفع اليه المجاهدون كانهم السيل المنهمر ، وهم يصيحون : « الله اكبر ! الله اكبر ! »

فغر جيش المدينة امامهم ، والقى السلم خاضعا مستكينا ، ونظرت عائشة فرأت رباحا وفلورندا فى طليعة الداخلين ، فجذبتهما اليها باشارة خفيفة ، ثم امتطت جوادها وامرتهما أن يركبا ، واهتبلت فرصة اشتغال الجيش بالاسرى والغنائم وخرجت بهما من باب المدينة . فصاحت فلورندا فى دهش:

ـ الى اين يا حبيبى ؛

ـ الى الخيام التى ضربناها بعيدا عن المدينة

ـ ولم هذا ؟ الم تأت لفتح قرطبة !

ـ فتحتها . .

فضحكت وقالت :

ـ فتحتها وتفر من شرف فتحها ؟

ـ فر من الشرف يتبعك الشرف !

ـ وحق المسيح ان امرك لعجيب يا اسامة !

ـ لو عرفت ما اعرف ما تعجبت

فهزت فلورندا راسها فى يأس وقالت :

ـ افعل ما تشاء يا حبيبى ، ولكن القائد لن يترك الفتى الذى فتح له المدينة يفر من بين يديه دون أن يجزل له العطاء ، أو يرفع منزلته بين القواد

ـ دعى هذا الحديث يا فلورندا، فان مما يهين الشجاعة أن تؤجر

وبعد أن قضى المغيث بعض شؤون القيادة اتجه الى مالك الجرهمى ، وقال :

ـ أين الفتى الملثم الذى فتح الباب للجيش ؟

ـ بعثت اطلبه فى كل مكان فلم اجده

ـ ابحث عنه ثانية

ـ بحثت عنه ثانية وثالثة . . واغلب الظن انه لحق بجيش طارق بطليطلة

ومرت ايام رأت فيها فلورندا أن

من الخير لها ان تخبر المغيث بمكان اسامة ، لانها اقنعت نفسهـا بانه سيكون لها بعلا ، وهى تحب ان يكون زوجها رفيع المكانة ملحوظ المنزلة . ورات انها لو دلت المغيث على مخبئه لاعلى ذكره وجعله من كبار قواده ، فتسللت من خيمتها ذات صباح وقصـدت الى قصر القائد ، فلما مثلت امامه قالت : «انى اعرف يا سيدى مكان الفارس الملثم» . فالقى المغيث قلما كان فى يده وقال فى دهشة وعجب :

ـ اين هو يا فتاة ؟ اخبرينى واسرعى

ـ ليركب معى سيدى القائد لادله على مكانه

وصاح المغيث بعبيده ، فاعدوا جواده ، وسار مع الفتاة حتى بلغ الخيمة ، فهمست فى اذنه : « انه هنا فى هـذه الخيمة » فامرها ان تبتعد قليـلا ودخل فى هـدوء وسكـون . ويا لدهشـتـه ، ويا لذهوله ، حينما راى فتاة رائعة الحسن فاتنة الطلعة ، ولكنه ما كاد يحقق فيهـا النظر حتى صاح :

ـ عائشة ؟ !

فالتفتت عائشة وقد بهرتهـا المفاجاة وقالت :

ـ نعم عائشة يا مغيث

ـ من جاء بك هنا ؟

ـ جئت بنفسى

ـ ولم جئت ؟

ـ لاراك

ـ واين الفارس الملثم ؟

فاسرعت تشير الى ثياب اخيها فى شمم مصطنع وتقول متحدية :

ـ هذا هو الفارس الملثم !

ـ كنت تتنكرين بهذه الثياب يا عائشة ؟ انت والله اشـجع من حمل سيفا او صال برمح . انت والله الشرف الخالد لنساء العرب جميعا . انت التى نزلت الى الموت بقدميها لتفتح بابا كـان فتحـه للعرب فتحا مبينا

ثم انكب عليها عناقا وتقبيلا . ودخلت فلورندا وهمـا فى نشوة الحب وغشية الغرام فصاحت فى رعب :

ـ يا مريم العذراء ادركينى ! ماذا ارى ؟

فافاق العاشقان ، والتفت اليها المغيث قائلا :

ـ هذه خطيبتى يا فتاة .

فاسرعت تقـــول فى غضب وخبال :

ـ لا انه خطيبى انا ! ..

فقالت عائشة :

ـ لا تجزعى يا فلورندا فلست اول من خابت آماله فى الغرام

وجلب المغيث عائشة اليه ثانية، وهو يردد :

ـ سنتزوج الليلة . سنتزوج الليلة

فلم تطـق فلورندا صبـرا ، وخرجت باكية تتعثر خطواتهـا بين الحسرة والياس ، وتضـرب كفا بكف وهى تولول وتصيح :

ـ ضاعت بلادى ! وضاع حبى !

على الجارم

ليالى شهرزاد

بقلم الاستاذ أحمد خميس

خاطرٌ . . رف جناحاه بأنغام الجمالِ
وسرى يحكى عن الماضى . . أساطيرَ الليالى
من رُؤى بغداد هذا الحلم ؟ أم وحى خيالِ ؟

[illegible] من صدى الأمس ظلالٌ عربيه   قصةُ الشرق، وأنباءٌ، وأبكارٌ غوانى
و[illegible] الربع والنُدمان والخمر الرويّه   وأحاديثُ وعاها الليلُ فى سمع الزمانِ
وهنا . . أدركها طيف الصباحِ   ضاحكُ الأهداب، فتان الوشاحِ
فاطوى يا حسناء عن همس مباحِ

□

وهفا كالحلم همسٌ . . هاهنا قصر الأميرِ
فامنحى روحك ما تشتاق من عطرٍ ونور
هذه الليلة يا عذراء . . من عمر الزهور
وتبدى [illegible] عينيها بريق يتقى   وأزاحت يد السحر نقاباً من حريرِ
ومضت [illegible] عبر القصر طيفاً يتقى   واحتواها مرقد الأشباح مخضوب المصير
وهنا . . أدركها طيف الصباح   ضاحك الأهداب، فتان الوشاح
فاطوى يا حسناء عن همس مباحِ

□

ليت شعرى . . يا ابنة السحر ويا بعث الخلودِ
هل تحدرت مع الأنسام كاللحن البعيد
أم بُعثت فتنةً سكرى بكأس ونشيد
أم تنهدت [illegible] النهر، شراع من فتون . .   أطلقته من يد الأسرار ألحانٌ رخيّه
صور العشاق والحب وربات الفنون   وجوار ملء أيديها كؤوس ذهبيه
وهنا . . أدركها طيف الصباح   ضاحك الأهداب، فتان الوشاح
فاطوى يا حسناء عن همس مباح

خبريني ياعروسَ الشرق ، ياسرَّ القلوبِ
أيّ أشواق أثارتها أقاصيصُ الغروب
نسي المفتون ما كان من الأمسِ القريب
أخذته ومضة المجهول فاضتْ من سناكِ فغدا كالطفل ، روحاً تتشهّى وتذوبُ
وانتشى في عالم الأحلام يشكو من هواكِ ومضت أطيافه الحيرى مع الليل تجوبُ
وهنا .. أدركها طيف الصباح ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح
فاطوى يا حسناء عن همس مباحِ

شهرزاد .. يا ابنة الاوهام والسر الخفيّ
أين دنياك التي فاضت على العصر الوضيّ ؟
مثلما لألأت الأشواق بالقلب الخلي
آه من ذكرى لياليك ومن بهو وخان آه من شوق الى عهد من الفن تسامى
وقباب حانياتٍ فوق أعطاف حواني غنّت الحب دموعاً وتساقته ابتساما
وهنا .. أدركها طيف الصباح ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح
فاطوى يا حسناء عن همس مباحِ

فتنة الأجيال هاتي .. ليلة من ألف ليله
غرّدي لحن الفرات .. وانهلي من خمر دجله
واحلمي ياشهرزاد .. من صدى كأس وقبله
وابعثي من شاطىء الغيب أهازيج الصفاءِ وأعيدي ندوة الفن ، وأحلام السقاةِ
كم تناجى في لياليها حنين الشعراء وتجلت بدفوفٍ .. وقيان راقصات
وهنا .. أدركها طيف الصباح ضاحك الأهداب ، فتان الوشاح
فاطوى يا حسناء عن همس مباحِ

أحمد خميس



أثر السينما والإذاعة في القصة

تحتل القصة الآن مكاناً ممتازاً بين مختلف ألوان الأدب العربي الحديث.. فمتى وكيف بدأت هذه الظاهرة ؟. وما الأهداف التي ترمي إليها القصة العربية الحديثة ؟. وإلى أي مدى بلغت ؟. وماذا ينتظر أن تبلغ ، وما مبلغ أثرها في المسرح ، وتأثرها بالسينما والاذاعة ؟.. تلك هي بعض الأسئلة التي طرحت في ندوة الهلال ، وأجاب عنها لفيف من أقطاب الأدب والقصة في مصر وهم :

الدكتور محمد حسين هيكل باشا ــ الأستاذ عباس محمود العقاد ــ الأستاذ محمود تيمور بك ــ الأستاذ توفيق الحكيم

وفيما يلي ننقل ما تحدثوا به في هذا الشأن :

فى الصورة – من اليسار : الأستاذ توفيق الحكيم ، الاستاذ العقاد ، الدكتور هيكل باشا ، محمود تيمور بك ، الاستاذ طاهر الطناحى

متى ولدت القصة العربية الحديثة ؟

محمود تيمور بك – اعتقد ان قصة « زينب » لسعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، كانت اول قصة عربية ظهرت على الطريقة الحديثة . فهى لذلك تعد « جدة » هذا النوع الجديد فى الادب العربى

الاستاذ توفيق الحكيم – كانت هناك محاولات سابقة لتاليف القصة ، مثل « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى ، و « ليالى سطيح » لحافظ ابراهيم ، و « الساق على الساق » لاحمد فارس الشدياق . ولكن قصة « زينب » كانت محاولة اكبر واكمل من هذا القبيل . وذلك لانها وضعت على اساس الفن الحديث ، وكانت الى ذلك خطوة جريئة كبيرة فى عالم التجديد ، اذ اجرى الحديث فيها باللغة العامية الدارجة

الاستاذ عباس محمود العقاد – « حديث عيسى بن هشام » مقامة مطولة نسج فيها المويلحى على منوال مقامات الحريرى والهمذانى ، ويبدو ان عنايته فيها كانت موجهة الى اللغة اكثر منها الى الاسلوب القصصى . على ان جانب القصة فيها ، يمكن ان يعد اساسا للمحاولات التى تلت ذلك ، كما يمكن أن يعد من هذا القبيل أمثال « ام القرى » و « طبائع الاستبداد » للكواكبى ، وقصة « سابور » لشوقى

ولعل اقدام هيكل باشا على اجراء الحديث فى قصة « زينب » باللغة العامية كان متابعة للأستاذ لطفى السيد باشا واستجابة لما كان يدعو اليه من ذلك فى « الجريدة » . واذكر انه كتب مقالة فى هذا الشأن استهلها بقوله : « اللغة العامية مالها ؟ . اذا كتبناها زى ماهى ، يجرى ايه ؟ ! » . كما اذكر أن عبد الله نديم كان يكتب فى مجلته « الاستاذ » مقالات باللغة العامية . وأزجالا ومواويل . وكذلك كانت تصنع مجلة « حمارة منيتى » . ولكن الخاصة من المفكرين والادباء لم يكونوا ينظرون الى هذه الخطة بارتياح

محمود تيمور بك – من رأيى ان هيكل باشا ، ومنصور فهمى باشا ، والمرحوم مصطفى عبد الرازق باشا ، وامثالهم من توابغ الشبان المصريين الذين اكملوا تعليمهم فى فرنسا ، كان لهم فضل مذكور مشكور فى بث الدعوة الى التمصير بين مواطنيهم على اثر عودتهم . وقد نجحت هذه الدعوة

برغم غرابتها فى ذلك الحين ، لأنهم كانوا يقومون بها عن عقيدة ثابتة وايمان قوى ، وكانوا يبذلون فى سبيلها كل ما وسعه شبابهم ووطنيتهم وثقافتهم من جراة وغيرة وحماسة وميل الى التجديد

الاستاذ توفيق الحكيم — انني اوافق على ان تلك الدعوة القوية الجريئة الى التمصير كانت خطوة كبيرة فى سبيل التجديد ، وفى سبيل تنبيه الوعى القومى

الاستاذ عباس محمود العقاد — وكانت ايضا تمهيدا للحركة الوطنية نفسها . اذ برز الحرص على اثارة المسائل الوطنية المختلفة منذ ذلك الحين فى كل ما تجرى به الالسنة والاقلام

الدكتور هيكل باشا — الواقع ان قصة « زينب » التى ظهرت فى مصر حوالى سنة ١٩١٣ قد كتبتها قبل ذلك ، حينما كنت طالبا فى باريس ، بعد أن قرأت كثيرا من القصص الفرنسية وتأثرت بها . ومما يذكر انني تعلمت الفرنسية هناك اذ كانت دراستي قبل ذلك باللغة الانجليزية . فقوى شعورى بحاجتنا الى أدب يصور حياتنا وأخلاقنا وعاداتنا . ودفعني ماكنت احسه نحو مصر وريفها الذى انا من بنيه وربيت فيه ، كما دفعتني حماسة الشباب ، وان شئت فقل دفعني غروره ، الى ان أؤلف عن مصر قصة على غرار تلك القصص الفرنسية العالمية

ولا اعتقد انه كانت هناك جراة ما فى اختيارى اللغة العامية لاجراء الحديث بها على السنة اشخاص القصة من أهل الريف ، فالحق ان هذه اللغة فى تقديرى كانت هى اللغة الطبيعية التى لايمكن بغيرها اجراء ذلك الحديث . على أن هذا لايمنع انني كنت متأثرا بالمبادىء التى يدعو اليها لطفي باشا ، فقد كانت صلتى به كبيرة ، وكنت اكثر من التردد عليه ، والاستماع لاحاديثه وتوجيهاته . وكان له فضل اختيار كثير من الكتب التى قرأتها . وكانت الفكرة التى آمنا بها جميعا وتعاهدنا على العمل فى سبيل تنفيذها ، هى التحلل من جميع القيود الاجنبية، وان نكون مصريين قبل كل شىء

أغراض القصة واتجاهاتها

الاستاذ توفيق الحكيم — تتجه القصة العربية الحديثة الى تصوير العواطف والمشاعر التى تختلج فى نفوس الشعب . وهذا اتجاه محمود . غير ان الملاحظ ان بعض كتاب القصة عندنا يحاولون الاتجاه بها نحو مسايرة الرغبات التى تبديها الطبقات المختلفة فى ميادين الاصلاح الاجتماعى . ولست أعارض فى أن تكون القصة مرآة تمثل آمالنا وآلامنا ومناحى تفكيرنا ، ولكنى أحب فى الوقت نفسه ان تكون لونا من الوان الادب ، اى ان تكون فى الوقت نفسه صورة لتفكير صاحبها فى



من اليمين : محمود تيمور بك ، فالدكتور هيكل باشا فالأستاذ عباس العقاد . . أثناء مناقشتهم فى ندوة الهلال

مشاكل عصره ، وصورة لتقدم الادب العربى بوصفها جزءا منه

الاستاذ عباس محمود العقاد — اعتقد ان القصة يمكن ان تقسم الى قسمين : اجتماعى، وانسانى، ففى القسم الاول يكون ابطال القصة ممثلين للمجتمع الذى يعيشون فيه . وفى القسم الثانى يكون ابطالها صورا عامة شائعة للمشاعر الانسانية فى كل زمان وكل مكان

وعندى ان القصص الانسانية ، مثل « هاملت » وغيرها من قصص شاكسبير ، وقصة « اهل الكهف » للأستاذ توفيق الحكيم ، أكبر نفعا ، وابقى اثرا . وفى الاستطاعة ترجمتها الى جميع اللغات ، وان تقبل عليها وتفيد منها مختلف الطبقات

أثر السينما والاذاعة فى القصة

الاستاذ توفيق الحكيم — اننى اخشى على القصة من السينما والاذاعة والصحافة . فالواقع ان هذه العوامل الثلاثة تكاد ان تهبط بالقصة من حيث هى عمل فنى أدبى يستحق الدراسة ، الى مستوى الوان التسلية السريعة. وقد جن الناس بحب السرعة فى كل شيء . واكثرهم الآن يؤثرون قضاء أقل وقت ممكن فى الاستمتاع

بقصة يشهدونها فى السينما ، او يسمعونها فى الاذاعة ، او يقرأونها فى الصحف مهما تكن تفاهتها ، على ان يشغلوا انفسهم وقتا أطول فى قراءة قصة مطولة أو كتاب

من أجل ذلك ارى لكى نحافظ على كمال القصة وفنها ونفعها أن نحرص على جعلها عملا فكريا أدبيا فنيا ، ينطوى على ما يحبب الجمهور المصرى فيه ، ويحمله على الاقبال عليه للافادة لا للتسلية وازجاء الفراغ

واحب أن اشير لهذه المناسبة الى أن اكثر القصص العالمية الجيدة ، قد ثبت انها لا تصلح للسينما . وقد فشلت المحاولات لاخراج قصص لهكسلى واناتول فرانس وامثالهما على الشاشة البيضاء كما ان قصص برنارد شو التى اختيرت للسينما لم تلق النجاح المنشود . وفى هذا مايؤيد ما قلته من ان القصة يجب أن تبقى عملا أدبيا فنيا قائما بذاته ، والا تخضع نفسها لما تقتضيه السرعة والسطحية فيما يكتب للسينما والاذاعة والصحافة ، فتفقد مقوماتها

محمود تيمور بك ــ مهما يكن من شىء فلا شك فى ان هذه العوامل الثلاثة تؤثر تأثيرا كبيرا فى القصة وسيكون لها القول الفصل فى مستقبلها . على انه لا يمكن البت الآن فى نتيجة هذا التأثير ، فمن الجائز أن يكون تأثيرا خطرا يوهى من شأنها أو يودى بها .

ومن الجائز ان يكون على عكس ذلك مفيدا لها بأن يدفع بها الى التطور ، ويجعل منها ادبا جديدا غير معروف الآن ، بعضه خاص بالاذاعة وبعضه خاص بالسينما ، وفيه الى هذا وذلك ما يقرأ فى الصحيفة او الكتاب

والمهم هو وسيلة التعبير ، سواء أكان ذلك بطريق السينما ، أو بطريق الاذاعة . فاذا كانت الوسيلة صالحة ، ومسايرة لتطور المجتمع ، فليس ثمة خطر على القصة ، أو ما يماثلها من الوان الثقافة

الاستاذ توفيق الحكيم ــ القصة غذاء لا غنى عنه للسينما والاذاعة ، فوجودهما يقتضى بقاءها ما فى ذلك شك ، ولكن ما اخشاه عليها منهما هو أن ينتزعاها من مكانها الادبى ليضفيا عليها لونا آخر جديدا يناسبهما وحدهما

الدكتور هيكل باشا ــ ارى ان الاذاعة والسينما لن تأخذا من القصة الا بمقدار ما اخذ منها الاتجاه الى تأليف القصص البوليسية وقصص التسلية الخفيفة ، اما الجوانب الاخرى للقصة ، من حيث هى غذاء أدبى وفنى واجتماعى ، فلن يمسها شىء لان ضيق وقت الاذاعة وسرعة السينما يحولان دون اتجاههما الى استخدام هذه الجوانب الغذائية الدسمة .

ومما هو جدير بالملاحظة ان قصص الانبياء فى الكتب المقدسة ، وأساطير اليونان وما اليها كالتعاليم

الفلسفية التى صاغها أفلاطون فى قالب حوار قصصى ، وكالقصص التاريخية والاجتماعية التى تصور عصراً معيناً .. كل هذه القصص ما زالت خالدة على مر العصور.

وما ذلك الا لأن طابعها الذى عرفت بمجملها صالحة لكل زمان ومكان. ولهذا اوافق تيمور بك على انه لاخوف على القصة من الاذاعة والسينما

الاستاذ عباس محمود العقاد ـ ان القصص الفنية التى تقوم على التحليل النفسى وتصوير مختلف الوان التفكير والعواطف البشرية ، لن تضيرها السينما والاذاعة شيئا . وانى لأوثر ان اقرأ قصة لكرامازوف اوتولستوى على ان اشاهدها فى السينما . أما القصص الشعبية و « الحواديت » الموضوعة للتسلية ففى ميدان تلخيصها والاقتباس منها متسع السينما والاذاعة والصحافة ، كما هو مشاهد الآن. ولعل بعض هذه القصص يزداد الاستمتاع بها اذا هى شوهدت فى السينما أوسمعت فى الاذاعة

عناصر انتاج الأدب الباقى

محمود تيمور بك ـ الادب الباقى على الدهر هو الادب الانسانى . وانتاج هذا الادب يقتضى فيما اعتقد ان يكون المنتج موهوبا مرهف الحس قوى الملاحظة قادرا على اجادة التعبير وابراز افكاره وملاحظاته فى صورة فنية جذابة، مع تحرى الصدق فى التعبير والدقة فى تصوير احساساته وتسجيل المزايا والعيوب

الاستاذ توفيق الحكيم ـ لاشك فى ان الادب الانسانى ابقى اثرا فى النفوس ، وانه لذلك أبقى على الزمان. وكلماكان الاديب احرص على التفكير والتأثير ومخاطبة الفكر والنفس فى كل زمان ومكان ، كان تأثيره أقوى وأكمل وأعم . ولا يقتضى هذا ان يكون الاديب نفسه محصورا فى بيئته المحلية وحدها . بل يجب أن يكون عمله محل اهتمام « الانسان » حيثما كان . وهذا هو معنى الادب الانسانى

الدكتور هيكل باشا ـ لاشك أن هنالك نهضة فى القصة العربية ، ولكن هذه النهضة ما زالت محدودة وربما كان هذا راجعا الى قلة عدد المتقطعين للتأليف القصصى فى الشرق العربى كما هو الشأن فى الغرب . فأكثر كتاب القصة العربية مشغولون بأعمال أخرى . كما أن اضطراب العالم فى السنين الاخيرة قد ذهب بكثير من بواعث الالهام الذى يعاون على الانتاج القصصى الادبى والتوسع فيه . وهذا هو سر انحطاط مستوى القصة فى فرنسا وغيرها عما كان عليه

وقد جرت محاولات عدة لترقية مستوى القصة فى مصر عن طريق اقامة مسابقات بين المؤلفين. لكنه لوحظ ان هذه المسابقات لايدخلها

غالبا الا الناشئون والمبتدئون . وكيفما كان الامر ففى الشرق العربى حتى الآن كثير من القصص الناجحة ، لاتنقصها الفكرة ولا الحبكة الفنية ، وان كانت اللغة فى بعضها مازالت بحاجة الى التقويم

الاستاذ عباس محمود العقاد ــ لعل الفرق بين الشرق والغرب فى انتاج القصة يرجع أكثره الى توافر اسباب النشر والرواج فى الغرب نظرا الى تقدم الطباعة وكثرة القراء . ومما يذكر انه ظهرت هناك قصة فى سبعة مجلدات عن احداث العالم . اما كتاب القصة عندهم وعندنا فليس ثمة فارق كبير بينهم

لغة التأليف المسرحى

الاستاذ توفيق الحكيم ــ مما يلاحظ ان التاليف المسرحى عندنا لايجد العناية الكافية من الجهات الرسمية ، كما ان اللغة العربية الفصحى لاتمكن المؤلف من اتقان تصوير كثير من المواقف ، وبخاصة المواقف التى يدور فيها الحوار بين اشخاص مفروض انهم يتخاطبون باللغة العامية

محمود تيمور بك ــ اعتقد ان اللغة العربية ليست عائقا كبيرا فى سبيل التاليف المسرحى ، وقد نجحت مسرحيات كثيرة كتبت باللغة العربية الفصحى . على انه يحسن أن تكتب المسرحيات المصرية العصرية باللغة الدارجة ، وتكتب المسرحيات الاخرى باللغة الفصحى . ولاباس بأن تطبع من المسرحيات التى تمثل بالعامية نسخ اخرى باللغة الفصحى تخصص للقراءة . وانى أقوم الآن بتجربة من هذا القبيل . وعلى اى حال ارى ان الزمن كفيل بالتقريب بين اللغتين وبأن ترتفع العامية مع انتشار الثقافة الى مستوى اللغة العربية الصحيحة

الدكتور هيكل باشا ــ لايوجد فى اللغات الاجنبية فارق كبير بين اللغة الفصحى ولغة التخاطب العادية ، أما عندنا فالامر على عكس ذلك . غير ان مما يذكر لهذه المناسبة ان اللهجات العامية العربية آخذة فى التقارب والارتفاع الى درجة الفصحى التى يفهمها الناطقون بالعربية جميعا . واذكر انى حين كنت فى لبنان سنة ١٩٣٤ لم اكن استطيع فهم كثير من لغة التخاطب هناك . وجرت يومئذ مناقشة حول هذه المسألة اشترك فيها المرحوم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ، وكان من رأيه ، استنادا الى ذلك الاختلاف الكبير بين اللغات الدارجة فى الاقطار العربية ، ان التاليف للمسرح بها سيؤدى آخر الامر الى ان يكون لكل قطر عربى مسرحياته الخاصة به . ووافقناه على رأيه هذا حينذاك . غير انى لاحظت فى زيارتى الاخيرة للبنان ان لغة التخاطب فيه قد أصبحت مفهومة

الاستاذ عباس محمود العقاد ــ اري ان تقارب اللهجات العربية بعضها من بعض أمر لابد منه كلما ازدادت الصلات توثقا بين الاقطار العربية وتوحدت الثقافة فيها . ولهذا يحسن ان تكتب المسرحيات المحلية فى كل منها باللغة العامية ، اذ هى اقرب الى الواقع ، ولن يعجز عن فهمها اهل الاقطار الشقيقة الاخرى . ونحن الآن فى مصر نستمع للأزجال والاغانى اللبنانية والسورية والعراقية فنفهمها فى غير مشقة . أما ان يقوم الحوار باللغة العربية الفصحى فى المواقف المسرحية ذات الصبغة المحلية فذلك مايدعو الى الاستغراب ، بل مايدعو الى الاغراب فى الضحك . كما حدث حين قدمت الفرقة المصرية احدى المسرحيات المحلية باللغة الفصحى واضطرت اخيرا الى اعادة كتابة المسرحية باللغة الدارجة

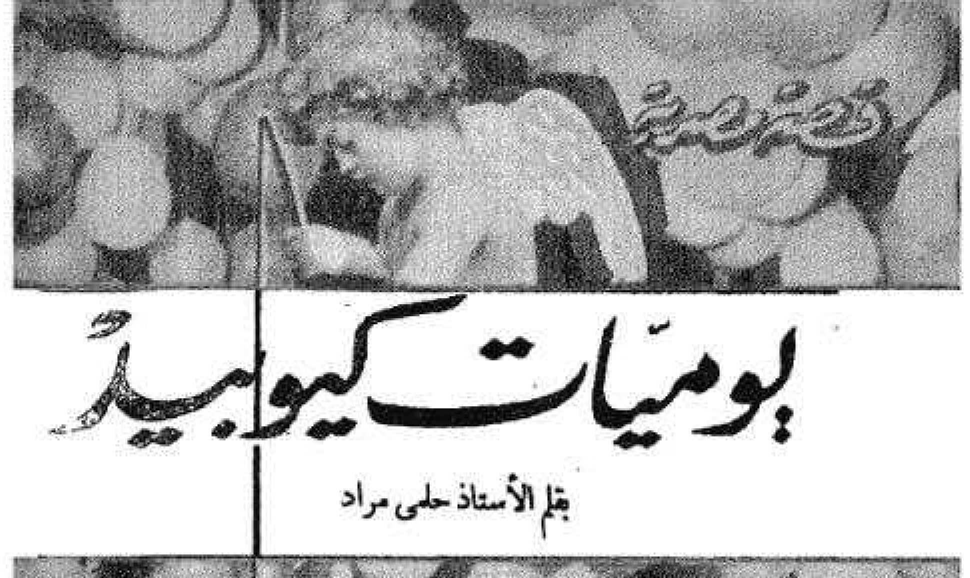
ومن الفكاهات الكشكشية التى لا أنساها ، انه عرض لهذه المسألة نفسها فى احدى مسرحياته ، فأثار ضحك المتفرجين باظهاره بائعة دواجن ريفية تعلن عن بضاعتها قائلة باللغة الفصحى : « معنا الأوز المنزلى ! »

أصلح القصص للشرق العربى

الدكتور هيكل باشا ــ كل انواع القصص تعد صالحة للشرق العربى ما دامت مستكملة جميع الشروط المطلوبة ، واهمها أن تكون صالحة للتأثير فى كل العصور

الاستاذ توفيق الحكيم ــ الواقع لكى تثمر النهضة القصصية عندنا يجب أن تشمل جميع الانواع .

محمود تيمور بك ــ الملاحظ الآن ان هناك اتجاها الى القصص الاجتماعية . ولكننى ارى ان يكون الاتجاه عاما يشمل جميع الانواع



يوميات كيوبيد

بقلم الأستاذ حلمى مراد

٣٠ نوفمبر

فكرت أن اقضى فترة من الشتاء في الأقصر ٠٠٠ سأسافر اليها بالقطار، فانى لا أحب الطائرات٠ انها تصل الى غايتها سريعا ، قبل أن تتاح لى فرصة تمهيد الجو المناسب لايقاع الركاب فى شراكى وتسهيل التعارف بينهم ٠٠!

واكثر البشر يحسبون أن مهمتى سهلة ، وانه ليس على الا ان اختار كلا من هدفى ـ الرجل والمرأة ـ وارمى كليهما بسهمى ٠٠ فتتم المعجزة ، يقع كل فى هوى صاحبه، بسحر ساحر !

لم أكد أشب عن الطوق ـ قوسا وجعبة مملوءة بالسهام ، وعهدت الى بمهمتى الخالدة الشاقة ٠٠ أن ابذر الحب فى قلوب البشر !

ويا لها من مهمة!٠٠ ان أسلحتى ليست سحرية كما يخيل للبعض، بل انها تخيب اذا لم أحسن التمهيد والاختيار٠٠ ولكى أطعن فى الصميم يجب ان أكون سريع الخاطر نهازا للفرص ، ويجب أن أمهد للأمر بدراسة طبائع الاشخاص الذين توقعهم المصادفة فى طريقى ، فأشحذ حواسى كلها كى أسمع وأرى وأرقب عن كثب

فى هذه المذكرات الطريفة ، يفضى كيوبيد « بسر المهنة » ويعرض جانبا من سياسته فى اصطياد القلوب ٠٠ وهو يتجول فى الفنادق والملاهى بين الأقصر والقاهرة

يا للأغبياء ٠٠ انهم لا يعلمون أن التعب والكد فى الحياة فرض علينا، نحن الآلهة، كما هما فرض عليهم ، وأننا نشقى مثلهم كى نحصل على النتائج التى ترضى رؤساءنا٠٠ فأنا ـ مثلا ـ مطالب بأن أقدم كل شهر حسابا مفصلا بالأرقام الى أمى ـ أفروديت ـ فاذا وجدت فيه عجزا عاقبتنى بزيادة عدد « القلوب البشرية » المطلوب منى اصطيادها بسهامى فى الشهر التالى ، وهكذا ٠٠

٠٠ على هذا المنوال تسير حياتى منذ سلمتنى أمى ـ وأنا

٠٠ حتى أعثر على ضالتى وأقف على موطن ضعفها فأصميها بسهمى النافذ !

وويلى اذا اصطدم السهم بقلب حجرى ، فانكسر ٠٠

يومئذ يكون حسابى مع أمى عسيرا ٠٠ وعقابى مريرا !

٢٣ ديسمبر

أف ٠٠ متى ينقضى هذا الشتاء الثقيل ؟٠٠ ان زمهريره يقتل براعم الحب التى ابذرها فى القلوب ، فتجف قبل أن تتفتح ! والناس فى هذا الفصل تتبلد

مشاعرهم فلا يغدو لهم هم غير أن يتدثروا بثياب ثقيلة ويلوذوا ببيوتهم ، ليقرأوا كتابا .. أو يناموا مبكرين !.. الشوارع مقفرة ، والحدائق مهجورة ، والسهرات قليلة ، والزيارات نادرة . فكيف أعمل برغم كل هذه القيود ، وأين التقي بالناس في جو يناسب أغراضي ومهمتي؟

ان حسابي الختامي قد تدهور في الشهر المنصرم ، وقائمة جرحاي قد هبطت الى النصف ..

لا مفر من السفر الى جهة أكثر دفئا ، ينفسح فيها أمامي المجال

الأقصر هي ضالتي !

٢٦ ديسمبر

حزمت اليوم أمتعتي وركبت القطار الى .. الأقصر !

وعندما حان وقت العشاء تسللت الى عربة الأكل .. كانت مزدحمة بالطاعمين ، من الجنسين ، فأجلت فيهم عيني الفاحصة ، حتى وقعت على شاب وحيد منطو على نفسه في ركن العربة ، يختتم عشاءه بقدح من القهوة .. وقد بسط أمامه على المنضدة الصغيرة كتابا وجعل يقرأ ، في هدوء واستغراق ، دون أن يجيل بصره في وجوه المسافرين أو المسافرات!

فكرت أن أبحث له عن أنيسة تبدد وحشته ، فأنا لا أحب أن أرى الشباب بلا رفيق ، وأكره له العزلة والانطواء والحرمان ! انها تغرس فيه بذور الخمول واليأس والعجز عن مواجهة الحياة

ووقع بصري في الركن المواجه له على زوجين : امرأة ورجل .. شابة وكهل .. حسناء ومسخ ، فرثيت لحالها معه . أنا لا أنكر على الشيخ حقه في أن يستمتع بالشباب الساحر .. لكنني لا أرى بأسا في أن يكون له في امرأته شريك . ومن واجبه أن يوطن نفسه على ذلك من البداية ، ان كان فطنا !

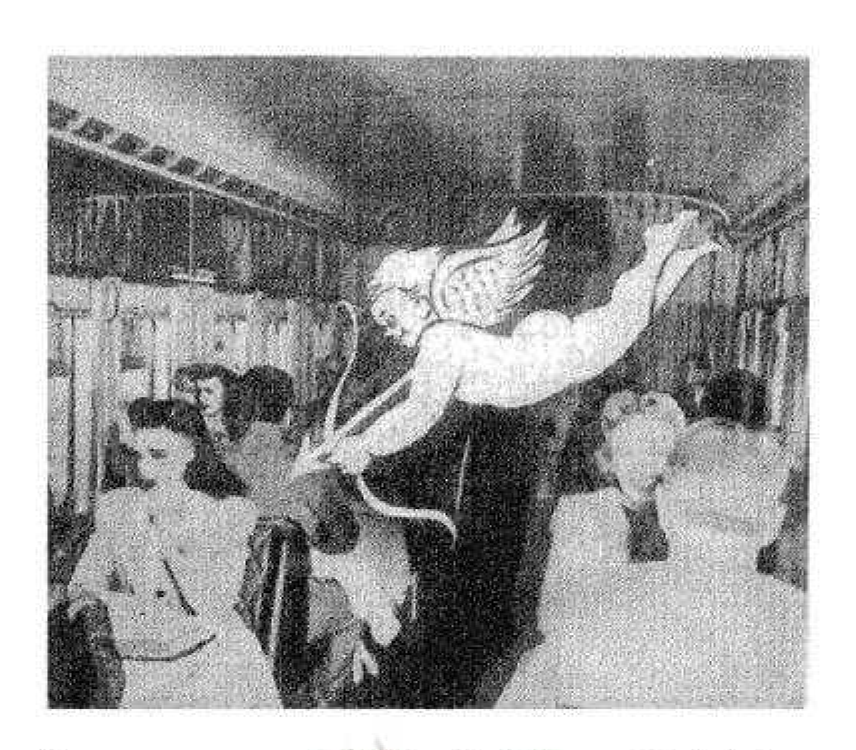
واستخفتني الفرحة حين لمحت امام المرأة على المنضدة كتابا !.. اذن فهي والشاب شريكان في ميل واحد ، والتفاهم بينهما لن يكون عسيرا .. سوف يجدان في محتويات كتابيهما مادة لا تنفد للاحاديث ، التي هي مفتاح كل شيء !

وبغير أن يلحظني أحد أخرجت من جعبتي سهمين ، وشددت قوسي ، ورميت كليهما بسهم .. فرفعت وخزة النصل بصريهما عن الكتابين ، والتقت نظراتهما في الحال !

وحين طالت النظرة ، وشاركها الفم بابتسامة خفيفة ، أدركت أن سهامي قد أصابت منهما القلب .. فآثرت أن أنصرف الى مخدعي ، مطمئنا . فمتى تعلق القلب لم يعدم العقل حيلة ، واللسان وسيلة .. للتعارف !

غدا أعرف النتيجة !

منتصف الليل — بعد أن غادرت عربة الطعام سرت في ممر عربة النوم أبحث لنفسي عن مخدع مناسب ، أقضي فيه ليلتي ..



وخطر لى أن أجرب حظى فأدخل خامس مخدع الى اليمين ، قبل أن أتعرف الى شاغليه !

وخدمتنى المصادفة ، فوجدت فيه .. آية من آيات الجمال ، لعلها تفوق فى جمالها أمى ! وبعد أن اختبأت فى ركن أوصدت الفتاة الباب بالمفتاح وشرعت تبدل ثيابها .. فوقع بصرى على جسد مرمرى فاتن سرعان ما انسدل عليه قميص فاخر من « الساتان » الأبيض أدركت فورا أنه قميص عروس ، ترتديه لأول مرة !

اذن فهى فى طريقها لتقضى فى الأقصر شهر العسل .. ما أسعدها !

ولكن قبل أن أفرغ من هذا الخاطر رفعت بصرى من جسمها الى وجهها ، فاذا فى عينيها شرود حزين ، وأطياف دموع ! .. ولمحتها تتناول من داخل صدرها ورقة صغيرة مطوية ، ثم تنشرها بين أناملها وتقرأ سطورها بشفتين راعشتين

واستبد بى فضول قوى الى الوقوف على سرها .. فوثبت فوق كتفيها ، وشرعت أقرأ معها . كانت السطور تحوى رسالة تفطر القلب من حبيبها الذى قهرتها الظروف القاسية على الزواج من غيره .. يواسيها فيها ويناشدها الصبر ، ويتمنى لها الهناء والسلوان ، بعبارات باكية دامية !

تساقطت دموع العروس على

الورقة، فطمست بعض سطورها ٠٠ثم كانما تنبهت الفتاة لنفسها فمسحت أهدابها وخديها بمنديل مطرز، وأخفت الورقة فيحقيبتها ٠٠ثم رسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة وفتحت الباب٠٠ فدخل منه . يتعثر في خطاه ، رجل في ثياب النوم ، أقرب الى الشباب منه الى الكهولة ، يبدو على محياه النبل الأصيل والخلق الكريم

٠٠اقترب منها، لكنها أشاحت عنه ، بحركة مهذبة٠٠ودلفت الى فراشها ، وتدثرت بغطائها ٠٠ فمشى فيهدوءالصابر الىالمشجب فخلع عليه « الروب » وصعد الى الفراش العلوى ٠٠ وحيناستوى فوقه وسحب الغطاء على جسمه اطلق تنهدة مكتومة ، بلا صوت ٠٠ ثم أطفأ النور !

أدركت موقف العروسين،فرق قلبي للزوج النبيل،الذى لم يجن ذنبا ٠٠ والذى جهل كل شيء عن غرام عروسه السابق !٠٠ ورق في الوقت نفسه قلبي على الفتاة التعسة التي أرغمتها الظروف الظالمة ــ التي تدعى أسرتها ، والمجتمع ــ على الزواج من رجل غير الذى تحبه !٠٠ فصممت أن أفعل شيئا لاسعاد الضحيتين اللتين أوقعتهما المصادفة في طريقى ٠٠ ولبثت أترقب الفرصة المناسبة

وطال انتظارى ساعات ٠٠٠ وأخيرا شعرت بالعروس تتقلب في فراشها الأسفل ، وتتأوه برغمها، كأنها تشكو منمغص!٠٠ وللحال أضيء النور ووثب الزوج على قدميه الى جوارها ، يسألها عما بها والحنان يبلل صوته ويفيض من عينيه ٠٠

ووجدت في ذلك فرصتي ، فشددت قوسي ورميت العروس بسهم٠٠ومنفورها لانت نظراتها وهي تتناول من يده كأس «الكونياك» وتشكره بكلمة رقيقة

وبعد دقائقتركتهما متعانقين!

ما أسعدني بهذه النتيجة ٠٠ انها كفيلة بأن تمحو ألف سيئة وسيئة من سيئاتي !

٢٧ ديسمبر

لم أكد أطأ بقدمي أرض « الأقصر » حتى ذكرتني آثار الفراعنة بنصر منأروعانتصاراتي القديمة وأعظم أمجادي الخالدة على الزمن : غرام كليوباترة ومارك أنطوني ٠٠ لقدكنت أنا خالقه٠٠ فأين منه غرام هذه الأيام ،الذى يغلب عليه طابعالعصر : السرعة، والتقلب ، وعبادة المادة !

المادة هي اليوم عدوى الأول والأكبر ٠٠ هي التي تبذر في قلوب شباب هذا الجيل بذور الكفران بي ، والتحدى لي٠٠حتى لم يعد يخضع لسلطاني اليوم عشر معشار منيخضعون لسلطان المنفعة واغراء المال ٠٠ صارالفتى يبحث عنالزوجة الغنية ، والفتاة تزن أقدار طلابها حسب طراز السيارة !

وكم انكسرت مني سهام في قلوب رجال ونساء فضلوا زواج

المصلحة ، والنسب الذى يقود الى الترقية ، أو الارث ، أو المجد ·· على زواج الحب ، المبنى على وفاق الأرواح والأجساد ؟

انها حرب قاسية بينى وبين المادة ···

لكننى سأنتصر !

وحسبى مشجعا على الكفاح أن أذكر الملك الامبراطور الذى تنازل عن عرشيه كى يحتفظ بالمرأة التى احب ·· ولم يندم حتى الآن !

انه داعيتى الأكبر !

٢٨ ديسمبر

خرجت فى الضحى الى «الأقصر القديمة» متنكرا ، خشية أن يرجمنى أحفاد الفراعنة بالاحجار ·· فقد أنبانى أحدهم بأنهم يكرهوننى ، وانهم قد تنكروا لتقاليد جدتهم الملكة العاشقة ·· لكننى عدت من جولتى مقتنعا بخطأ صاحبى وسطحية نظرته ·· كل ما فى الأمر ان الأقصريين المحافظين ـ كاكثر أهل الصعيد ـ ينكروننى فى العلن ·· أما فى السر فهم من أتباعى المخلصين، شأنهم فى هذا الرياء الاجتماعى شأن القاهريين فى القرن الماضى ، قبل أن يرفع عن وجوه نسائهم الحجاب ، وعن قلوبهن النقاب ·· حين كانت « مشربيات » الدور المحافظة تنوء بما تكتم وتصون من قصص وأسرار جريحاتى وجرحاى ! اليوم أيضا تعرفت فى الأقصر القديمة على عدد من تابعاتى المخلصات ، بعد ان كادت ثيابهن المحتشمة ووقارهن الصارم تخدعنى عن حقيقتهن !

بل ان دليلى قادنى فى ختام جولتى الى حيث أرانى صرحا ضخما من صروحى، قل فى القاهرة ذاتها نظيره ، هو قصر منيف شادته قصة حب جارف بين نبيلة أجنبية وشاب أقصرى !

وقبل أن أترك الأقصر القديمة الى الجديدة ـ التى هى قطعة من طنطا أو أسيوط ـ لذ لى أن أترك ورائى أثرا ·· لمحت فى أحد دكاكين العاديات المتناثرة خلف معبد الأقصر ، عملاقا أسمر ، فى سمرة وفتوة أجداده الفراعين ، يرتدى جلبابا أنيقا مفهافا من « السكروتة » فوقه سترة من الصوف ، وقد ربض خلف « فترينة » مليئة بالتحف الثمينة والجعارين الأثرية الخضراء ·· وفى يده «منشة» من الشعر ذات مقبض من العاج المنحوت على هيئة رأس لفرتيتى الجميلة

ومرت « سائحة » مصرية من حسان الاسكندرية ، فتوقفت عنده تسأله أن يريها ما عنده لتنتقى هدايا لصديقاتها وتذكارات لرحلتها الى «مجاهل الصعيد» ·· وأثار التعبير اللاذع نخوة الشاب الفخور بموطنه فبادلها سخرية بسخرية ، ونكتة بنكتة ·· وحين خفضت رأسها لتتأمل مجموعته الأثرية أمده مزاحهما بالجرأة على أن يختلس نظرات الى صدرها الذى انحسر عنه ثوبها ·· أما هى فقد أدركت من نظرتها التى ارتفعت

لتستقر في عينيه السوداوين اللامعين أن لمعانهما قد أعجبها.. فلم يبق الا آن أحيل الاعجاب العابر الى حب مكين ، يهزم جميع الاعتبارات المثبطة ويزيل أرسخ الحوائل !

ورشقتهما بسهمين ..

ثم مضيت ، واثقا من النتيجه .. فاني أستطيع ان أرى في لوح الغيب ما سوف يحدث في خلال أسبوعين .. سوف يحزم الرجل امتعته وبضاعته وثروته ويختفى من البلدة مع فاتنته ، كي يظهر بعد حين في متجر صغير أنيق بشارع النبي دانيال بالاسكندرية .. أما السكندرية الحسناء فانها وأسرتها المتوسطة الحال سوف تباركان « الصفقة » وترحبان « بالزوج » الفرعوني الثرى !

٢٩ ديسمبر

بينما كنت أستمتع بشمس الضحى الدافئة في شارع «البحر» لمحت عربة « حنطور » تقف أمام باب البنك الأهلي وتهبط منها « حبرة » سوداء تكاد تكون مقفلة تماما ، تمشى على قدمين، وبداخلها امرأة ..! هرعت نحوها حتى حاذيتها وتأملت وجهها ، فاذا هى فى نحو الستين ، سمراء الوجه مترهلة الجسم ، تمسك فى يدها حقيبة يد سوداء ، مثلها .. وتصعد سلم البنك بخطى سريعة ما وسعها جهدها ، خشية أن تقع عليها عين رجل !

تبعتها الى داخل البنك وقد تنسمت في الجو رائحة مغامرة طريفة .. فرأيتها تقف أمام الصراف ، وتطلب منه مبلغا من رصيدها الضخم ، الذى تركه لها « المرحوم » .. ويبدو ان الشاب كان حديث عهد بالنقل الى البلدة، جاهلا بشخصيات عملاء البنك الكبار فيها ، فقد طلب منها ما يثبت شخصيتها !

واهتزت الحبرة ، بمحتوياتها، غضبا لهذه الاهانة .. وانفجرت المرأة فيه محتدة : «شخصية ؟.. شخصية ايه اللى عايزنى أجيبها لك يا فندي يا قليل الحيا..اسأل زملاتك مين أنا وايه مكانتى فى البلد ! » .. فانتفض الفتى خوفا على مركزه من نفوذ العميلة الثرية وبادر بالاعتذار لها وهو يبتسم متلطفا ، ثم صرف لها المبلغ الذى طلبته .. فأحصته ورقة ورقة ، وهى تتلفت يمنة ويسرة ، خشية عين السارق..أو عين الحسود !

..ويبدو أن ابتسامة «صبحى أفندى » ، كانت خلابة حقا ، فقد قابلتها « الست أم عزيز » ، بابتسامة اعتذار تسلب اللب ، ورأيت أنا الفرصة سانحة لامتاع نساء البلدة بقصة غرام مضحكة تشغل جانبا من فراغ أحاديثهن وتؤنس مجالسهن .. فسددت الى كل من الأرملة الثرية والشاب الوسيم الفقير سهما نفذ مباشرة الى القلب !.. ثم تركتها وهى تدعوه همسا الى زيارتها فى بيتها ليعلم ابنها الصبى قواعد الحساب وجدول الضرب !

٣١ ديسمبر

لطالما تمنيت أن أسهر ليلة رأس السنة في فندق « ونتر بالاس » الفاخر ٠٠ وها هي أمنيتي قد تحققت !

كانت أبهاء الفندق وصالاته تموج بأسر كبراء المصريين والأجانب . وموسيقى الجاز تصدح فينسى الجميع على أنغام « السامبا » المجنونة وقار ارستقراطيتهم ٠٠ واتخذت لنفسي مائدة في مكان يصلح لممارسة لعبتي الخالدة، ثم جلست أتسلى بمراقبة الجمع الصاخب ، وأرهف سمعي للاحاديث والهمسات ٠٠

سمعت رجلين من أعداء الزواج العابثين – وكلاهما قد جاوز طور الشباب – يرويان النكات لعروسين من أقاربهما في ربيع العمر وشهر العسل ٠٠ قال الأول في صيغة الجاد ، كي يقتنص انتباه سامعيه : « اعتاد زوج أن يقضي سهراته في أكثر الليالي عند امرأة صديقة ، طيلة سنوات عدة ، فلما ماتت زوجته ظن الناس أنه سوف يتزوج من تلك الصديقة ٠٠ وحثوه على أن يفعل ٠ لكنه قال لهم مستغربا : « وأين اذن أقضي ليالي ؟ » .

وقال الثاني – ويدعى الدكتور اسماعيل : « رأيت منذ برهة رجلا وامرأة متجاورين على مائدة العشاء ، بغير أن يتبادلا كلمة واحدة ، فقلت لنفسي : اما أنهما غريبان ، لا يعرف أحدهما الآخر ٠٠ أو أنها زوجته ! » .

وضحك الشاب ، وابتسمت عروسه ، ثم نهضا ليرقصا ٠٠ بينما استأنف الدكتور اسماعيل وصديقه عبد العزيز بك مباراتهما الطريفة في تسفيه الحب والزواج ٠٠ وفيما يلي بعض ما وعته ذاكرتي من حديثهما :

عبد العزيز بك (مشيرا الى العروسين وهما يرقصان) – ان الحب في مجتمعنا العصري ليس أكثر من تبادل وهمين ، واحتكاك بشرتين !

اسماعيل – ولكن من الحماقة العقيمة يا عزيزي ان تحاول بكلامك اقناع فتاة عاشقة بالتخلي عن حبها ٠٠ فان الحب لا يقيم في الأذن ! ٠٠

عبد العزيز – الواقع ان في الحب تناقضا صارخا ٠٠ فنحن عندما نحب شخصا نحرمه من « الحق » في أن يؤلمنا – سواء بكلماته أم بتصرفاته – في الوقت الذي فيه نضع في يده « الوسيلة » التي تمكنه من ايلامنا !

اسماعيل – والأنكى من ذلك ان الحب أصم ، فان أبلغ خطاب لا يؤثر في مجراه عشر تأثير حركة طائشة تصدر بلا تفكير !

عبد العزيز – الغريب ان الرجل قد يفعل مع المرأة التي تحبه ما يفعل ، ويرتكب في حقها ما يرتكب ، وبرغم ذلك فهي تراه على الدوام « ملاكا » تنقصه الاجنحة ! ٠٠

بل انها قد تضحي بحياتها ألف مرة ومرة ـ لو استطاعت ـ من أجل حبيبها .. ثم تخاصمه يوما من أجل أتفه مسألة تزعم انها تمس كرامتها..وهي تغفرلحبيبها خياناته واخطاءه الجسيمة أكثر من التافهة !

اسماعيل ـ مرجع ذلك التناقض كله واشباهه الى سبب واحد : هو ان كتاب المنطق النسائي ملطخ بالدموع ، والعدالة في محاكمهن تخضع دائما للعاطفة !

وكان العروسان قد فرغا من رقصتهما واقتربا ، فصدمت سمعهما الفقرة الأخيرة ..فعلقت عليها الزوجة قائلة : « وما قولك يا « آبيه اسماعيل » في منطق الرجال ، الذين يصمد الواحد منهم لمناقشة مفحمة، لكنه يتخاذل ويستسلم أمام نظرة !.. لكنك معذور في الواقع ، فان الاغنياء لا يمكن أن يؤمنوا أو يطمئنوا الى حب لا فائدة مادية لهم من ورائه!»

اسماعيل ـ ما الحب في بدايته الا قليل من الحماقة وكثير من الفضول ...

الزوج (سامي) ـ بغير الحب لا يكون الرجل .. جنتلمان !.. والرجل العاقل قد يحب كمجنون .. لكنه لا يحب قط كالحمقى !

عبد العزيز ـ العنف في الحب، يا بني ، شيء يخشى كما يخشى العنف في البغض ..

سامي ـ ان أعظم معجزات الحب في نظري يا عمي ، هي شفاء النفس من ميلها الى العبث والاستهتار ..

اسماعيل ـ أنت مخطيء ، فان مسلك الرجل مع المرأة يظل فاضلا نظيفا ، حتى يقع في هواها .. وعندئذ يستحل لنفسه كل شيء باسم الحب !.. والمرأة لا تلبث ـ اذا كانت مرهفة الاحساس ـ أن تذعن له ، لأنها بطبيعتها لا تستشعر لذة الحواس الا مع الرجل الذي تحبه ..

سامي ـ أكثر الناس يعجزون عن التمييز بين الحب والمتعة .. مثلهم مثل السائح الذي يخيل اليه انه قد أحب بلدة ما لأنه تناول فيها وجبة شهية !

عبد العزيز ـ ما من رجل في مجتمعنا الحاضر يندم على متعة اقتنصها..انه اذا ندم فانما يندم على المتع التي تركها تفلت منه ، والخطايا التي لم يرتكبها !..عندما تشيخ مثل الدكتور اسماعيل .. سوف تدرك هذا ..

اسماعيل ـ كما ستدرك أيضا ان الرجل الذي يعظ بالفضيلة مراء .. والمرأة التي تعظ بها قبيحة ...

الزوجة (عنايات) ـ(ضاحكة)ـ انا لم أعظ بها ..

اسماعيل ـ برافو .. أرأيت يا عزيزي ؟.. ان الجمال أقدس عند المرأة من الفضيلة !

عنايات ـ (مستدركة) أنا لم اقل هذا .. ان منطقك يا « آبيه اسماعيل » ملء بالمغالطات ..

اسماعيل ـ المنطق يا ابنتي هو فن اقناع الناس بالاكاذيب.. انه مطية ذوي البديهة الحاضرة ، التي تشغل الناس عن الجوهر بالبريق .. فلو أخذنا بالمنطق المجرد مثلا لقلنا أنك تغيرين أزياء ثيابك كل ستة أشهر لانها لون من القبح لا يحتمل ... بينما الحقيقة انها ما زالت كيوم اخترتها في البداية لونا من الجمال لا يبارى .. أرأيت الفارق بين المنطق والحقيقة ..؟

عنايات ـ (متخابثة) اسمح لي يا « آبيه » أن أسألك : لماذا لم تتزوج ؟..

اسماعيل ـ لأن الرجال المتزوجين في مجتمعنا العصري يعيشون كعزاب .. والعزاب يعيشون كمتزوجين..! وفي رأيي أن الزواج جعل لكيلا تقفل محاكم الطلاق أبوابها .. وأنا لا يهمني مصير هذه المحاكم !

وأعجبني منطق الرجل .. لكن تحديه لسلطاني أغاظني، وأغراني بالانتقام منه ، فنهضت من مكاني لأعد له كمينا ..

وبعد جولة قصيرة عثرت على ضالتي .. في شخص عانس انجليزية جاوزت الأربعين : وجهها مفعم « بالرجولة » .. و « جفاف » عودها يذكر بطقس أسوان !.. كانت قد جثمت كالغراب على مائدة ، وقلب، مفتش الآثار .. وراحت تمطره بسيل لا ينتهي من الأسئلة « الأثرية » السخيفة والاستفسارات « الفرعونية » اللحوحة .. حتى ضاق بها ذرعا . فلم يجد وسيلة للخلاص منها غير أن يعرفها بصديقه الدكتور اسماعيل، زاعما لها انه حجة لا يبارى في علم الآثار المصرية..وقبل أن يحس اسماعيل بفداحة الكارثة لمح في أصابع المرأة ، وجيدها ،وأذنيها، ثروة من الماس البراق ، دلته على مبلغ ثرائها واستفزت جشعه للمال .. فالتمعت عيناه ببريق الاعجاب!..وانتهزت أنا الفرصة فأصميت كليهما بسهم من جعبتي ..ثم تركت الميل المتبادل بينهما « يختمر » على مهل . ومرقت الى القاعة المجاورة ـ حيث يوجد البار ـ فجعلت أتفحص الموجودين ببصري ، بحثا عن وجوه جديدة!

وفجأة لمحت على مقعدين متجاورين من مقاعد البار العالية .. جريحي الأمس اللذين صادفتهما في عربة الطعام بالقطار .. زوجة الكهل الشابة «زينات» والفتى المنطوي على نفسه «حسني» .. ولكم سرني أن أرى ما كان منطويا منه قد انبسط ، بفعل الخمر التي أطاحت باتزانه وأرسلت الدم الى عينيه ، فراح وصاحبته يتضاحكان ويتغامزان ، وقد زايله خجله وزايلها هي حذرها ..

وخطر ببالي الزوج الكهل .. ترى أين هو ؟ ألا تخشى زينات أن يدخل المكان في أية لحظة فيفاجئهما على هذه الصورة ؟ عجبا لجرأة نساء هذه الأيام ، انها شيء لم

يكن يواتي نساء الأجيال الماضية ولا في الأحلام !

وصح ما توقعت، وما توجست!

لم تمض دقائق حتى أقبل الزوج من البهو المجاور ، فدار بعينيه برهة في أرجاء القاعة ، حتى وقع بصره على زوجته تعابث الفتى الذي بجوارها ، فاتجه نحوهما في خطوات ثابتة لا أثر فيها لترنح الخمر ..

وأمسكت قلبي بيدي توقعا للشر ..

لكن الزوجة حين رأته لم تبد أدنى انزعاج أو اهتمام .. كل ما فعلته انها استقبلته بابتسامة عريضة ثملة ورفعت كأسها الى شفتيها تشرب نخبه .. ثم شيعته بأطيب التمنيات وهو ينصرف عنها الى قاعة القمار ، بعد أن رجاها في لهجة رقيقة الا تنتظره او تتقيد به اذا أرادت أن تنام .. والا تنزعج اذا قضى الليلة حتى مطلع الفجر حول المائدة الخضراء، يبارك حظه في مطلع العام الجديد!

وفيما هو منصرف ، لم ينس أن يهز رأسه بالتحية للفتى المخمور !

ما أطيبه .. انه زوج فطن « مودرن » !!

□

.. وبعد لحظات كانت زينات في طريقها الى غرفتها والفتى وراءها يتعثر في مشيته .. فتبعتهما .. حتى اطمأننت الى نجاح خطتي .. وفي أثناء عودتي في الممر لمحت باب غرفته مواربا ، وقد نسي أن يغلقه .. فدخلت لأستريح فترة من الوقت ولفت نظري فوق المنضدة كتاب مفتوح .. تناولته فاذا هو الكتاب الذي كان حسني يقرأ فيه في عربة الطعام بالقطار ، وكان من كتب « شوبنهاور » عدو المرأة والحب !.. فأغراني الفضول بأن أقرأ في الصفحة المفتوحة منه هذه الفقرات :

« لو كنت ملكا لكان أمري الأول الى شعبي عبارة واحدة : « عيشوا على انفراد .. واياكم والحب والزواج ! » .. فالزواج يعني الفاقة والحرب داخل البيت، وهو ليس غير فخ نصبته الطبيعة للانسان بغية تحقيق هدفها الأكبر ، وهو استمرار أعظم شر في الدنيا ، وأعني به الحياة !.. فما من عجب اذن في أن يقترن الحب الجنسي في أنظار الناس بالخجل والعار، فانه أتعس توكيد لارادة الحياة!.. ونحن عندما نرى نظرات العاشقين المختلسة تلتقي في الظلام نلمح فيها طابع التخفي والسرقة والخوف.. فلم ذلك ؟.. لأن هذين العاشقين هما خائنان يسعيان الى استمرار العوز والكد والعبودية التي تشقى الجنس البشري ، الذي لولاهما ولولا أمثالهما لبلغ نهايته وانقرض وشيكا ..!

« ما من انسان ذكي يقبل أن يصبح شريكا في المهزلة التي يسمونها حب الجنس الآخر ..

ما الحب الا مكيدة دبرتها الطبيعة للتغلب على عدوها الدائم «الموت» عن طريق أعضاء حفظ النوع ٠٠ والطبيعة فى كيدها لا تأبه للفرد، وانما تسعى لحفظ النوع والجنس فقط . ومن ثم لا يكاد الفرد ينجب نسلا حتى يفقد كل قيمة له فى نظر الطبيعة ويكون قد أتم مهمته ونضج للقبر !

«والطبيعة تزود المرأة ـ لبضع سنوات محدودة ـ بثروة من الجاذبية الجنسية والجمال ، على حساب شقائها بقية حياتها ٠٠ حتى تستطيع خلال تلك الأعوام من شبابها أن توقع فى حبائلها رجلا الى الدرجة التى تجعله يهرع الى ربط مصيره بمصيرها والتعهد برعايتها طيلة حياتها ٠٠ لكن الفراشة البشرية لا تكاد تفقد قدرتها على الاخصاب حتى تفقد بفقدانها أجنحتها الملونة وجمالها الأخاذ ، بعد أن انتهت رسالتها ٠٠ ثم تتولى الطبيعة نقل هذه الرسالة من على عاتقها الى عاتق من هن أصبى منها وأجمل وأصح جسما ، كى يتولين بدورهن مهمة الانتاج !

« فيالها من مهزلة !٠٠ وما أغبانا حين ننساق الى فخ الطبيعة، فنحب ٠٠! »

☐

ألا خسئت ويا شوبنهاور، ٠٠ أيها المرائى الكبير الذى ترثر وسفسط بهذا الكلام . ثم فعل ما حذر منه . فأحب مرتين ٠٠ أنجب من أحداهما طفلا غير شرعى، أبى عليه جبنه ونذالته أن يعطيه اسمه العظيم !

وابتسمت فى كمى وأنا اذكر الفتى المنطوى ، قارىء شوبنهاور ٠٠ الذى لم يكد يفرغ من قراءته حتى انهارت فلسفته أمام فلسفة الطبيعة ، أمام اغراء نظرة من امرأة ٠٠ وتداعى عزمه تحت وطأة سهامى النافذة ٠٠

ولكن ٠٠ ما هذا أيضا ؟

لم أكد القى كتاب الفتى من يدى حتى لمحت على فراشه كتابا آخر ، تذكرت انه كتاب الزوجة الحسناء ، الذى كانت تقرأه فى القطار ٠٠ فتحته فاذا سطور من « فولتير » مؤشر تحتها بخطوط ، من قلم رشيق ٠٠ قرأت فيها :

« الحب هو توشية الخيال على نسيج الطبيعة ٠ اذا أردت أن تكون لنفسك فكرة عنه فانظر الى العصافير والحمائم فى حديقتك ٠٠ بل تأمل الذكور من الحيوانات وهى تتقدم نحو أناثها ، ولا تغر من سعادتها ٠٠ فكر فى امتياز الجنس البشرى وتفوقه عليها ٠ اذ البشر يملكون فى « الحب ! » عوضا هائلا عن كل الصفات التى اسبغتها الطبيعة على الحيوان وحده، كالخفة ، والسرعة ، والقوة الخارقة !٠٠ البشر يستمتعون بمسرات تجهلها كافة فصائل الحيوان الأعجم ٠٠ وحسبك أن تفكر فى المظاهر الرفيعة للحب بين البشر حتى تؤمن معى بأن

الحب كفيل بأن يهدى شعبا كاملا من الملحدين الى الله !٠ »

اذن فهكذا انتصرت المرأة على تلميذ شوبنهاور ٠٠ لقد كان « فولتير » خير معوان لها٠٠ولى !

▭

وضعت الكتاب الآخر مكانه٠٠ وانسللت من الغرفة ، عائدا الى الطابق الأسفل ٠٠ كان الليل يلفظ آخر أنفاسه في ضوء القمر٠ وفي ركن منزو من الشرفة فوجئت بمنظر أطربنى ، وأضحكنى !٠٠ كان الدكتور اسماعيل منحنيا على حاجز الشرفة ، منهمكا في مغازلة العانس الانجليزية الثرية، وذراعه على ظهرها ٠٠!

وحين اقتربت منهما متلصصا سمعت هذا الحوار الشائق :

اسماعيل ـ الآن فقط آمنت بأن صحة النفس ليست أكثر أمانا من صحة الجسم٠٠فنحن قد نبدو أحرارا من الحب ، ولكننا في حقيقة الأمر معرضون للاصابة به في أية لحظة كما يتعرض الجسم لجراثيم الامراض٠٠وهذا ما حدث لى !٠٠

مس جونس ـ وفارق الجنسية، والدين ، الذى بيننا ؟

اسماعيل ـ لا يكون حب حقيقى بين ندين ٠٠ ينبغي أن تكون بين العاشقين فوارق ليمحواها ، وثغرات واسعة ليملآها !٠٠مس جونس ، لقد أحببتك من النظرة الأولى حبا طاهرا لا قبل لك بتصور مداه !

مس جونس ـ اذا كان يوجد حب طاهر منزه من شوائب جميع الشهوات،فهو الحب الذى يرسب في قاع القلب ٠٠ وهذا لا يحس به المحب نفسه !



نابلسي فاروقه من زيت الزيتون النقي



ادفع فى القطعة وزن نصف رطل ٦½ قروش

اسماعيل ــ الحب يصون الجمال، والمرأة تتغـذى بالحب كما يقتات النحل من الأزهار ٠٠

مس جونس ــ وبعد يااسماعيل ٠٠ تكاد تغريني !

اسماعيل ــ (يناشدها في لهفة وهو يتنـاول كفها بين راحتيه وينظر فى عينيها) السبيل الوحيد للخلاص من الاغـراء الملح هو الاستسلام له ، هكذا قال اديبكم اوسكار وايلد ٠٠ مس جونس ، هلا قلت : « نعم » ؟

مس جونس ــ (بعد تردد٠٠ وهى تبتسم) نعم ٠٠!

٠٠ ثم التقت شفاهما فى قبلة طويلة !٠٠ وفى تلك اللحظة خرج الى الشرفة شبحان : العروسان، سامى وعنايات ٠٠ فوقفا يتأملان المعجزة الكبرى وقد فغرا فاهيهما دهشـة وراحا يضربان كفا بكف ويتمتمان : « لا حول ولا قوة الا بالله ٠٠ ! »

اختتم هذه المذكرات قبيل الفجر، وقد أخلد الجميع للنوم٠٠ وأخلدت نفسى لراحة عميقة ٠٠ لقد اديت عملى فى اليومين الماضيين على خير وجه، وأحرزت انتصارات ساحقة ٠٠ ولسوف تتهلل أمى فرحا حين أقدم لها قائمة حسـابى الختامى غدا، فقد بلغت غنائمى من القلوب فى الاسبوع الأخير وحده ٣١٦ قلبا

٠٠ وهكذا يمكننى أن أستقل قطار الصباح الى القاهرة، مستريح الضمير !٠٠ وحين أصل سأطلب من أمى أجازة لمدة أسـبوعين ، أستريح فيهما من عناء الأعمال٠٠

١٠ يناير

حدث اليوم أمام عينى حادث طريف ٠٠

كنت أقضى فترة الشـاى فى قاعة الرقص بفندق سميراميس٠٠ فرأيت شابا وسيما أنيقا رشيق الجسم يتقدم الى حسناء فاتنة طالبا مراقصتها٠٠ وقبلت الفتاة طلبه، تأدبا، فراقصها الشاب على أنغام «التانجو» الحالمة، مأخوذا بجمالها٠ ويبدو أنه ضمها الى صدره وهما يقومان بحـركة التفاف ناعمة بحجة مسـايرة الأنغـام ، واذا بالفتاة تفلت يدها من يده وتهوى على خده الأسيل بصفعة قوية صببت عرق الخجل على وجهه ٠٠ ثم لم تكتف بالفضيحة التى اصابته بل أصرت على ابلاغ الأمر للبوليس !

وحين تركت أنا المكان بعـد حين كان الهرج والمرج يسودانه والناس يحاولون اثناء الفتاة عن عزمها ٠٠ بغير جدوى

من سوء حظ المسكين انى فى اجازة ، وان قوسى وجعبة سهامى لم تكونا معى٠٠ والا لعرفت كيف أجعل الفتاة تستكين ، ولو كان وجهـه فى دمامة القرد أو كانت سنه فوق السبعين !

أليس مـن حقى أن أصـاب بالغرور ؟

١٤ فبراير

كنت أعبر ميدان ابراهيم باشا صباح اليوم . حين أوقفت اشارة المرور بمحاذاتي سيارة « بونتياك » فارهة من أفخر طراز ..وشاء الصادفة أن يقع بصري على صاحبها الذي يقودها .. فكدت أصعق ! عرفت فيه موظف البنك الأهلي الذي أوقعت « أم عزيز » في هواه في أثناء اقامتي بالأقصر !

وأغراني الفضول بمعرفة تفصيلات القصة . ففتحت باب السيارة وقفزت الى جوار الشاب المحظوظ . ثم ابتلعت برشامة سحرية أظهرت له هيئتي متجسدة .. فلم يكد يراني حتى رحب بي مهللا وعانقني .. ألست رب نعمته ؟.. ومنه وقفت على كل ما حدث له : ان دروس الحساب للمحروس « عزيز » قد تطورت الى غرام جارف مع أمه . أنسى المسكينة لابسة الحبرة تقتيرها المأثور ففتحت خزائنها للحبيب الغالي وأراقت منها عليه من « الأنتيكات » والشيكات ما جعله يرتع في بحبوحة النعيم ..والمال الذي ادخره « المرحوم » قرشا قرشا صار الفتى يبعثره على خليلاته من الصبايا الحسان في الأقصر والقاهرة . بعشرات ، ومئات الجنيهات!..بل ان المحتال الواعي ينصب الآن شباكه ويدبر خطته كي يظفر من العاشقة المدنفة برصيد « محترم » في البنك ووصية قصة ، تكتب له ، فيها حصة من ثروتها ، تجنبه مفاجآت القدر وغوائل الدهر ، وتكفل له التخمة بالمال مدى الحياة !

كان الله في عونك يا « عزيز » !

٢١ مارس

اطلعت هذا الصباح على بضع صور ورسوم لأمي ولي في عدد خاص أصدرته احدى مجلات البشر لمناسبة بدء فصل الربيع اليوم ـ حسب مزاعم كتب الجغرافيا ـ وان كان البرد القارس ما يزال يدثر الناس بالمعاطف الثقيلة ويلجئهم الى بيوتهم أكثر الوقت..

كانت الصورة الأولى تمثل أمي « أفروديت » خارجة من البحر عند شاطيء جزيرة « سيتيرا » ـ قبل أن تتخذ « قبرص » مقرا لها ـ وقد استندت بخفة على محارة كبيرة وردية اللون، وبالقرب منها « فلورا » آلهة الأزهار ..

أما أنا فقد نشرت المجلة لي صورتين : احداهما تمثلني في هيئة طفل ذي أجنحة ممسك بالقوس في يميني ، وفي جعبتي السهام أطلقها في مرح واستهتار على قلوب البشر !..

والصورة الثانية تمثلني آلها معصوب العينين . كأنما لترمز الى أن « الحب أعمى » !

متى تكف هذه المجلات عن دعاباتها السخيفة ؟.. أنا لست آلها معصوب العينين . اقذف الناس بسهامي كيفما اتفق .وانما أنا أكمل ما أكون بصرا وأرجح ما أكون عقلا وادراكا .. ولولا

مغامراتي الشـاذة الجريئة التي أوفق فيها بين قلوب أناس ينعدم بينهم التنـاسب والتجانس ـ سواء من حيث الشكل أم السن أم البيئة أم المـال ـ لظل أكثر المحرومين من الجمال أو الشباب أو الثراء ٠٠ محرومين أيضـا من الحب والـزواج ، ولتضـاعفت الفوارق بين الطبقات !

لـكنى لست مكلفا بأن أشرح فى كل مناسبة فلسفتي الخاصـة وانما حسب البشر أن يعلموا انني أؤدى لهم خـدمات ـ اجتماعيـة وانسانية واقتصادية ـ لا تقـدر ولا تحصر !٠٠ ولولا قلبي الرحيم لاختل توازن الـكون وكثر فيـه الشر والشقاق والحقد والبغضاء!

ألا ليت النـاس جميعا يعرفون فضـلي ، وقدرى ، كما يعـرفهما العشاق !٠٠

اذن لكنت أسعد الآلهة عـلى الاطلاق !

٣ ابريل

وافرحتاه ٠٠

لقد أقبل الربيع ، بعد غيـاب طويل، فاستقبلته مرحبا بالعناق والقبل ٠٠ انه معاونى الأكبر في عملي ، وساعدى الأيمن٠ لا يكاد ينفث عطره في الهواء حتى تخور مقـاومة الآدميـين لارادتي ، فيستسلم لى أعند المـكابرين من ضحاياى ٠٠

ضحاياى ؟

ولـكن هل أنا « غـول » له ضحايا ؟ ٠٠ الأوفق أن أسميهم مختـارى المحظوظين ، وانهـم لمحظوظون حقا ٠ انى أنفحـهم بلحظات خالدة ، تظل تسـكرهم بخمرها العمر كله٠٠! حتى الآلام النفسية التى يقاسيها العشـاق فى غرامهم ، لها لذتها الخاصـة وسحرها الذى لا ينسى ، والذى أكاد أحسدهم عليه !٠٠انها تبدد وحشة الحيـاة وتشابه الأيام الرتيب الممل ٠ تجعـل لها طعما عجيبا ، ونكهة لاذعة فى حلاوتها ، عذبة حتى فى مرارتها !

وبرغم ذلك ، فان أكثر البشر ينسون دائما أفضالى ، ويلذ لهم أن ينحوا على باللائمة ويتجنوا!٠٠ كلما تنكر لهم حبيب أو أفسـد الدهر لهم تدبيرا حسروا رؤوسهم واستمطروا على اللعنات ٠٠ هم يخلطون بيني وبـين « القـدر » ويعتبروننى مسئولا عن النتائج، وهذا عين الخطأ ٠ فانا كل مهمتى أن أبذر البذرة ٠٠ وهو الكفيل بانباتها خضراء مورقة ، أو خنق جذورها فى باطن التربة ٠ وما تحميل المسئولية كلها الا افتئاتا شبيها باعتبـار الزارع مسئولا عن استنزال الأمطار ، وضمان صلاحية الطقس ، وحماية المزروع مـن آفات الطبيـعة وسرقات اللصوص حتى يتم الحصاد!٠٠أو شبيها بمؤاخذة الوالد على كـل ما يصيب ولده من لحظة ولادته الى ساعة مماته ، لا لشىء الا لأنه كان السبب فى وجـوده ومجيئه الى الحياة !

بل ان بعض الحمقى يريد أن يدس أنفه فى عملى ويحـاسبنى

على تصرفاتى ، زاعما انى أجنح فيها أحيانا الى الشر دون الخير ، فأبذر بذور الخلاف فى الأسر ، واهدم البيوت فوق رؤوس أصحابها ، أو أوقع بين القلوب المتصافية ، أو أغرى الناس بارتكاب الحماقات ٠٠ الى آخر قائمة التهم التى يحاولون الصاقها بى ووضع وزرها على رأسى !

وفات هؤلاء انه ما من تصرف أقدم عليه الا ولى من ورائه حكمة آلهية خافية على عيونهم،قد تكون التأديب والقصاص ، أو الاغداق والمكافأة ، أو التجربة والامتحان، أو توزيع الحظوظ بالعدل والقسطاس ، أو تحقيق أهداف خاصة ٠٠ الخ

لكن البشر لا يكفون عن تصديع رأسى بحملاتهم ، وغبائهم

فمتى يفهمون أن الحياة معقدة متشابكة ، وان ما نراه نحن من سماواتنا ، بنظرتنا المحايدة المجردة ، لا يرونه هم فى زحمة دنياهم وانشغالهم بشؤون أنفسهم ٠٠؟

٢٥ ابريل

أحس اليوم بانتعاش كبير ، فان حمى الربيع قد فعلت فعلها فى القلوب ، فأخذ الناس يتساقطون تحت سهامى كالفراش المحترق ٠ وفى هذه الأحوال تسرى العدوى عادة سريان النار فى الهشيم ، فاذا النفوس والأبدان متفتحة للعناق، ظمآنة للهوى والقبل ٠٠ ترتمى فى أحضان بعضها البعض عند أقل بادرة كالثملة النشوانة ، صيرها الحب مجنونة مجنونة !

وهكذا عدت الساعة من الفيوم بصيد دسم ، يعوض خسائرى السابقة فى الشتاء أضعافا مضاعفة ٠ كان « شم النسيم » ممتعا فى اوبيرج البحيرة ، وقد تحرر خليط الحاضرين من كل قيد واعتنقوا جميعا ديانة واحدة : هى أن الحياة لا تساوى شيئا بغير حب ٠٠ ولا الجمال يساوى شيئا بغير متعة !

وكان أكثر صيدى من الوجوه الجديدة التى لم أصادفها من قبل، فاتسع أمامى مجال العمل متحررا من مفعول سهامى السابقة ٠٠ وفيما أنا أجوس فى الشرفة المطلة على بحيرة قارون لمحت وجهين أعرفهما ٠٠ ولم يحوجنى الأمر الى أكثر من قدح زناد ذاكرتى ثوانى معدودات ، تبينت بعدها فيهما عروسى عربة النوم:الزوجة الباكية النافرة ، التى زوجت مرغمة غير فتاها الذى تحبه ، وزوجها النبيل الصابر الذى قبل نفورها منه ليلة الزفاف صاغرا!!

اردت أن أرقبهما عن كثب ، لأرى نتيجة تدخلى السابق فى حياتهما ، وهل كانت ثمرته وقتية أم دائمة ؟٠٠ فاقتربت منهما ، حتى شاركتهما مائدتهما ٠٠ واذا أول ما تلحظه عيناى ، عدا الابتسامة المتبادلة على الشفاه ، والسعادة المشرقة فى العيون ٠٠ بوادر الأمومة فى قوام العروس،

الذي «كان» في الماضي رشيقا٠٠!

وكان يحوم حول المائدة شاب حائر يختلس النظرات الى الزوجة في الذهاب والاياب ، في قلق وغيظ ، حتى افلح في أن ينبهها الى وجوده ٠٠ لكنها تظاهرت بأنها لا تعرفه ، ولم تعره أدنى التفات ، بل لم يبد على وجهها أدنى ظل للانفعال أو الحنين !

ولم ييأس الحبيب القديم ، فعاد يستأنف طوافه في أرجاء الحديقة والشرفة ، حتى أصبح على قيد خطوات من محبوبته٠٠ وعندئذ تعمد أن يسأل أحد السقاة بصوت عال عن مكان غرفة التليفون، فلما أشار له الى الطريق المؤدى اليها في داخل الفندق اتجه نحوها٠٠ بعد أن التفت الى الخلف التفاتة تنادي الزوجة أن تتبعه !

لكن هذه لم تتحرك من مكانها أو تقطع حديثها الضاحك مع زوجها ٠٠ فلما عاد الشاب بعد ربع ساعة يائسا ارتمى على أحد المقاعد وأشعل سيجارة ينفس بها عن غيظه ، ثم تمتم لنفسه في خيبة أمل :

ـ حقا ان النساء خائنات ٠٠!

وأطربتني النتيجة ٠٠ لكن الأسى الذي داهم الفتى على الأثر حرك قلبي بالاشفاق عليه ، فانتهزت فرصة دخول مهاجرة فلسطينية فاتنة واختيارها مائدة قريبة منه ، ورميتهما بسهمين٠٠ فالتقت النظرات، ولم تمض برهة حتى كانا يجلسان الى مائدة واحدة !

وخرجت من الفندق راضيا عن نفسي ، مستريحا الى محصول يومي ، تاركا ورائي مجموعة من القلوب المتشابكة أعقد تشابك وأمتعه ٠٠

٣٠ ابريل

خرجت اليوم ساعة الأصيل للتنزه في مصر الجديدة ، التي يبدأ في هذا الوقت من كل عام موسمها الصيفي البهيج ، فتعج شوارعها بالشباب والغيد الحسان ، من كافة الأجناس والطبقات والأزياء والأعمار ٠٠ وتصير مقاهيها «كرنفالا» للفتنة والاناقة والجمال، أحار فيه أين أوجه غزواتي ٠٠ وأي الناس أترك ، وأي الناس أختار !

وفيما أنا أرصد المارة عند تقاطع شارعين كبيرين سمعت شابا وفتاة يتناقشان في حدة ظاهرة ٠٠ تذكرت فورا انهما من عملائي السابقين فاقتربت منهما لأنصت الى موضوع المناقشة٠٠ كان الشاب يتهم حسناءه بأنها تخدعه مع شاب آخر ، ويدلل على اتهامه بالأمثلة والبراهين ٠٠ ثم يهددها بالانتقام الذريع !

وفجأة رأيته يتركها وينطلق عدوا الى الرصيف المقابل ، ثم يلقي بنفسه عامدا أمام عجلات «مترو» كان يشق الشارع في أقصى سرعته !٠٠ وصرخت الفتاة، وتصايح الناس ، وأقبلت عربة الاسعاف ، ولكن ٠٠ بعد فوات الأوان !

وصحبت الجمع الى قسم البوليس ، حيث كتب المحضر التقليدي وسجلت أقوال الفتاة واهل الفتى ٠٠ ولمحت والد المنتحر يذرف الدمع السخين.فلما رآني حدجني بنظرة اتهام قاسيه

من لى بمن يفهمه اني من دم ابنه برىء . مظلوم ؟٠٠لقد أدرت الأمر كله في رأسى وأنا منطلق مع الجماهير الى قسم البوليس . فاقتنعت بأنى غير مسئول ٠٠ وانى لم أفعل أكثر من أنى بذرت الحب فى قلب الفتى كما أبذره في قلوب الملايين ، ثم تركت القلب والعقل يتصارعان ، ويصفيان الأمر بينهما كما يحلو لهما ٠ وليس ذنبى ان أولهما كان الأقوى فصرع غريمه ، ثم أودى بصاحبه ٠٠ بينما كان يمكن أن يحدث العكس !

وهمست فى أذن الأب المفجوع: « قر قلبا ٠٠ فان ما وقع كان لابد أن يقع للفقيد يوما ٠٠ فى أول أزمة تواجهه ، ولو لم تكن أزمة حب ! »

مرة أخرى أنادى على رؤوس الأشهاد : « أنى برىء ! »

فليحتكم رعاياى الى عقولهم اذا تحرج الأمر . والا فعلى أنفسهم هم الجانون !

٢ مايو

كان لحادث الأمس تأثير سىء على أعصابى . فلما صحوت اليوم شعرت وأنا أتمطى فى فراشى بأنى قد ضقت ذرعا بالمدن الصاخبة ، وانتابنى حنين الى الريف ٠٠ فركبت من الجيزة احدى سيارات اتوبيس الأقاليم بغير أن أسأل عن وجهتها ٠٠ ثم غلبنى النعاس فاغفيت ٠ وحين صحوت بعد نحو ساعة كانت السيارة تشق طريقها وسط الحقول الخضراء الزاهية ،المنبسطة على الجانبين ، وهواء الصبح الجميل يداعب أبدان المزروعات فتميس قدودها دلالا وتلين للمساته ٠٠ فاستخفتنى فتنة الطبيعة وقفزت من السيارة

وفيما أنا منطلق عبر الحقول ، أقفز فوق هامات الشجر وأنحنى لأشرب من مياه الغدران، سمعت همسا يسرى الى أذنى مع النسيم منبعثا من ظل شجرة صغيرة ٠٠ فاسترقت الخطى نحو مصدره ، واذا فتى وابنة عمه يتندران بأحاديث القرية وقصص الأهل والجيران ٠ وكان حديثهما بريئا من كل شائبة صافيا صفاء ماء الجدول الرقراق ٠٠ لكن السآمة كانت تقطر منه ٠ فحلا لى أن أذيقهما رحيق الحب وأشعل بين ضلوعهما انفعال العواطف الحارة، التى بغيرها لا تتفتح مسام القلوب لادراك حقائق الحياة وكنه الوجود

لكنى أردت أن أداعبهما فى البداية مداعبة طريفة ، فرشقت الفتى وحده بسهم دون الفتاة ٠ وجلست أتسلى برؤيته ينعطف نحوها ، ويتودد اليها تدريجا ٠٠

ثم يخفض بصره الى الأرض وهو يرسم على التراب بغصن في يده خطوطا وأشكالا لا معنى لها .. وفجأة يقول لها :

ـ أنا فى قلبي يا خضرة يا بنت عمي حاجة عاوز أقولها لك ..

ويصارحها بحبه .. فتفغر الفتاة فمها دهشة ، وتحملق فيه متعجبة من هذا الطارئ المفاجئ الذى طرأ على علاقتهما .. بينما يمضى الشاب فى مطارحتها الغرام، وهى جامدة القلب باردة العاطفة، تستمع اليه وتصده وتسخر منه، فى هدوء مثير ..

وبذلت وأنا أرقب العاشق الولهان من مكمنى جهدا كبيرا كى أقمع ضحكة تريد أن تفلت منى .. فان الحب ـ كالحماسة ـ يبدو مدعاة للضحك حين لا يكون متبادلا !

وبدأ « علوان » ييأس ، ويفتر .. حتى رق قلبي له ، واستمتعت بغايتي من دعابتي ، فأطلقت السهم الآخر على قلب الفتاة ..

وجلست أرقبها وهى تتراجع عن عنادها ، وتستجيب لعاشقها خطوة فخطوة ، حتى تداعت أخيرا .. بين ذراعيه القويتين !

وفيما هما كذلك دوى فى الفضاء طلق نارى ، أصاب الفتاة فى مقتل !

وألهت الصدمة العاشق المفجوع عن مطاردة القاتل فى الوقت المناسب .. فلما أفاق من حدة المفاجأة ، كان هذا قد اختفى بغير أن يعرفه أحد !

أما أنا فقد رأيته وهو يتسلل بين عيدان المزروعات ، لائذا بالفرار ..

انه .. أخوها ، قد ثار لشرفه !

وعندما حمل علوان جثة حبيبته باكيا منتحبا ، فاضت دموعى برغمي .. فقد حزت الفجيعة فى نفسى . بل أعترف أنى عدت الى أمى ثائرا وأعلنت اليها استقالتى من عملى ، الذى يحمل ضميرى كل يوم وزر هذه المآسى الدامية ..

فجعلت تهدئ من ثائرتى بمنطقها المقنع المألوف .. ذكرتنى بأننى وفقا لدستور عملى لست مسئولا عن النتائج ، وان مسئولية الحادث انما تقع أولا على القاتل ذى العقلية المخبولة ، وثانيا على العاشقين ذاتيهما اللذين ـ وهما أعلم الناس بتقاليد بيئتهما القروية ـ تركا نفسيهما ينساقان وراء عاطفتهما دون أن يحتكما الى « العقل » الذى كان يقتضيهما أن يتخذا جانب الحيطة والحذر ..

وأقنعتنى حجة أمى .. فاسترددت استقالتى ، واستأنفت عملى !

(طبق الأصل)

حلمى مراد

رمـــاد

بقلم الاستاذ محمود عماد

مرَّ عامٌ على الحبيبين كاليو ... مِ وعامُ اللقاء لا يتوانى

وبثغريهما يقطرُ نحلُ الـــسحب شهداً مسلسلاً ألوانا

لهما أن يُرجّيا مستحيلاً ... وعلى الدهر سوغه إمكانا

خلوةٌ للغرام فى غفلة العذ ... لِ ونجوى تحولت إعلانا

ونعيمُ الجنان يُخلس فى الد ... نيا،ولكن تُراه يرضى الجنانا؟

قالت « اليوم يامصورُ يوم الفـــنّ فاغنمه إن تكنْ فنانا »

«وإليك الأصباغَ والريشَ واللو ... حَ فصورْ جمالىَ الفتانا»

ثم مالت على الوساد وحلتْ ... عروةَ الصدر فاستوى عريانا

وتعرّت للحسن فيها معانٍ ... لو تجسّدنَ صرنَ غيداً حسانا

وبدا للنبوغ ما كان محجو ... باً فلا سهوَ بعدُ أو نسيانا

وثبت عبقرية الفن لما ... دُعيت باسمها ولاحت عيانا

انها بذرةٌ بتربةِ طبعٍ ... خصبٍ فاسقها تجد بستانا

حال جسم الفتى من النضج رُوحاً ... واستحالت روحُ الفتى أشجانا

فاذا خطت الشجون مُناها ... كان حقاً أن تبلغ الإتقانا

واذا كانت الشجون جنونا ... فاطلبوه وطلقوا الأذهانا

ليس للعقل فى العوالم فضلٌ ... غير أن يَعرف الحصى والجمانا

حين أن الجنون يعرف ما أخـــفى الحصى والجمانْ لا ما أبانا

أفسحوا للجنون فيكم مكاناً ... تجدوا الوحىَ حل ذاك المكانا

إن عين الجنون تبصر رُوحاً ... حينما العقـــل يبصر الجثمانا

فهو من ثَمَّ كان أثقبَ رأياً في اكتناه الدنى وأعظمَ شانا

▭

وتلقتْ - رسالةً فتلتها في اهتمام ثم انتوتْ كتمانا
وأتته صباحَ يومٍ فقالت : « طبتَ يا طفلىَ العزيزَ جنانا »
« أنتَ تهوى مفاجآتٍ فخبْ عـــنى وعدْ ربما أعدُّ الخوانا »
ثم مالتْ عليــه توسعهُ لثماً وضماً مطولاً واحتضـانا
قال: « لبيكِ سوف أمضى الى الغا بِ أحيى به مناحى خطانا »

▭

ساعةً ثم عادَ يخطو الى القصـــر مجداً فى خطوه جذلانا
فرأى بومةً فقال : « عجيبٌ ظلمنا البومَ بعدُ والغربانا »
« سكنتْ قصرنا ، فأينَ به الشؤ مُ ؟ أرى السعد هاهنا والأمانا »
ورأى القصرَ مغلقاً برتاجٍ .. ورأى عندَ بابه ديدبانا
قال: من أنت؟ قال: بل أنت من ذا؟ قال: « إنى أنا . كفى هذيانا »
قال : « إن كنتَ زائراً فتمهلْ لستَ فى القصر واجداً سكانا »
فرماه ، وهمَّ فاقتحمَ السُّو رَ ونادى فلم يصب آذانا
فانتحى كل غرفةٍ ، كل قبْوٍ ، كل سطحٍ ، واستجوب الحيطانا
« أين ولتْ يا قصر؟ » . « أين عنوانها ؟ » . « لا أين ولتْ ، ولا عنوانا .. »
« أيها الأرض والسماء أبينا » .. أبت الأرض والسماء بيانا ..

▭

طار منه الحجا فطار مع الر يحِ ضلولاً مولهاً حيرانا
« ياحياتى لا أرتضى فيك موتاً يا نعيمى لا أقبـل الحرمانا »
« يا كثير الوفاء فى الحب طفف أنتَ فى النيل واجدٌ خسرانا »
« غيرَ هذا المصير ما رمتُ منها رغم إنذارها بيـده هوانا »
« (إن حبى شرارةٌ ، فلهيبٌ فرماد) . هذا الرماد احتوانا »
عبثٌ من بنات حواء يذكى فى بنى آدمَ الحروبَ عوانا

ليتهن انكفأن فيها يُطبـن جرعاً ويسترن جبانا

▭

إنه اليوم في المدينة يستعرض فيها الوجوه والأبدانا

هو في ملتقى القطارات إن حل قطار يفحص به الركبانا

«فيم تلك الجنود؟» هذا هو الحا كم آتٍ . قد انتهى جولانا

غاب عن هذه المدينة عاماً جاب فيه البحار والبلدانا

«من تُرى هذه التي استقبلته؟ هي حسناء قد تُحير الحسانا»

«إنها شبهها . تبارك ربي إنها .. إنها» .. وأرخى العنانا ..

جاءها ذاهلاً يصيح بها: «أنت؟ لماذا هدمت مني الكيانا ؟»

فانبرى زوجها وقال لها : «من ذا؟» فقالت: «ماذا أصح لسانا»

«إنه غير عاقلٍ ، هو مجنو نٌ، فمر يُدخلوه مارستانا ..»

قال: «إني أمرت» .. فاقتاده الجند وأولوه قوة وامتهانا

وتوارت عن عينه فتهاوى بعضه فوق بعضه خذلانا ..

▭

وصحا بعد ساعةٍ فرأى العا لم غير الذي رأى بنيانا

وإذا الناس فيه أجسام ناس غير أن الوجدان لا وجدانا

ذاك يبكي وذاك يضحك عفواً لا سروراً رأى ولا أحزانا

قال : «يا قوم إنني لست منكم أنا وفيت حكمة واتزانا»

قيل: «ما الاسم؟» قال: «كانت تناديني (يا طفلي المزر) زمانا»

قيل: «ما العمر؟» قال «عام فريد متُّ من قبله ومت الآنا»

قيل «ما الدار؟» قال داري قصر البوم .. لم آوِ قبله جدرانا»

قيل: «ما المهنة التي كنت تهوى؟» قال «تصويرها» فقيل «كفانا»

«أنت فينا مليكنا ، فاحمل التا ج وخذ في يمينك الصولجانا»

قال : «حقاً نسيت أني مجنو نٌ. لماذا أكذب الإخوانا ؟»

«أفلم تدع الفتاة جنوني ؟ فليكن ما ادّعته حقاً» . فكانا!

محمود عماد

بنت الشاطئ

بقلم السيدة بنت الشاطىء

جلسنا على شط البحيرة فى الفيوم ، نملأ صدرنا من عبير البرية ، ونقلب أبصارنا بين الموج وبين تلك الصحراء التى تمتد الى بعيد .. تائهة المعالم ، مرهوبة الصمت ، مقنعة بالغموض

وسجا الليل ، وسرت فى أعطاف الكون نشوة أسلمته الى خدر لذيذ ، ثم ما لبث كل شىء حولنا ان طوته الظلال وسنى ، تهدهدها موسيقى حالمة ، تنبعث من الفندق الكبير القائم على ضفة قارون

والفيتنى فجاة ، أطوى السنين واعبر الأبعاد ، واسرى — على أجنحة سحرية غير منظورة — الى أقصى الشمال ، حيث مدينة « دمياط » الساحلية الجميلة يحيطها النيل بذراعه اليمنى فتسكن اليه فى دعة وانس ، مطلة على البحر من ناحية ، ورانية الى بحيرة المنزلة من ناحية أخرى

وكنت أعرف وجهتى : سرت فى طرقات البلدة ودروبها لا أتوقف ولا أضل — فقد طالما درجت عليها وتنقلت بينها — واتجهت لتوى الى بقعة معينة من الشاطىء يقوم عليها بيت كبير عتيق ، تصافحه أمواه النيل غادية رائحة ، وتصطفق الموجات على جذوره الراسخة ، فيسمع لها صوت مألوف ، نامت طفولتنا على هزاته الحلوة ، واستروح صبانا لنغماته الشجية

هناك لقيت الطفلة التى أعرفها

رأيتها تأخذ غفلة من أهل البيت ، وتتسلل الى الخارج بخطوات مسترقة وانفاس لاهثة ، ثم تعدو والبة الى شط النهر ، حيث تجمعت صواحب لها هناك ، لاهيات لاعبات ، يصنعن زوارق من ورق ملون ، ويتشاغلن بتعويمها على سطح الماء فى شبه سباق ، حتى اذا مللن اللعبة ، جلسن على رمال الشط ، يبنين القصور ، أو يصطدن الاسماك

أقبلت الطفلة عليهن وفى قلبها اثارة من خوف وبقية من قلق ، لكنها لم تكد تندمج فيهن حتى زايلها اضطرابها ، ونسيت كل شىء الا عهدها الرفقة العزيزة ، وذلك الملعب الحبيب



« رأيتها تعدو والبة الى شط النهر .. »

وفجاة ، تفتح نافذة من البيت العتيق، ويطل منها وجه غاضب، فتدع الصبية ما هى فيه على عجل، وتهرع الى الدار ، تلتمس عند أمها حماية من سخط جدها الشيخ، لكن أمها تتلقاها بالعتب والانكار .. ما أكثر ما أمرت ألا تخرج الى الشط ، وما أكثر ما تعصى الذى أمرت به !!

□

ولم تكن تدرى أول الأمر لم يحال بينها وبين النهر ؟

أيحذر أهلها من اختلاطها بابناء الجيرة ، وليسوا جميعا سواء فى التربية والخلق ؟ لكن لا .. ان أمها تغريها باللعب مع الرفاق أنفسهم ، فى أى مكان يختارون، غير هذا النهر الممنوع

فلعلهم اذن يبالغون فى الخوف عليها من الغرق ؟ ولكن عجبا !. أو ليس للصواحب كلهن آباء وأمهات ؟ بلى ، وانهن جميعا عزيزات على أهليهن، ومن مع ذلك يأتين الى النهر على هواهن ، وبعلم أهليهن !

وغلب عليها التعلق بالممنوع ، فكانت تنزوى فى ركن من البيت صامتة محزونة ، لا تريد أن تبرح مكانها أو يؤذن لها بالمضى الى الشط ، وهيهات !

ومضت الأيام ...

فلا هى غالبت هواها وصرفت نفسها عما منعت منه ، ولا أهلها نزلوا عن اصرارهم على الحيلولة بينها وبين ما تهوى !

وكان النهر دائما هو المنتصر

فما تركت الصبية حيلة تحتال بها على الخروج ، الا فعلت ، لكى تنطلق الى الصواحب على شط النيل

ورضيت أن تحتمل فى ذلك ، ما كانت تلقى من سخط قومها واعناتهم ، فما ذلك كله بالثمن الغالى لمتعتها المفضلة

□

ثمة شىء واحد كان يمسكها عن الخروج الى ملعبها العزيز :

ذلك هو المساء !

لقد ملأوا لياليها بسمر رهيب عن جن الماء ، وشحنوا خيالها بما زعموا أنهم رأوه من أفاعيل البحر: أشباح تتصادم ، وشخوص تتقاتل ، وسيوف تلمع ، وزئير يسمع ، وجنيات الماء يخرجن كل مساء يطلبن صيدا من بنى البشر!

ولم تكن أمها تنفى شيئا من ذلك أو تثبته ، بل لعلها كانت أقرب الى تأييد ما يبعث فيها الذعر من هذا البحر المرهوب، فقد كانت طوال المدى خائفة عليها ، تذكر لها ما اختطف اليم من ضحايا ، وتروى لها ما سمعت من مآسيه

وعجزت الطفلة عن مغالبة الخوف من تهاويل الظلام، فلم تكن تجرؤ على الخروج اذا جن المساء . كان هذا الملعب ينقلب مع مغرب الشمس الى مسرح منكر لألاعيب الجن، وميدانا لمعركة رهيبة بينهم وبين أبناء البر

أما غيرها من صغار الحى ،فقد كانوا يهرعون الى ملعبهم فى

الأمسيات القمراء من شهور الصيف . وطالما رفعوا أصواتهم ينادون صاحبتهم لكي تنزل اليهم فتشاركهم اللهو والسمر . لكنها لا تكاد تخطو بضع خطوات فى الممر الطويل الذى ينتهى الى الشط حتى ترتد مذعورة، تطلب النجاة من أشباح تتصورها جاثمة فى منعرجات الممر ومنحنياته

فاذا لاحت تباشير الصباح وبدأت الأشعة المضيئة تمزق ذلك الستار الأسود الحالك الذى يلف الكون ويطويه ، نهضت الصبية الى النافذة ، تحيى النهر ، وتملأ عينيها من جماله دون رعب أو فزع

□

ونمت الطفلة ونما معها ادراكها

بدا لها أن كل من فى البيت يرهب الماء، ورابتها نظرات حزينة شاردة ، ترسلها الأعين كلما وقعت على النهر ، فأحست أن ثمة سرا مروعا بين البيت الكبير وهذه الأمواه التى تجرى من تحته ، وصوره لها وهمها ــ المشحون بالأساطير ــ شبحا يثب من أعماق اليم فى جنح الظلام ، فيطوف بحجرات البيت وأبهائه ، ويجثم كالكابوس على أنفاس النائمين

وكان يخيل اليها أحيانا ــ وهى راقدة فى فراشها ــ أنها تسمع وطء قدميه فى الدهليز الطويل المظلم المتعرج ، وتحس لفحة باردة من حركات زعانفه حول مضاجع النوام ، لكنها لم تجرؤ قط على أن تستبين أمره أو تتحقق من رؤيته ، بل كانت تمسك أنفاسها وتطبق أجفانها ، وتنكمش فى حضن أمها حتى يلم بها الكرى فتنام

□

حتى كانت ليلة من ليالى الشتاء وقد هبت ريح عاصفة أثارت الأمواج فراحت تلطم جدران البيت وهى تعوى كالذئاب ، وتقلبت الصبية فى فراشها تتلمس أمها خائفة مقرورة ، فراعها أنها لم تك هناك . وهمت لتناديها ، لكنها أمسكت حين سمعت شهقة خافتة، وأنينا مختنقا، ولما فتحت عينيها على حذر ،لمحت أمها واقفة ، تحدق فى الموج المتلاطم ، وتصغى الى زئير الرياح

وقامت اليها ...

فحدقت أمها طويلا، كأنها ترى فيها جديدا ، ثم قالت هامسة :

ــ أراك كبرت يا طفلتى ؟

قالت الفتاة وهى تواجه أمها ، ثابتة النظرة ، متزنة الصوت :

ــ أجل يا أم ، فهلا حدثتنى عما يشجيك ؟ انك تغرقين أحيانا كثيرة فى حزن صامت مرهق ، وكذلك تفعل جدتك ، وخالتك ! ما جمعكن مجلس الا حسبتكن فى مأتم ، وأريد أن أعرف ، لماذا ؟

فعادت الأم تنظر الى ابنتها تلك النظرة الطويلة الفاحصة ،ثم أدنتها من النافذة وهمست فى صوت أبح :

ــ حدقى فى هذه الأمواج وأخبرينى : هل ترين طيف امرأة تصارع وحوش الماء ؟

ثم اصغى الى عويل الموج وعواء الريح ونبئيني : هل تميزين صوت أنثى من البشر، تنادي وتستغيث؟

فصدعت الفتاة بما أمرت به ، وخيل اليها أنها حقا ، تسمع أصواتا مختلطة ، وتلمح أشباحا ضالة تائهة ، بين الأمواج، لكنها لم تعرف على التحقيق ، ماذا تبغي الأم ، فسألت :

ـ عمن تبحثين يا أمي ؟

أجابت على الفور :

ـ عن أمي !

فصمتت الفتاة لحظة تفكر : كانت تعلم أن تلك الأم المفتقدة قد ماتت من زمن بعيد .. ماتت قبل أن تولد هي وترى النور ، فأي هاتف أحضر ذكراها في جوف هذا الليل البهيم ؟

قالت وقد أعياها الجواب :

ـ ما الذي هاج شجونك فذكرت من فقدتها منذ أعوام ؟

فأشارت أمها الى الموج وقالت:

ـ وهل نسيتها يا طفلتي حتى أذكرها ؟ ما رأيت هذا النهر قط الا ذكرت مصرعها ! وما شهدت تقلبه الا خلتها محمولة على أمواجه العابثة ، تتقاذفها موجة في اثر موجة ، حتى اذا سكن ثائره ، عادت الى مستقرها في أعماق اليم: جثة مجهدة ممزقة ..

رددت الفتاة وهي ترتجف :

ـ حسبتها ماتت كما يموت الناس جميعا

فأجابت الأم وهي تغص بريقها:

ـ كلا يا طفلتي ، لم تمت كما يموت الناس ، وانما اختطفها هذا البحر الظلوم ، ثم لم يلفظ جثتها حتى الساعة ..

وماتت الكلمات على شفتيها ، فقد لمحت جدتها تجلس في فراشها زائغة النظرة بادية الشحوب، ثم سمعتها تسأل في ذهول مستغرق:

ـ هل رأيتها ؟

اجابتها الشابة :

ـ ليس بعد ، فهلا عدت الى فراشك لتستريحي ؟

فلم يبد عليها أنها سمعت ما قيل ، وهزت رأسها ، ورددت ذاهلة :

ـ منذ اختطفها البحر وانا أنتظر ! لقد أنبئت أنها لابد عائدة .. بهذا حدثتني الأطياف التي تلم بي وافدة من مستقرها العميق البعيد ! وأنا قد جاورت هذا البحر ستين عاما أو أكثر ، فما عهدته يحتفظ بجثث من يغتصب أرواحهم من أبناء البر

قالت الطفلة في سذاجة قاسية:

ـ فلعل الأسماك يا جدتي قد ...

ولم تتم كلمتها ، اذ أطبقت يد الأم على فمها وأمسكت الكلمة الكبيرة قبل أن تلفظ ، لكن الشيخة لم يغب عنها ما كانت تريد الفتاة أن تقول ، فظللت وجهها سحابة أحالت شحوبها زرقة كابية ، ثم ثابت الى نفسها ورددت في ايماق :

ـ كلا لم تأكلها الأسماك ..

وكيف وهذا طيفها يلم بنا زائرا كل مساء ؟ وهذا صدى صوتها ملء مسمعي في كل مكان بالدار؟ لو أن وحوش الماء قد نهشت جسدها لما بقي منها طيف ولا صدى ! بهذا آمن آباؤنا وأجدادنا من قبل ، ممن عرفوا أسرار البحر وبلوا أخلاق أهله !

بل ، ان جسد الغريقة ما برح سليما ، وسوف يطفو على سطح الماء ذات يوم !

□

وسمعت الفتاة بقية القصة ، من حاضنة عجوز أعتقها جد الأسرة قبل وفاته ، فلم تهش لحريتها ، بل بقيت تعيش في كنف البيت الذي لم تعرف من الدنيا سواه

سمعت أن جدتها نزلت في صبيحة باكرة الى النهر ، كما تعودت أن تفعل ابان الصيف ، فلما طالت غيبتها افتقدها أهلها فلم يجدوا منها سوى خمارها وحذاءها على حافة النيل ، الى جانب (باب الحريم) المفتوح على الشط الشرقي ، وشهدوا نفرا من الملاحين ، يغطسون في الماء ويطوفون ، بحثا عن غريقة ، رأوها من مرساهم في الغرب ، تنزلق الى جوف اليم !

وعبثا حاولوا انقاذها

بل عبثا حاولوا الظفر بجثتها

التأم سطح النهر بعد أن طواها ، واستأنف سيره الأول ، هادئا ، لا يبالي !

ويئس الناس من أمرها لكن أهلها لم ييأسوا ..

ترك أخوها دراسته بالمعهد الديني واشتغل بالبحث عنها : يستأجر كل يوم غطاسا ، ويمضي به الى منطقة محدودة من مجرى النهر ، ثم يقف منتظرا عودته من الأعماق ، فاذا كان اليوم التالي ، مضى فاستأجر غطاسا آخر ومضى به الى منطقة أخرى ، وهكذا على طول المجرى من جنوب المدينة ، الى أقصى الشمال ..

ونفض الغطاسون قطرات الماء العالقة بأبدانهم وكفوا عن البحث

وبقي الفتى المسكين عند البقعة التي انزلقت منها أخته ، ينتظر أن تنحسر احدى هذه الموجات العديدة عن جسم الشهيدة !

واختارت أمها لها مجلسا عند أقرب نافذة الى مسرح المأساة ، تحدق في قبر الراحلة ، حتى اذا كل بصرها ، احتضنت الابنة التي تركتها الراحلة الغالية ، وراحت تحدثها عن الأوبة المنتظرة ، لتلك التي غيبها الماء !

وبلغ الأمر مداه ..

حمل الأخ المسكين قسرا ، بعيدا عن الشط ، بعد أن خسر نفسه وخسره أهله !

وألحت العلة على الشيخة الثاكلة فلم يعد يمسكها الى الحياة سوى أملها الراسخ في أن يطفو جسد ابنتها ، فتراها لحظة ثم تموت

وكبرت الابنة ، وتزوجت ، وخلفت ، لكنها بقيت الى جوار الثاكلة ، تعينها في تلك الشيخوخة الحزينة المحطومة

وكانت كلما جن الليل قادت الشيخة الى فراشها وسألتها : هل من حاجة ؟

فيكون الجواب الواحد :

ـ أجل ، تجلسين فى مكانى عند النافذة ، فترقبين الموج حتى اذا رد الماء أمك أسرعت الى ..

ونسج الزمن من الأيام أعواما، ومرت الأعوام طويلة بطيئة ، فلا الغائبة عادت، ولا ذكراها طويت، ولا استراح الأحياء الى يأس ..

□

كان هذا هو سر ما بين النهر، والبيت القديم القائم على شاطئه

عرفته الفتاة ، فلم تعد تجد فى الشط ملعبها الأثير، او تنشط للقاء صواحبها هناك ، لكنها مع ذلك لم تكره النهر أو تصد عنه، بل أحست روابط خفية تدنيها منه وتشدها اليه . انها لم تشهد مصرع جدتها ، ولكنها أدركت ذيول المأساة . ومهما تكن الأيام قد باعدت بينها وبين الفاجعة ، فانها لم تنسها أن فى هذا الحوض الكبير مثوى عزيزة من قومها ، وأن أمواهه امتزجت بدموع الباكيات عليها من أهلها

وتعودت الفتاة بعد ذلك أن تقصد الى الشاطىء فى الصبح الندى وابان الأصيل ، فتدلف فى بطء الى احدى المراكب الشراعية الراسية على (شونة) البيت ، حيث تمضى ساعات ذوات عدد ، فى تأمل عذب حزين لم يكن يلائم صباها الغض !

وكان المكان يبدو خاليا أو يكاد ، فحين ترسو هذه السفن آيبة من رحلتها الى سواحل الشام ، يسرع ملاحوها بتفريغ حمولتها ثم يهرعون الى أهليهم فيمضون لديهم أياما فى شبه اجازة ، ريثما يوسق التجار مراكبهم ثانية ، بالبضائع المحلية

وهكذا كانت الفتاة تجد من هذه السفن المهجورة على الشط ، مراحا لأخيلتها ، ومسرحا لتصوراتها ، ومجالا لتأملاتها !

وكثيرا ما كانت تنسى نفسها في استغراقها المتمادى، فلا تثوب الى البيت حتى تأتى حاضنتها ، فتمضى بها الى مأواها ، صامتة مستسلمة

□

وكرت الأعوام ...

وشبت الفتاة وشب معها خيالها الذى أرهفته أشجان نشأتها فى البيت الحزين، ونضج حسها الذى صقلته رؤى الاطياف وأقاصيص السمار ، وتفتحت مداركها فى تلك البيئة الحافلة بالسحر ، والشعر ، والألم !

وكان جد أمها ، أول من التفت اليها فى تذوقها المبكر لآيات الجمال الفنى ، وولعها بحسن التعبير ، فأحب أن يرعى تلك الموهبة الناشئة، وأن يصقلها بما امتاز به من براعة فى النقد، ودقة فى الملاحظة . وبدأ فقربها اليه وآثرها ـ دون أترابها من حفيداته ـ بعنايته وجهده . ثم مضى يمرن قلمها على تسجيل ملاحظاته وتدوين أفكاره ، فى رسائل يبعث

بها الى الصحف. وطاب له الأمر حتى غدا مبعث لذته ورضاه . فى شيخوخته التى أبلت من الأعوام ثمانين !

▭

وكرت أعوام وأعوام ..

وغيب الثرى ذلك الجد الكريم، بعد أن فتح بيده الكليلة الواهنة، باب المستقبل الذى رجاه لحفيدته، وأراده لتلميذته وصفيته !

فعل ذلك فى ظروف قاسية . كلفته حياته ثمنا ..

▭

وبدا للفتاة يوما فجلست تنفس عن نفسها ما يرهقها من مشاعر، وتصور ما يتراءى لها من خواطر وأحلام. فراعها أن وجدت فى ذلك راحة نفسية ما لبثت أن صارت نشوة فاتنة . ثم لم تكد تجد مشاعرها مسطورة أمامها . حتى أحست رغبة ــ لا تقاوم ــ فى أن تبعث بها الى الصحف . كما كان يفعل جدها الكبير ! وجلست فتهيأت لنسخ ما كتبت . على ورق مصقول تعبت فى سبيل الظفر به ، وعكفت تتأنق فى الكتابة والتحبير، حتى اذا آن لها أن توقع مقالها . وقف القلم بين أناملها عصيا جامدا !

هنالك ذكرت ما كانت نسيته فى اشتغالها بالكتابة :

ذكرت أن أباها الذى أبى أن يخرجها فى سن السادسة الى دار العلم، وتخلى عنها يوم حملها جدها ــ بالرغم منه ــ الى مدرسة البنات، يستحيل أن يسمح بظهور اسمها ــ وهى من حريمه ــ فى الصحف والمجلات! انه ليؤثر أن يقرأ نعيها فى عمود الوفيات ، على أن يرى توقيعها فى ذيل المقالات

وهكذا طوت الفتاة ما كتبت، وانطوت على حسرة ويأس ..

وأشرقت عليها أمها فى تلك اللحظة الحاسمة، فبدأ عهد جديد، للفتاة الطامحة ..

لقد وجدت الأم لها مخرجا ، فكأنما ولدتها مرة ثانية :

انها تستطيع أن تكتب ما شاءت ، وتوقعه باسم مستعار

ولم تلقيا عناء فى اختيار الاسم

نظرتا معا ــ وفى لحظة واحدة ــ الى الشاطىء ..

مدرج الطفولة، وملعب الحداثة

مراح الصبا ، ومسرح الأحلام

مجلى الرؤى ، ومعرض الأوهام

منبع الوحى ، ومصدر الالهام

هذا الذى شهد ، ورأى ، وسمع :

شهد مصرع أم شابة ، ورأى فاجعة بيت وأحزان أسرة، وسمع أنين الذين أضنتهم المواجع ، وأذابتهم الهموم

وترنحت الدموع فى مقلتى الأم اليتيمة ، على حين أشرق وجه الفتاة بنور شاحب ، ثم نهضت فوقعت ما كتبت، باسمها الجديد:

بنت الشاطىء

(من الأبناء)



قصة أى مختل العقل ، استطاع فى أواخر القرن الثامن عشر أن يكسب ثروة طائلة وشهرة واسعة

مجنون يصبح ملكا للتجارة

فى اواخر سنة ١٧٨٨ ، شاع فى الدوائر المالية فى امريكا ان رجلا اميا من المشتغلين بدبغ الجلود ، اسمه « تيموثى ديكستر » نزل عليه الوحى فجأة ، فتنبأ بأن اوراق البنكنوت المتداولة حينذاك ، والتى كادت تفقد كل قيمتها بعد سنى الكفاح الطويلة فى سبيل الحرية والاستقلال ، لن تلبث قليلا حتى تسترد قيمتها !

وسخر رجال المال واصحاب البنوك من هذه النبوءة ، اذ لم يكن ثمة ما يؤيدها او يعزز احتمال تحققها . ولكن هذا لم يفت فى عضد الرجل ، فراح يواصل نشر نبوءته ، ويدعو « مواطنيه » الى ادخار ما يمكن ادخاره من تلك الأوراق المالية . وبدأ هو بنفسه ، فاستبدل بكل ما كان يمتلكه هو واسرته مقادير كبيرة من هذه الاوراق

ومرت عدة اشهر ، بعد ان صفى « ديكستر » كل املاكه ، دون ان يبدو فى الجو ما يبشر بتحقق نبوءته . ولكنه برغم ذلك كان يجد متعة كبيرة فى فتح خزائنه كل صباح ، والتطلع الى ما حفلت به من اكداس اوراق البنكنوت ، وكلما تحدث اليه احد اقاربه او معارفه فى شأن مغامرته « الجنونية » هذه ، اجابه فى لهجة المطمئن الواثق قائلا :

ـ ان الوحى لا يخطىء ابدا ، وعما قريب ترون اينا المخطىء واينا المصيب !

ولم تمض اشهر اخرى حتى راى الاخصائيون من رجال الحكومة الامريكية ان لا بد من عمل شيء ما لانقاذ العملة الورقية من ذلك التدهور الشنيع . ثم واصلوا الاجتماعات ، والمباحثات ، وانتهى الامر اخيرا بان اتخذوا بالاجماع عدة قرارات ، كان من شأنها أن عادت قيمة تلك الاوراق

الى الارتفاع ، واستعادت مكانتها في الأسواق المحلية والدولية

وهكذا اصبح « ديكستر » بين عشية وضحاها من كبار الأثرياء في اقليمه . وما لبث ان انشأ مكتبا للاصدار والاستيراد . وعلق على واجهته لافتة كبيرة كتب عليها : «ملك التجارة في الشرق والغرب» !

□

وزاره يوما بعض معارفه ، واقترح عليه احدهم – وهو يسخر منه – ان يصدر القطط الى جزائر الهند الشرقية . وشد ما كانت دهشتهم وسخريتهم منه حين اذاع في اليوم التالي ان «الوحي» هبط عليه بان يعجل بتنفيذ هذه الفكرة . ثم سرعان ما نفذها ، فلم تمض ايام اخرى حتى اعد «شحنة» كبيرة من القطط ، وسارت بها بعض سفنه قاصدة الى تلك الجهات

واصبحت شحنة القطط هذه موضوع تفكه وتندر لدى جميع اهل الاقليم والاقاليم المجاورة . ولكن كم كانت دهشتهم شديدة حين علموا بعد ايام ان الشحنة ما كادت تصل الى بعض الاقاليم الساحلية ، حتى اشترتها السلطات المختصة بأثمان مرتفعة . وذلك للانتفاع بها في مكافحة الجرذان التي كانت قد انتشرت في هذه الاقاليم حينذاك !

□

وبعد ايام اذاع «ديكستر» ان « الوحي » جاءه مرة اخرى ، ونصح له بأن يرسل شحنة من القدور الخزفية الى احدى الجزائر ، واشفق الناس على التاجر المختل العقل من ان تذهب ثروته في هذه المغامرة الجنونية الجديدة . ولكنه ما كاد ينتهي من اعداد تلك القدور حتى انهالت عليه طلبات شرائها من جميع انحاء الولايات ، ولاسيما التي تكثر فيها صناعة العسل . وهكذا عادت عليه هذه الصفقات بربح طائل جديد !

وبدا كثيرون يؤمنون بحسن حظ الرجل . ولكنهم فوجئوا بعد حين باقدامه على مغامرة جديدة كبيرة ، لم يشكوا في انها ستذهب بكل ما جمع . وكانت هذه المغامرة انه رصد أكثر رأس ماله لشراء جلود البقر من هنا وهناك ، بحجة أن « الوحي » هو الذي هبط عليه بذلك

وما هي الا اسابيع حتى ارتفعت اسعار تلك الجلود ، بعد أن كانت حين بدأ شراءها لا تكاد تجد من يشتريها بأزهد الاسعار . فكان أن تضاعفت ثروته بسبب ذلك مرات !

□

ولعل اغرب ما في امر «ديكستر» انه زعم بعد ذلك انه من أعضاء الأسرة المالكة في فرنسا ، واخذ يستعد لدعوة افراد الأسرة الى حفلة جامعة يقيمها لهم في قصوره التي كان قد شيدها . ثم ارسل فعلا بطاقات الدعوة الى القصر

الملكى فى فرنسا ، والى بعض الامراء والأميرات هناك !

ولم يلب أحد من المدعوين هذه الدعوة ، ولكن الحرب ما لبثت ان نشبت فى ذلك الوقت بين انجلترا وفرنسا ، فامتنع الاصدار من أوربا الى الخارج . وارتفع ثمن النبيذ الأوربى ارتفاعا كبيرا . وكان « ديكستر » قد اعد لحفلته مقادير كبيرة منه . فباعها بربح خيالى للراغبين فى ذلك النبيذ

□

واخيرا ، كلف «ديكستر» احد صانعى الأثاث ان يصنع له تابوتا جميلا ، كلفه مبلغا كبيرا من المال . وكتب عليه بلغات عدة « هنا يرقد أكبر مالى فى العالم ، وأعظم عظماء فلاسفة الشرق والغرب » . وكثيرا ما كان يحاول النوم فى هذا التابوت ، بل كثيرا ما كان يحلو له ان يقوم بعمل تجارب لجنازته، فينام فى هذا التابوت ، ثم يأمر بحمله وهو فيه على عربة فخمة تجرها بعض الجياد وتسير بها فى الطرقات ، بينما يتبعها مئات من اصدقائه ومعارفه الذين كان يدعوهم الى القيام بدور المشيعين ..!

[عن مجلة « كورونت »]



قيصر وكليوباتره

تأليف : برنارد شو

تلك هي القصة الثانية التي قدمها برنارد شو للمسرح الانجليزى ، ثم أخرجتها السينما هناك . وقد صور فيها شخصية كليوباترة من زاوية أخرى غير التي صورها منها كل من كتبوا عنها من المؤرخين والروائيين . فهم جميعاً قد وجهوا جل عنايتهم الى إبراز علاقتها بانطونيو أما هو فقد عنى بإبراز الدسائس التي أحاطت بها في صباها لإبعادها عن العرش . وخلص من ذلك الى تصوير علاقتها بيوليوس قيصر عاهل الرومان ووقوعها في غرامه



كليوباتره . كما تبدو في احد مناظر الفيلم السينمائي

في سنة ٥١ قبل الميلاد ، خلا عرش مصر بوفاة بطليموس اوليتس ، فخلفه عليه ولداه كليوباترة وبطليموس ديونيزيوس . ولم تكن كليوباترة قد جاوزت وقتذاك السادسة عشرة من عمرها، ولكنها كانت الى جمالها الباهر ذات همة عالية وذكاء حاد . وكانت تطمح الى ان تحقق لمصر في عهدها ما لم يتحقق في عهود آبائها واجدادها

اما اخوها وشريكها في العرش، فكان يصغرها بست سنوات . وكما هو شأن كل صبي في مثل سنه لم يكن ليعنيه شيء من امور الدولة . وكان كل همه منصرفا الى اللهو واللعب

ومن هنا بدأت الدسائس والمؤامرات من الطامعين في العرش، لكي يؤثروه به دون كليوباترة ، وبذلك يخلو الجو لهم ، ويقبضون على ازمة الحكم والسلطان

وكان رأس الطامعين « بوتينيوس » وائد بطليموس . وقد عرف بدهائه ومكره، فكانت اولى خطواته في هذا السبيل ان ارغم كليوباترة على مغادرة مقر ملكها في الاسكندرية ، والالتجاء الى قصرها في « ممفيس » بالصحراء ، حيث اقامت به مع عدد قليل من الحاشية والاتباع ، وعلى رأسهم مربيتها « فتاتاتيتا»

وفي هذا الوقت الذي عاشت فيه كليوباترة منفية في الصحراء ، تراودها الاحلام والآمال في استرجاع عرشها المسلوب ، كان « بوتينيوس » يعد عدته لتحقيق ما بقي من برنامجه . ولم يفته ان يحشد الجيوش لصد اي هجوم قد تفكر كليوباترة في القيام به

وفي الوقت نفسه كان « يوليوس قيصر » امبراطور الرومان في طريقه الى الاسكندرية باسطوله، متعقبا « بومبي » الذي كان شريكه في الحكم ثم حاول الغدر به للاستئثار بالسلطان ، فكانت بينهما معركة حامية الوطيس ، اضطر بومبي خلالها الى الفرار ببقايا اسطوله المنهزم الى الاسكندرية املا في النجاة من بطش قيصر الجبار

وكاد مجلس البلاط المصري يرفض التجاء بومبي ، ولكن « تيودوتس » ـ معلم الملك الصغير بطليموس ـ اشار بانتهاز هذه الفرصة للتقرب الى يوليوس قيصر وصرفه عن التدخل في شؤون مصر ، وذلك بقتل بومبي خصمه اللدود

وكان ان ذهب « اشيلاس » قائد الجيوش المصرية الى «بومبي» في السفينة التي اقام بها في ميناء الاسكندرية ، ودعاه الى مقابلة الملك بطليموس . ثم ما كاد هذا يهبط معه الى البر حتى نفذ فيه حكم المتآمرين

ووصل يوليوس قيصر الى الاسكندرية بعد ايام ، فكانت مفاجأة سارة له ان قدم له مستقبلوه رأس طريده الخطير .

على انه ما لبث ان راى فى اغتياله على تلك الصورة جريمة بشعة تدعو الى الانتقام من مرتكبيها والى احباط مؤامرتهم السابقة ضد كليوباترة واعادتها الى عرشها الذى ابعدوها عنه ليتولوا هم السلطة باسم اخيها الصغير

وعلى هذا الأساس ارجا قيصر عودته الى روما ، وهبط ارض مصر بجيشه الصغير

□

وهناك فى الصحراء ، وبينما كليوباترة غارقة فى وحدتها ، جاءتها الأنباء بما زاد فى آلامها ، وذهب بالبقية الباقية من آمالها

ان يوليوس قيصر وجنوده قد دخلوا البلاد غزاة فاتحين ، ونشروا الهول والفزع فى كل مكان !

وذهبت كليوباترة الى « ابى الهول » القريب من قصرها ، لكى تستمد منه القوة والصبر على تحمل كل هذه الخطوب والملمات . على انها ما كادت تعود الى قصرها وتأخذ فى الحديث مع مربيتها فتاتاتيتا ، حتى اقبل فارس من اتباعها قد غبرته رمال الصحراء ، وقال وهو يلهث ويرتعد لفرط ما به من فزع واضطراب :

ـ ان يوليوس قيصر يقترب بجيشه من القصر !

وفى غمرة الهول الذى شمل جميع الحاضرين ، امرت كليوباترة باطفاء المشاعل ، وسرعان ما لف القصر فى ظلام دامس زاد فى رهبته ما ساده من صمت حزين لم يكن يتخلله سوى همسات خافتة خائفة من هنا وهناك ، وصفير تمثالى ممنون قادما من بعيد كأنه نذير بالخطر القريب !

وبعد لحظات قصار تفقد الحاضرون كليوباترة ، فاذا هى قد اختفت من القصر !

لقد لجأت الى ابى الهول كعادتها كلما استبدت بها المتاعب والهموم . وهناك فوق الرمال المنبسطة بين مخلبيه ، ركعت تصلى وتبتهل ، وكل جارحة فيها تخفق مع قلبها ، كما كانت تخفق فوقها نجوم السماء حينذاك

كان ابو الهول فى صمته يمثل القوة والجبروت بما يشع فى عينيه وكل ذرة فى جسمه من معانى الخلود والسخرية بما شاهده فى العصور التى تعاقبت عليه ! . اما كليوباترة فكانت تمثل الضعف البشرى وتؤديه همساتها الضارعة وحركاتها المستنجدة بأجلى معانيه !

وبزغ القمر فى هذه الساعة ، وغمرتها اشعته الفضية وهى فى مكانها بين يدى ابى الهول ، فزاد ذلك فى سحر منظرها وروعته

□

وفى هذه اللحظة ، ظهر شبح انسان يتسلل الى هناك فى خطوات وئيدة خفيفة

وكان هو يوليوس قيصر نفسه . غادر معسكره القريب ، وراح

يضرب وحده في عرض الصحراء ، مفكرا في المشكلات التي واجهته منذ نزل بأرض مصر . فلما وصل الى ابي الهول ، لم يسعه الا أن يتريث قليلا وهو يسرح بصره فيه معجبا ببديع صنعه وما يرمز اليه من القوة والحكمة مجتمعتين !

على انه ما لبث ان عاد الى الاستغراق في تفكيره ، واخذ على غير شعور منه يحدث نفسه في صوت مسموع ! . وشد ما كانت دهشته اذ انبعث الى سمعه صوت هادىء حنون صادر من التمثال . ثم كانت دهشته أشد حين تبين على ضوء القمر فتاة ضئيلة الجسم جاثية بين يدي التمثال مادة ذراعيها نحوه في تضرع وابتهال . ولما اقترب منها راعه جمالها الحزين الرزين ، ونظراتها النفاذة الأخاذة ، ثم زاده صوتها سحرا وفتونا حين سمعها تخاطبه هو قائلة :

ـ وانت ايضا يا سيدي جئت تبحث هنا عن الملجأ الامين ؟

كان قيصر في شغل شاغل بالمشكلات التي واجهته . وكان قد جاوز الستين بسنين ، ولكن صوت كليوباترة نفذ الى قلبه كما ينفذ النغم الساحر الى السمع المرهف ، وراعه ما احسه من براءتها ووداعتها ، فاقترب منها وقال :

ـ وماذا الجاك الساعة يا فتاتي الى الاحتماء بابي الهول ؟

وكانت مفاجاة أخرى له ان اجابته قائلة :

ـ انني كليوباترة يا سيدي . وقد جئت الى هنا طلبا للنجاة من اولئك الرومانيين المتوحشين !

وانفرجت شفتا قيصر عن ابتسامة عطف وحنان ، ثم جلس على مقربة من الملكة الجميلة الشابة ، وهو يحمد للظروف ان قادته اليها ، وقال لها :

ـ وماذا سمعت عنهم يا فتاتي ؟

وكانما شعرت كليوباترة بالاطمئنان الى هذا الصديق الذي ساقته الاقدار اليها ، فمضت تحدثه في غير تكلف قائلة :

ـ سمعت عنهم ما تقشعر له الأبدان يا سيدي .. انهم يأكلون اسراهم !. وقائدهم هو يوليوس قيصر ، ألست تعرفه .. ؟ ان اباه نمر مفترس تحول الى انسان . أما امه فكانت بركانا قبل ان تكون امراة .. !

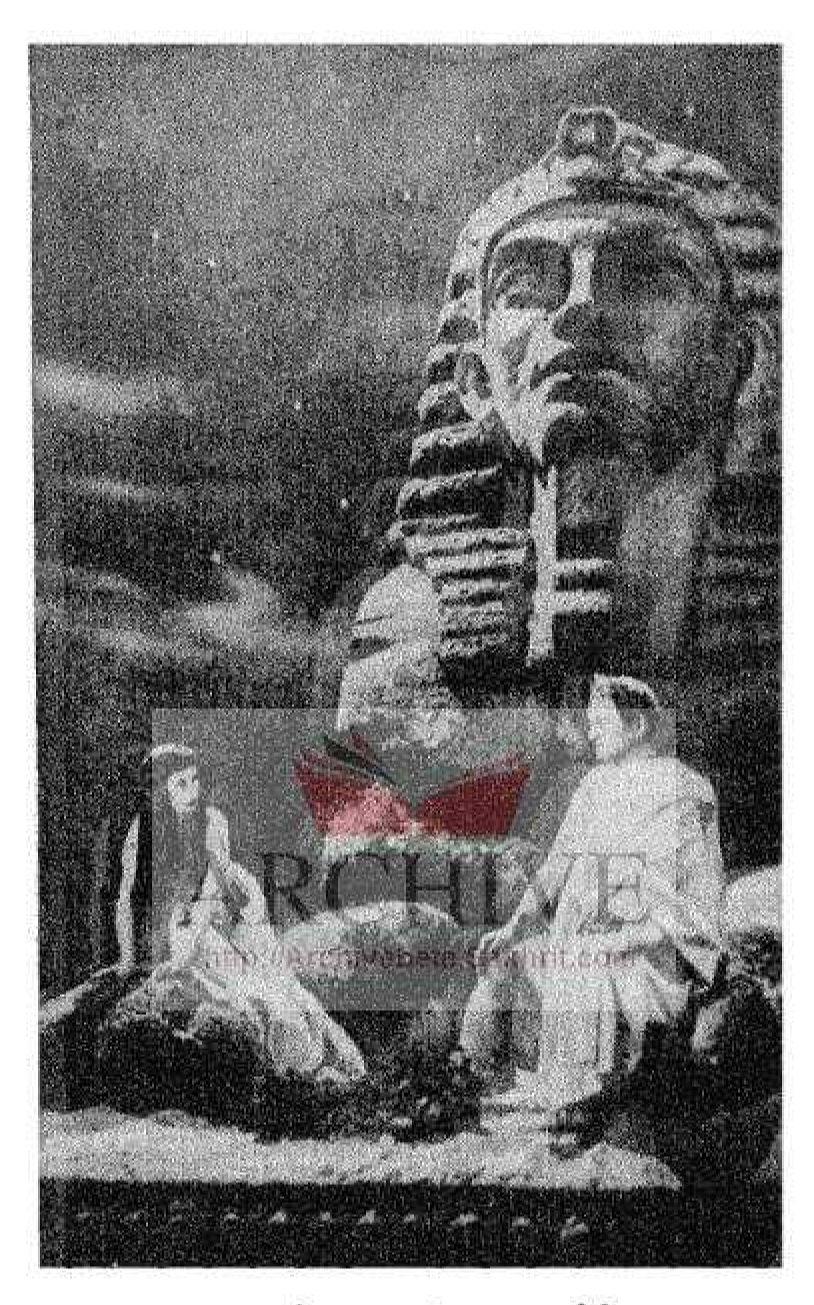
واغرق قيصر في الضحك ، ثم عاد يسألها :

ـ وكيف وصفوا لك شكله ؟

ـ انه كغيره من الرومانيين : له انف كخرطوم الفيل ، وأنياب طويلة من العاج ، وذنب قصير ، وسبع أياد كل منها تمسك بمائة سهم مسموم !

وزاد اغراق قيصر في الضحك ، مما دعا كليوباترة الى ان تمعن النظر في وجهه ، ثم تقول له :

ـ يبدو لي يا سيدي انك غريب لست من هذه البلاد ..



« وماذا ألجأك الساعة يا فتاتي إلى الاحتماء بأبي الهول ؟ »

ولم يشأ قيصر ان يكشف لها من حقيقته ، ولكنه قال :

ـ نعم يا ابنتي انني غريب ، وارجو الا تجزعي اذا قلت لك انني روماني ! . وها انت ذي ترين اننا بشر مثلكم ، لانختلف عنكم في شيء . وثقي بأني على استعداد لحمايتك ومعاونتك

وسكتت كليوباترة قليلا ، ثم تنهدت اذ شعرت بالاطمئنان اليه وقالت :

ـ ان وجودك يا سيدي ازال الخوف من نفسي ، ولست اخشى الآن احدا .. حتى ولا يوليوس قيصر نفسه ! انني اقيم على مقربة من هنا ، في هذا القصر الذي يبدو من بعيد ، فهل تقبل ضيافتي ؟

ـ هذا شيء يسرني ولا شك ، وسيتاح لي هناك ان ادبر مقابلة بينك وبين يوليوس قيصر ، ليعرف انك فتاة جريئة تستحقين كل اجلال وتكريم !

وترك الاثنان مكانهما بين يدي ابي الهول ، واتجها صوب قصر ممفيس

□

كان القصر يكاد يكون خاليا حين بلغته كليوباترة وضيفها الروماني المجهول ، اذ لم يكن فيه سوى عبد نوبي ، وفتاتين من وصيفاتها ، ومربيتها « فتاتاتيتا » . اما بقية افراد حاشيتها وحراسها فقد ولوا فرارا منذ علموا باختفائها على اثر مجيء الانذار باقتراب الرومان

وسار العبد النوبي يحمل مشعلا يضيء لهما الطريق المظلم الذي يسيران فيه

وراع قيصر وهو يسير الى جانب كليوباترة في ممرات القصر ، تلك الفخامة التي تتجلى في كل ركن من اركانه . اما كليوباترة فكانت تشعر بأن الرجل الذي يسير بجوارها سيؤثر في حياتها الى حد كبير ، وكذلك شعرت للمرة الاولى بأن قلبها الشاب ينبض بعاطفة الحب نحو ذلك الروماني الغريب الوقور

على أن « فتاتاتيتا » مربية كليوباترة عصف بها الغضب حين وقع بصرها على هذا المنظر ، وراحت تنهر كليوباترة وتعنفها بشدة لاحضارها هذا الغريب الى القصر دون استئذانها . وكادت كليوباترة تضعف امامها كعادتها ، ولكن قيصر تدخل في الامر ، وبث في نفس كليوباترة من القوة ما جعلها تبدو في شخصية مهيبة امام المربية الغاضبة : فاذا هي للمرة الاولى تركع بين يديها في خضوع وخشوع !

وكانما شجع هذا المنظر كليوباترة على المضي في تاديب المربية ، فتناولت سوطا من جلد الثعبان وهمت بأن تهوى به عليها ، لولا ان هذه نهضت وولت هاربة !

وضحك قيصر ، ونظر الى

كليوباترة قائلا :

ــ الآن أصبحت جديرة بأن تكوني ملكة . ان قيصر نفسه لا يسعه الا ان يعترف بانك قوة خطيرة لا يستهان بها !

ومرة اخرى اضطربت كليوباترة لسماعها اسم قيصر ، وقالت لصديقها :

ــ ولكنني ما زلت أخشاه !

ــ لا داعي الى هذه الخشية . انك تريدين العودة الى عرشك ، وليس غير قيصر وحده من يستطيع تحقيق امنيتك هذه . هيا لا تتخاذلي واستعدي للقائه ريثما اذهب فآتيك به !

□

وفيما كانت كليوباترة ترتدي ثوبها الملكي بمعاونة مربيتها ووصيفتها ، دوى صوت نفير خارج القصر ، ايذانا بقدوم القائد الروماني العظيم

ودخل عليها قيصر غرفتها الخاصة في اللحظة التي اكملت فيها ارتداء ذلك الثوب ، فوضع بنفسه التاج على رأسها ، ثم صحبها الى قاعة العرش بين صفين من الجنود الذين جاءوا في معيته ، وهمس لها قائلا :

ــ تجلدي ولاتخشي شيئا ، ان الملكات لا يخفن احدا !

ووقفت كليوباترة على مدرج العرش شاردة الذهن ، تترقب اللحظة الرهيبة التي ستقع فيها عيناها للمرة الاولى على ذلك القائد الذي أثار الرعب في قلبها .

وجلس قيصر خلفها يترقب ويبتسم

ولم تمض لحظة حتى رات كليوباترة بعض الجنود يدخلون الى القاعة ، ثم يتقدمون ويقفون عند اسفل المدرج ويرفعون سيوفهم الى أعلى تحية لقائدهم قائلين :

ــ خضوعنا لمولانا العظيم يوليوس قيصر ..!

والتفتت كليوباترة حولها في دهشة ، فلم تر احدا سوى صديقها العجوز يرد على تحية الجنود وينظر اليها مبتسما ..!

وما كادت تدرك أن صاحبها هو قيصر نفسه حتى تخاذلت ركبتاها وترنحت في وقفتها ، ولكن قيصر تلقاها بين يديه وهمس في اذنها قائلا :

ــ لا تخافي يا ابنتي ، ان الساعدين اللذين تعتمدين عليهما الآن سيوصلانك الى عرش آبائك

واحست كليوباترة بالقوة تشيع في كيانها ، ورفعت عينيها الى عيني القائد العظيم وهي بين ذراعيه ، وهمست تقول :

ــ انك انبل انسان .. وانني منذ اليوم القي اليك بمقاليد اموري سعيدة راضية

وقال لها وهو يجلسها الى جواره :

ــ سأكون عند حسن ظنك بي يا ابنتي ، وستأتين معي الى

الاسكندرية فاجلسك بنفسى على العرش الذى انزلوك عنه !

▭

وفى ذات يوم استيقظت مدينة الاسكندرية ـ عاصمة مصر ـ لترى شوارعها وقد امتلأت بجنود الرومان ، ثم اذا بالقيصر نفسه يظهر فى موكبه الفخم موليا وجهه شطر القصر الذى يقيم فيه بطليموس ديونيزيوس

واحدث ذلك هزة فى نفوس الأوصياء على العرش ، وكان أملهم ينحصر فى رضاء قيصر عنهم وتركهم وشأنهم لقضائهم على بومبى خصمه اللدود

ولكن خاب املهم حين دخل عليهم قيصر ومعه روفيو كبير قواده وبريتانون سكرتيره ، وفاجاهم بقوله :

ـ ان قواتى تحاصر القصر من جميع نواحيه .. فاذا لم تنفذوا كل ما آمركم به ، فسآخذكم جميعا اسرى وستلقون المصير الذى تستحقونه

ووقف الجميع خاشعين صامتين ، واستأنف قيصر حديثه قائلا :

ـ والآن .. ان كليوباترة تعود بأمرى الى عرشها الذى سلبتموه . وعليكم أن تخرجوا من القصر الى غير رجعة !

ولم يسعهم الا الامتثال ، وخرجوا من القصر ملمومين مدحورين !

وابتسم قيصر لكليوباترة بعد أن اجلسها بنفسه بجانب اخيها الصغير على العرش ، وكانت هى تبدو على شفتيها ابتسامة رائعة وتلتمع عيناها بنظرات الشكر والعرفان بالجميل !

▭

وفى الصباح استيقظت كليوباترة بعد نوم هنىء استمتعت به لأول مرة منذ أنزلوها عن العرش . وكان يوليوس قيصر اول من خطر ببالها ، فأشرقت على وجهها ابتسامة حالمة . ثم قفزت من فراشها وهى تفرك عينيها وصاحت :

ـ فتاتاتيتا .. فتاتاتيتا ..!

ودخلت المربية مسرعة فكان أول ما قالته لها كليوباترة :

ـ ماذا تظنين قيصر صانعا بى بعد أن أصبحت بفضله ملكة من جديد ؟

وتأملت المربية فى جمال كليوباترة الساحر ، وابتسمت قائلة :

ـ بل قولى ماذا انت صانعة به ؟! .. وعلى كل حال ، لك أن تطمئنى الى أننى معك !

وبعد أن أتمت كليوباترة زينتها بمساعدة فتاتاتيتا ، اتجهت الى الجناح الذى يقيم به قيصر .. وهناك رأته جالسا الى خوان وقد نشر أمامه خريطة كبيرة لمدينة الاسكندرية

وراعته فتنتها الطاغية وهى تجلس بجانبه ـ انها لم تعد

تلك الصبية الساذجة التى جذبه اليها ضعفها فى أول الأمر !

وقالت له كليوباترة وهى تشير الى الخريطة المنشورة أمامه :

ــ كأنى بك تستعد لموقعة حربية . . ؟

ــ لا بد من ذلك يا فتاتى ، فلا مفر من الاستعداد لكل طارىء . . ان تدخلى لارجاعك الى عرشك سيجر وراءه مشكلات عديدة ، وقد بعثت فى طلب المدد من روما لتعزيز قواتنا

ولاحظ قيصر ان وجهها قد تجهم وبدا عليها القلق ، فسألها متلطفا :

ــ لماذا انت قلقة ، ألم تعودى الى عرشك ؟

فهمست اليه قائلة :

ــ ان قلقى ليس من اجل عرشى ، ولكنه من اجلك انت !

وحرك صوتها الحنون أوتار قلب قيصر ، ولكنه تماسك وقال لها :

ــ اطمئنى يا فتاتى ، ان قيصر لا يقهر بسهولة . . ولم الخوف وقد اعددنا العدة لكل مفاجأة ؟

وكأنما داخلها شىء من الاطمئنان ، فعاد الى وجهها اشراقه . ثم خطرت ببالها فكرة فابتسمت ومالت عليه قائلة :

ــ والآن بعد ان عدت الى عرشى بفضلك سأقيم الليلة مادبة ، ويسعدنى ان تتنازل بتشريفها وفى معيتك قوادك الابطال

وابتسم قيصر ابتسامة القبول ، اذ لم يكن أحب الى نفسه من أن يكون الى جانب الملكة الشابة الساحرة

□

واخطر قيصر قواده كى يستعدوا للاشتراك فى المادبة التى ستقيمها كليوباترة . .

وكان اكثرهم تحمسا لحضور المادبة ، روفيو كبير القواد الذى كان اكثر رجال قيصر اناقة ، والذى كانت دعوته الى مثل هذه المادبة الملكية الفاخرة تستلزم أن يمر على الحلاق قبل الذهاب اليها لتصفيف شعره وتزيينه

وهناك فى صالون الحلاقة الذى اتجه اليه روفيو ليتم فيه زينته ، كان صاحب الصالون قد انتهى من تزيين احد عملائه وراح يريه مؤخرة رأسه بوساطة مرآتين من البرونز

وبعد ان ابدى العميل رضاءه سأله الحلاق :

ــ هل يحب سيدى أن اضع له فى شعره بعض الزيت لتلميعه ؟

ــ لا مانع على ان يكون غير معطر . ولكن قل لى ، ماذا تصنع مع عملائك الرومانيين ؟

ــ كل عملائى عندى سواء لا فرق بين رومانيين واغريق ومصريين

ــ ولكن الرومان ذوو قلوب بربرية ؛ لقد احرقوا مكبتنا التى كانت تعد احدى عجائب الدنيا . .

انهم سحرة .. يحفرون الآبار ويستخرجون الماء العذب من قاعها ، وهم لا يخشون البحار والمحيطات كأنهم حيتان . ثم ان قائدهم حمل الملكة على ظهره وجاء بها الى هنا ..!

ـ بل ان سحرها يا سيدى هو الذى جعلها تمتطى ظهر قيصر برا وبحرا ، وقد جعلت منه ملكا علينا . انه على كل حال احسن شكلا من كبير قواده روفيو

ـ أوه يا سيدى ، لقد ذكرتنى .. ان روفيو ليس له شبيه فى ضخامة شاربيه ، وكل ما اتمناه ان ازيل له شاربيه حتى يكون اقرب الى الآدميين ..!

وهنا سمع الحلاق صوتا يقول له :

ـ يظهر انك مشغول ، متى ستنتهى ..؟

وما كاد يلتفت ليرى المتكلم حتى وجد نفسه أمام روفيو وجها لوجه ! على انه تمالك نفسه واجابه قائلا :

ـ مرحبا بك يا سيدى ، لحظة واحدة وانتهى من تزيين سعادة قائد الحرس

والتفت روفيو الى هذا قائلا :

ـ عفوا ، لم اعرفك اول الامر

وبادر قائد الحرس الى تحيته وقال للحلاق :

ـ أسرع حتى لا يتعطل السيد العزيز !

ثم نهض عن الكرسي فارتدى وشاحه بمساعدة الحلاق ، بينما جلس روفيو مكانه وهو يقول للحلاق :

ـ لا أريد ان اقص شاربى ، اياك ان تلمسهما ، صفف لى شعرى فقط

وتنهد الحلاق ثم قال :

ـ كم كنت اتمنى يا سيدى أن اهذبهما فأجعلهما على هيئة تعجبك !

ـ انهما على حالهما يعجبان الملكة ..! وانا مدعو الى المأدبة التى تقيمها هذا المساء لقيصر

وعاد الحلاق يقول بعد أن تنهد مرة اخرى :

ـ الا تزيل يا سيدى هذا الشعر النابت فوق وجهك ، انه ما من احد فى الأسكندرية يقل عمره عن الستين ويترك مثل هذا الشعر على وجهه

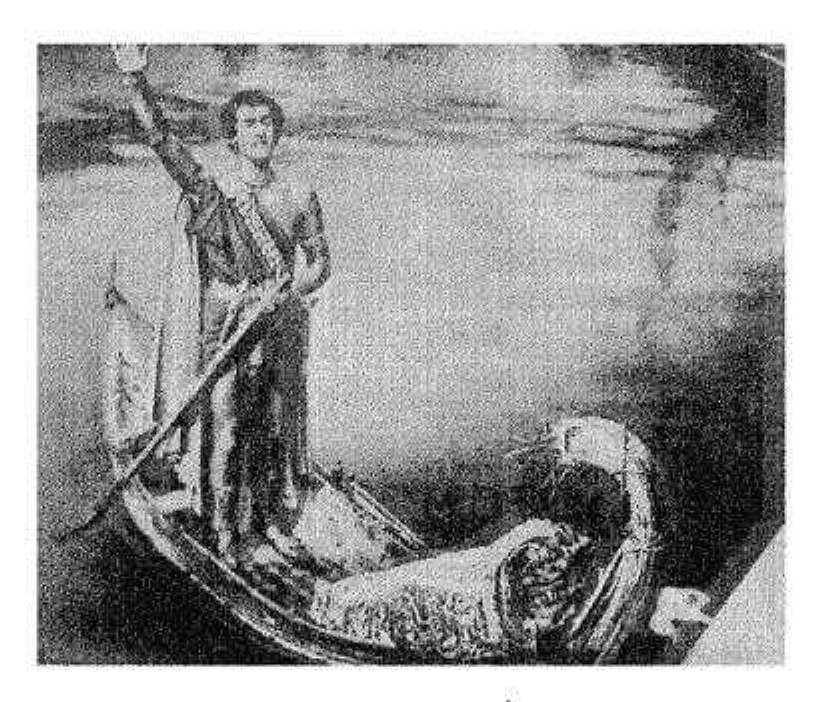
وتملك الغضب روفيو فصاح قائلا :

ـ حذار ان تزيل هذا الشعر . ان فيه سر عظمتى .. افعل كما أريد وكفى ثرثرة

وتأوه الحلاق فى غيظ ، واقبل على تأدية مهمته صامتا

□

.. وبقدر ما احست كليوباترة بالسعادة تغمرها وهى الى جانب يوليوس قيصر فى المأدبة الفاخرة التى اقامتها فى قصرها ، استبد بها الحزن حين أعلنها قيصر بعد أيام انه مضطر الى مغادرة القصر ، ليتخذ لنفسه مقرا امينا فى حصن الفنار الواقع فى جزيرة



« عندى هدية ثمينة لك يا مولاى ، فهل تسمح برفعها اليك .. ؟ »

فاروس عند مدخل الميناء الغربي . فلما شعر باضطرابها بعد استماعها الى هذا النبأ قال لها :

ــ لقد بلغك يا فتاتي نبأ تلك المؤامرات التي يدبرونها لاغتيالي .. كما تعرفين أن أعداءنا حشدوا جيوشا جرارة لا يمكن ان يقف أمامها جيشي بحالته الراهنة، فلا بد من أن ألجأ الى حصن الفنار حتى تأتينا النجدة التى طلبتها، وبذلك أسبق الأعداء الى السيطرة على مدخل الميناء تأمينا لنزول تلك النجدة

وقالت كليوباترة :

ــ وماذا أصنع وأنا وحدى ؟

فقال لها :

ــ لا تخافى ، الزمى قصرك فى حراسة الفرقة التى سأتركها للدفاع عنك ، وحين تصل النجدة سأعود اليك بعد أن أقهر أعداءك وأعدائى

وعاشت كليوباترة بين جدران القصر ولا سمير لها الا ذكريات الايام التى قضتها مع قيصر منذ التقى بها أول مرة . وكانت أنباؤه تصل اليها فى فترات متقطعة بوساطة شاب من أبناء صقلية يدعى ابولو دورس

وكان هذا الشاب فى الرابعة والعشرين على قدر كبير من الوسامة وقوة العضلات ورشاقة

القامة وخفة الروح ، فأحست نحوه بميل وانعطاف

وكان طبيعيا أن يتعلق بها قلب ابولودورس ، ولكنه احبها بلا أمل . فاين هو منها وهي الملكة وهو احد عبيدها ؟!

وهكذا اكتفى من حبه اياها بتلك اللحظات القصيرة التي يشبع ناظريه فيها من سحرها وجمالها

□

وجاءت الانباء الى كليوباترة بأن الأعداء يستعدون للقيام بهجوم عام على منطقة مدخل الميناء ، وطار صوابها عندما احست بالخطر يتهدد رجلها الأوحد . ولم تطمئن الى تكليف احد بمهمة انذاره ، فقررت ان تذهب هي بنفسها لاداء هذه المهمة

ولكن كيف يمكنها الخروج من القصر ولدى حراسه أوامر مشددة من قيصر بأن يراقبوها ، حتى لا تتعرض للخطر اذا خرجت من القصر ؟!

واستبد اليأس بها ، وكادت اعصابها تنفجر لفرط ما فكرت في الطريقة التي يمكنها ان تخرج بها من القصر . وفجأة خطر ابولودورس ببالها ، فانتظرت حتى جاءها وسألته :

ــ هل يمكنني أن أضع حياتي بين يديك يا ابولودورس ..؟

وقال الشاب والدنيا لا تسعه من فرط الابتهاج :

ــ بل انا الذي اضع حياتي تحت قدميك يا مولاتي

ــ كل ما أطلبه منك أن تساعدني في الوصول الى يوليوس قيصر . ان حياته في خطر ..!

وأحس الشاب كأن قوى العالم كلها قد تجمعت في كيانه فقال :

ــ مري بما شئت يا مولاتي ، وليس على الا السمع والطاعة في الحال !

فأشارت الى سجادة كبيرة مطروحة على الارض وقالت :

ــ ليس هناك من سبيل الى خروجي من هذا القصر الا بأن تحملني داخل هذه السجادة ، فهل أنت على استعداد لذلك ؟

ــ ان حياتي فداؤك يا مولاتي

وما هي الا لحظات حتى كان ابولودورس يخرج من القصر وعلى كتفه حمله الغالي ، دون أن يعترضه أحد . وسار في طريقه حتى وصل الى البحر فوضع حمله بكل حرص في قارب ، وأخذ يشق بهطريقه الى جزيرة فاروس

□

كان يوليوس قيصر يقف في شرفة بحصن الفنار وبجانبه روفيو ، حين رأى قارب ابولودورس يرسو عند قاعدة الفنار

ورفع الشاب نظره الى اعلى وقال وهو يشير الى السجادة :

ــ عندي هدية ثمينة لك يا مولاي ، فهل تسمح برفعها اليك ..؟

وقبـــل أن يجيب قيصر عن سؤال الشاب ، قال له روفيو :

ــ حذار يا مولاى ، ربما كان فى الأمر خدعة . انه اجنبى ولا يبعد أن يكون أعداؤنا قد اشتروه بالمال لايقاعك فى فخ نصبوه لك

وضحك قيصر وقال :

ــ دع عنك هذه الأفكار العقيمة يا روفيو ، انزل اليـه الرافعـة لاحضاره هـو والسـجادة التى معه .. انها ثمينـة فيما يظهر ، وانت تعرف اننى لا اهوى شيئا كما اهوى السجاد ..!

وما هى الا هنيهة حتى كانت السجادة أمام يوليوس قيصر ، ثم اذا به يفـاجأ برؤية كليـوباترة تنتصب واقفة فى أشد سحرها وفتنتها ، وصرخ قيصر قائلا :

ــ ماذا صنعت يا كليوباترة ؟. لماذا جئت الى هنا ؟

ونظرت اليه فى دلال قائلة :

ــ جئت من اجلك . ان حياتك فى خطر ، فجيوش الأعداء تقترب من هنا .. وقد أردت أن أنذرك بنفسى

وقبل أن تتم كليوباترة كلامها، كان الهجوم قد بدأ فعـــلا على منطقـة الفنـار . ولم يكن لدى قيصر متسع من الوقت لاتخـاذ خطة سريعة للدفاع .. فكان لابد من اغتنام الوقت للخـلاص من هذا الهجوم المفاجىء، وكان عليهم أن يعبروا الميناء سباحة طلبا للنجاة.

وصاح قيصر فى روفيو :

ــ سالقى بنفسى فى المـاء .. فاقذف بكليوباترة الى عندما اشير اليك

وما كان احب الى كليـوباترة من أن تتبع الرجل الذى تقدسه حتى الى أعمـــاق المـــاء .. فاستسلمت لروفيو الذى قذف بها الى قيصر ، فرفعها هـذا فى الحال الى ظهره وسبح بها فى الماء متجها الى الشـاطىء يتبعهمـا روفيو وأبولودورس وبقية الأتباع

□

ووصـــل الجميـع فى أمان الى القصر ، ولم يكن أمامهم الا أمل واحد فى الخلاص مما قد يحل بهم، هو وصول النجدة التى طلبهـا قيصر من روما

وحاصر الأعداء القصر بمن فيه، وفكر بوتينيوس رائد بطليموس فى حيلة يبعـد بها كليوباترة عن العرش الى الابد ، حتى تعود له سيطـرته ، فذهب الى قيصر واقنعه بأنها تنوى الغدر به لـكى تنجو بنفسها

ولـكن كليوباترة عرفت كيف تثبت براءتها من هـذه التهمة ، وراحت تدبر طريقة للانتقام من ذلك الواشى الطامع الكذوب

وفى ذات ليلة ، بينمـا كانت تتناول العشاء مع قيصر وروفيو وأبولودورس فوق سطح القصر، دوت فى داخله صرخة عاليـة . وكانت صرخة بوتينيـوس ، اذ اغتالت حيـاته فتاتاتيتا مربيـة

كليوباترة ، ودفعت حياتها ثمنا لانتقامها لمولاتها

وثار اتباعه والبوا الشعب على كليوباترة ، وهجمت جموع الثائرين على القصر

ولكن النجدة الرومانية كانت قد وصلت فى الوقت نفسه ، وسرعان ما تولى قيصر قيادتها ، واستطاع أن يقهر أعداءه وأعداء كليوباترة ، ويثبتها على عرشها

ولما اطمأن الى ذلك ، وقرر العودة الى روما ، حرص على أن يترك لها روفيو كبير قواده ليكون فى خدمتها

ولم تستطع كليوباترة ان تغالب دموعها ، بعد أن ودعت قيصر ورأت أسطوله يبتعد به من الميناء

وكان ابولودورس على مقربة منها فراح يهدىء من روعها قائلا :

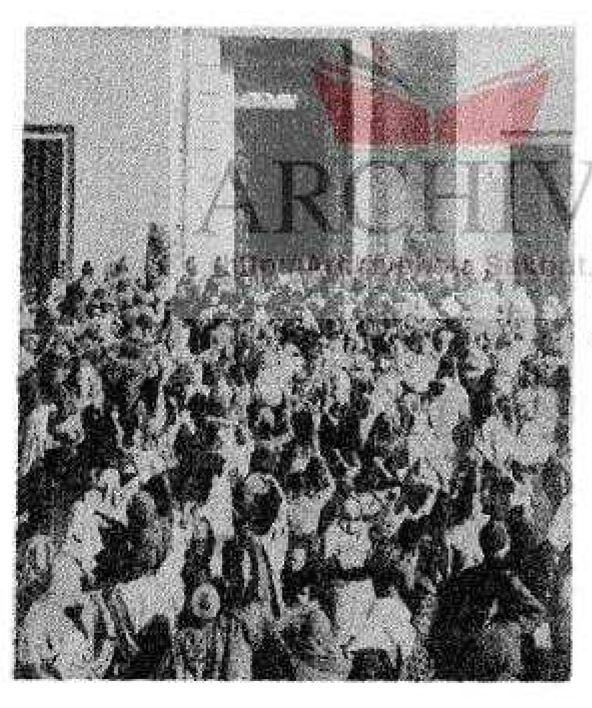
ـ لا تبكى يا مليكتى العزيزة ، انه لا بد من أن يعود يوما ما

ولكنها استمرت فى البكاء ، لأن كليوباترة الشابة هى التى كانت تودع قيصر حينذاك

على انها ما لبثت بعد رحيله ان نسيت كل ما كان ، ولم تعد تذكر الا انها صاحبة عرش مصر وحدها ، وان عليها أن تكون له وحده

وهكذا جففت دمعها ، وردت على ابولودورس قائلة :

ـ انه طيب القلب كانسان ، ولكنه خطر كقائد وفاتح . . لا . . لا . . لست ارجو أن يعود ، لاننى لا اريد ان اعود الى البكاء !



« وثار اتباعه والبوا الشعب على كليوباترة ، وهجمت جموع الثائرين على القصر »



صائدة الرجال

للقصصي الفرنسي جورج فيدال

خرجت مسز ايلين مورى من ملهى « رونميد » بين الشابين اللذين كانا يتوددان اليها ، وفيما هي تنزل اللوج الخارجي، ضمت وشاحها على كتفيها العاريتين .. وقالت :

ـ رقصت ثماني وعشرين مرة ، وشربت عشرة أقداح ..

فقاطعها أحد الشابين ، وهو جيمى هاوترن :

ـ عفوا ، عفوا ! .. انني لم اهتم بعدد الاقداح التي شربتها. ولكنني اؤكد لك انك رقصت سبعا وعشرين مرة .. منها اربع عشرة مرة مع روبير، وثلاث معى. وهذا ظلم فادح لا احتمله !

فقهقهت ايلين ومالت براسها مرارا الى الناحيتين ، واسندته مرة بعد أخرى على كتفي العاشقين

واضاف جيمى قائلا :

ـ ارجو أن تسمحى لى بمصاحبتك الى الفندق ، تعويضا لى عن ذلك الاجحاف !

فاعترض صاحبه روبير اندريو بدوره قائلا :

ـ انني احتج بشدة على هذه الحيلة الماكرة ! فليس لأحد منا أن يقرر من الذى سيرافقها الى الفندق الذى تقيم فيه ، وانما تقرير ذلك من حقها وحدها

ووصل الثلاثة الى الافريز ، حيث وقفت سيارتان فاخرتان، فتح جيمى باب أحداهما ، وفتح روبير باب الثانية .. وقال الاثنان معا :

ـ أيتها الصديقة العزيزة ، تفضلي !

تنهدت ايلين مورى طويلا .. وقالت :

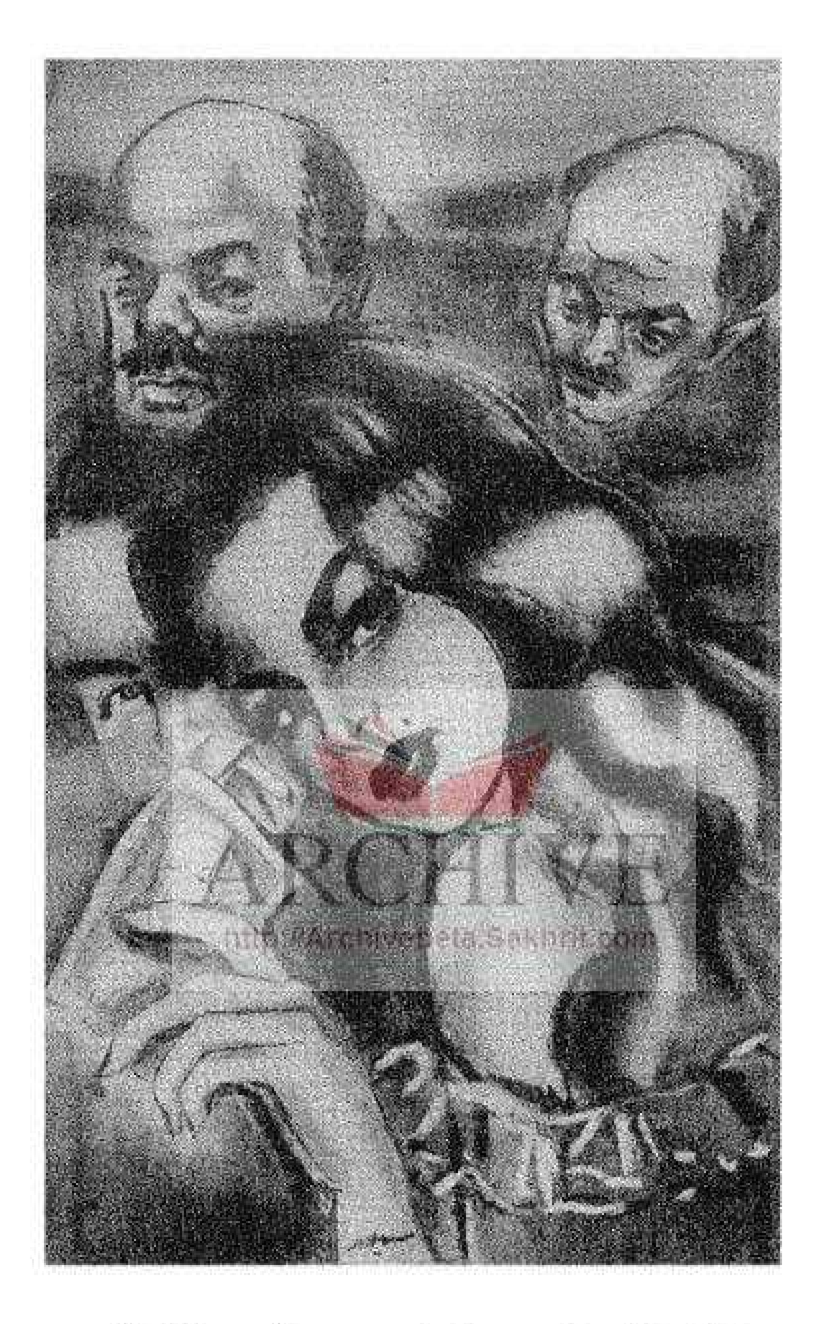
ـ معنى هذا انه يجب على أن أعود الى الفندق فى سيارة مستاجرة ، لكيلا ادفع بأحدكما الى هوة اليأس !

فصاح روبير وهو يتناول من جيبه قطعة من النقود :

ـ انتظرى ! .. انني دائما اخضع بلا تردد لحكم القدر .. وأنت يا جيمى ؟

فأجاب جيمى :

ـ وأنا أيضا !



التقليد الأعمى كم يجر على المرء من مصائب وويلات ؟ !

ـ اذن ، وجه هـذا الدولار لك ، وظهره لي !

والقى روبير بقطعة النقـد في الهواء ، فارتفعت قليلا ، وسقطت على الارض فتدحرجت ، ولحق بها الشـابان ، وانطلقت من فم جيمي صيحة فرح :

ـ هذا وجهه .. لقد ربحت الرهان !

فتقدم روبير من المراة ، وطبع قبلة على يدها ، وقال :

ـ في حراسـة الله يا ايلين ! اذهبي ! ولكنني اخشى ان يصيبك مكروه في سيارة يسوقها جيمي !

واحتج جيمي قائلا :

ـ لا تصغي الى هذه الكلمات التي يمليها عليه الحسـد وتوحي بها الغيرة !

□

وابتعدت السـيارة وفيهـا الحسـناء وصاحبها السعيد .. فتنفس روبير طويلا .. والقى نظرة على امواج البحر الهادرة امامه في ضوء القمر ، ثم جلس في سيارته وادار محركها . وخرج من الملهى رهط من الشـبان ، فسالوه :

ـ الى اين؟ الى النادي الليلي؟

ـ كلا ! الى فراشي !

كان يشعر بالتعب .. فقـد رقص كثيرا ، وشرب بغير حساب وانطلقت به السـيارة مبتعدة عن ساحل البحر نحو قلب المدينة . وشعر بوطاة الحر تشتد لحظـة بعد اخرى ، ففتح نوافذ السيارة واصطدمت قدمه بشيء لم يتبينه في بادىء الامر ، فالتقطه ، واذا به صورة امراة جميلة ، كان الضوء الخافت في داخل السـيارة كافيا لاظهار ملامحها وتقاطيـع وجهها المتناسقة وعينيها اللامعتين

وقرا روبير على ظهر الصورة : « تليفون رقم ١٢٧١ » وتساءل كيف وصلت الى سيارته ، ومن الذي القاها من الخارج ؟

وقف امام احدى الحـانات واستعان بنورها لامعان النظر في الصورة من جديد . المراة جميلة حقا ، ولـكنها تبدو في الصورة حزينة كئيبة ، تحيط بها هالة من الغموض ، غير ان العينيـن جذابتـان ، نظراتهمـا حادة ، ووراءهما ـ بلا شك ـ اسرار كثيرة ، ويخيل للمتطلع اليهما ان ماساة مفجعة تجري خلفهما

وعاد روبير الى التساؤل :

ـ ايكون رقم التليفون هـذا رقمها هي ، ام رقم شخص آخر دونته على ظهر صورتها مصادفة ؟

مسح الشاب العرق المتصبب من جبينه .. فالحر شديد ثقيل الوطاة يكتم الانفاس

ما اغرب هذا الحادث ! ولكن روبير ابتسم فجاة وتساءل مرة ثالثة :

ـ ايكون جيـمي هو الذي وضع هـذه الصورة في السيارة على سبيل المزاح ؟

تردد لحظة في تصديق هـذا

الاحتمال.. ثم نزل من السيارة متمتما: «سوف نرى!»

واتجه الى الحانة، حيث كان لفيف من رجال البحر يشربون ويمزحون. ودخل حجرة التليفون، وادار الارقام التى دونت على ظهر الصورة.. (١٢٧١)

ولم ينتظر طويلا حتى رد عليه صوت أدرك فى الحال ان صاحبه كان نائما واستيقظ:

ـ آلو!.. آلو!..

ـ اخاطبك ياسيدتى بخصوص صورة...

فقاطعه الصوت:

ـ لحظة واحدة، من فضلك!

وبعد سكوت قصير، عاد الصوت يرن فى اذنه، بنبرات موسيقية عذبة:

ـ انت صاحب السيارة ذات المقعدين التى كانت واقفة امام ملهى روزميد.. أليس كذلك؟

فاجاب روبير مندهشا:

ـ نعم.. ألم توضع الصورة اذن فى سيارتى مصادفة... بل عمدا!

ـ نعم، ولا!.. لم اضع صورتى مصادفة فى سيارة واقفة على ساحل البحر امام باب الملهى. ولكننى ماكنت اقصد سيارتك، بل سيارة اخرى. فقد وضعتها اذن خطأ فى سيارتك انت..

لم يكن روبير مرتاحا لهذا الجواب.. فقال:

ـ اذا حكمت عليك بالنظر الى صورتك، فانت ظريفة جميلة ايتها الآنسة. اما اذا حكمت عليك بالسمع الى حديثك، فانت امراة غريبة الاطوار!

ـ ان الذى يهمنى فى هذه اللحظة هو حكمك اعتمادا على الصورة فقط!

ـ آه..! لست ادرى اذا كانت الاقداح التى شربتها الليلة تجعلنى ضعيف الادراك، ولكننى لم افهم جيدا.. ارجو ان تفصحى أيتها الآنسة، ماذا تريدين؟

ـ أريد اسوا ما يمكنك ان تتصور.. اترغب فى الحصول على الاصل، بعد ان حصلت على الصورة؟

وقف روبير مبهوتا مذهولا لسماعه هذه الكلمات العجيبة التى فوجىء بها.. فتابع الصوت الحاحه:

ـ أتريد؟.. نعم ام لا؟

ـ ولكن..

ـ نعم ام لا؟

وضحك الشاب فجأة، وعاودته الفكرة التى خطرت له عند ما عثر على الصورة، فاعتقد أن المسألة كلها لعبة دبرها صديقه جيمى، فتمتم بينه وبين نفسه: «يا لك من مهذار يا جيمى!»

ثم قال بصوت اراده رقيقا عذبا:

ـ الى جهنم، انت وجيمى!!

□

كانت أشعة الشمس تملأ

الغرفة ، والضوضاء تتصاعد من شوارع بينانج .. عند ما نهض روبير من نومه ، فى صباح اليوم التالى . وما كاد يدخل الحمام حتى قرع جرس التليفون :

ـ آلو ! آلو .. جيمى ؟كيف اصبحت؟ الاتشعربالم فى راسك؟ ارجو الاتكون قدتماديت فى الافادة من انتصارك على امس !

فأجاب جيمى بصوت مائع :

ـ تماديت ؟ لقد نامت ايلين طوال الطريق ... فذهبت الى النادى الليلى طلبا للعزاء والسلوى، فوجدت بعض الاصدقاء يتبارون فى شرب « الكوكتيل » ولا أعرف بأية وسيلة عدت الى البيت ، ولا فى اية ساعة !

ـ من يدرى؟ قد تكون الفتاة الجميلة ، ذات العينين البراقتين والصوت العذب هى التى رافقتك الى البيت ؟

ـ من ؟ .. ماذا تقول ؟

فقهقه روبير فى التليفون :

ـ ها ها .. ! كانت اللعبة مفضوحة يا عزيزى ! .. لم اقع فى الفخ !

فتغيرت لهجة جيمى :

ـ أفهم أن يكون الانسان سكران فى منتصف الليل ، فهذا شىء معقول .. اما ان يكون سكران فى الساعة العاشرة صباحا ، فهذا لا يليق بالرجل النبيل !

ـ ياعزيزى، لم أشرب ، منذ اللحظة التى افترقنا فيها ، غير الماء المعدنى .. وعند ما خاطبت شريكتك بالتليفون ..

ـ شريكتى ؟ ... اسمع يا روبير ، ان حالتك تدعو الى القلق ! يجب ان تعرض نفسك على طبيب يا عزيزى . فانا لم أعمد الى اية لعبة معك . اسمع منى .. ضع كمادات باردة على جبينك ، وابعث حالا فى طلب طبيب مختص بالامراض العقلية !

اعاد روبير سماعة التليفون الى مكانها ، وتناول من جديد صورة المراة المجهولة ، التى كان قد القى بها على المنضدة عند ما عاد الى البيت . فخيل اليه ان عينى المراة تحدقان فيه أكثر مما كانتا تحدقان امس . وخيل اليه ايضا ان العينين تتوجهان اليه بسؤال او ترجوانه استئناف الحديث مع صاحبتهما

عاد الى التليفون ، وادار مرة اخرى ارقام العدد (١٢٧١)

مرت دقيقتان قبل أن يسمع الصوت يقول :

ـ آلو ! ..

ـ اتسمحين لى بمقابلتك ايتها الآنسة ؟

فكان الجواب مقلقا مدهشا مثل كلمات الامس :

ـ طبعا يا سيدى .. الشغل شغل ! وعلى الذى يريد الحصول على شىء ان يراه ويقدر ثمنه !

ـ أتريدين أن نتناول الغداء معا ؟

ـ بكل ارتياح ، اين ؟

تردد روبير قليلا قبل اعطاء الرد .. فليس من السهل اختيار

مطعم للذهاب اليه لأول مرة مع امرأة مجهولة . فقد يكون في هندامها او حركاتها او سكناتها ما يدعو الى الانتقاد أو ما يختلف مع البيئة المحيطة بها

لكن الشاب تغلب على تردده قائلا :

ـ سنتقابل في مشرب الماجستيك .. وهناك نقرر الى اى مطعم نذهب

ـ وكيف أعرفك واستدل عليك ؟

ـ انت لا تعرفينني ؟

ـ كلا !

ـ اطلبى روبير اندريو من الفتاة الجالسة أمام الصندوق

كان الحديث دائرا الى تلك اللحظة باللغة الانجليزية .. ولكن المراة عمدت الى التحدث بالفرنسية عند سماعها اسم الشاب :

ـ كنت اجهل انك فرنسي !

وكان روبير يظنها من بنات احدى البلدان السلافية في بادىء الأمر ، فسألها مستفهما :

ـ وانت فرنسية ايضا ؟

ـ كلا .. انا سويسرية .. واسمى ماجدا ويزر .. الى الملتقى بعد حين يا مسيو اندريو !

▭

نظر روبير باعجاب الى الحسناء الواقفة الى جانبه ، في المقهى .. انها متأنقة جذابة ، ولكنها قليلة الكلام ، قليلة الحركة

نهض روبير مطمئنا لأنه ادرك ان في استطاعته الذهاب معها الى أى مطعم فاخر من مطاعم بيناتج

ـ ما قولك لو تناولنا الغداء في « فندق الشرق والغرب » ؟

ـ في هذا الفندق او في سواه ، كما تشاء .. أنا رهن اشارتك !

ـ رهن اشارتى ؟ هذا بديع جدا ! أتشربين كأسا اخرى قبل ان نذهب ؟

قبلت المراة ان تشرب كأسا ، وحدق روبير مرة أخرى في وجهها وفى شعرها المتدلى على كتفيها . وخيل اليه انها أصغر سنا ، وأكثر نضارة مما تبدو في الصورة التى تركتها في سيارته . ولكنه تبين في عينيها ذلك الغموض الذى تبينه في الصورة ، وشعر كما شعر بالامس بأن وراء تينك العينين سرا رهيبا . فان بريقهما لم يكن عاديا طبيعيا ، كأن المراة تنتابها الحمى وترتجف من الحرارة !

فخاطبها روبير بلهجة هادئة :

ـ والآن ايتها الآنسة ، ارجوان تفضى الى بالسبب الذى يحملك على سلوك هذا المسلك الغريب .. فمن انت ؟ ومن أين جئت ؟

فتضاعف بريق عينيها ، ونظرت اليه نظرة فيها كثير من التحدى :

ـ هل تطلب من جميع النساء اللواتي تشتريهن ان يفضين اليك بتاريخ حياتهن ؟

ـ الا تكفين عن المزاح ؟

ـ المزاح ؟ وهل تظن أنه من

السهل على الانسان أن يزح ، بعد أن يقضي ثلاثة أيام بلا طعام ؟

فادرك روبير طرفا من سر المرأة الغريبة .. وقال مسرعا :

ـ لنتناول الغداء اذن هنا .. سنذهب الى الفندق فيما بعد !

وجلس الاثنان الى المائدة ، وتظاهر الشاب بانه جائع تشجيعا لها على التهام الطعام ، فجعلت تأكل بشراهة ، بينما انطلق هو يحدثها عن مدينة بينانج واختلاط الناس فيها من جميع الاجناس والالوان ، لكى يدخل الى قلبها السلوى وينسيها ما هى فيه من الم نفسى

أكلت حتى شبعت ، وشربت القهوة فانبسطت اساريرها ، وسألته :

ـ ماذا تصنع هنا ؟

ـ انا وكيل احدى شركات السياحة

ـ أما انا ، فشريدة وحيدة فى هذا العالم !

ـ ارجو أن تعامليني كصديق

ـ ان جميع الرجال يعرضون على النساء صداقتهم ، ولكن للوصول فيما بعد الى اغراض اخرى !

ـ انت مخطئة فى تعميم هذا الرأى ..

ـ سأفعل ما تطلبه منى ، ولكن قصتى ليست على جانب عظيم من الاهمية . أنا يتيمة الابوين ، كنت أعيش مع عمى فى مدينة جنيف ، وعند ما بلغت سن الرشد ، فى العام الماضى ، تسلمت ميراث والدى وسافرت الى أمريكا ، ثم الى الشرق الاقصى ، فذابت ثروتى ، وبحثت عن عمل فى سنغافورة ، وتعاقدت مع رجل عرض على أن اشتغل عنده فى وظيفة كتابية ، ولكنه كان يريد شيئا آخر .. فتركته غاضبة . وليلة امس ، وجدت نفسى على ساحل البحر ، وقد ضاقت فى وجهى السبل ، ففكرت فى امرى : لم يبق على الا أن انتحر ، أو أسلك طريق الفساد ، وتملكنى الجبن ، ففضلت الفساد على الانتحار ! ورأيت اناسا يدخلون الملهى .. انهم ، فى داخله ، يأكلون ويشربون ويرقصون ويضحكون! كتبت رقم التليفون على صورتى ، والقيت بها فى أول سيارة رأيتها . وهكذا ، تركت للأقدار أمر اختيار الرجل الذى يشترينى ! وهكذا يا عزيزى ، أصبحت انت الرجل الذى اختارته الاقدار !

ـ انني حقا رجل الاقدار يا ماجدا ... اسمعى : ارجو أن تقبلى منى ، فى بادىء الأمر ، مساعدة مالية بسيطة ، واياك أن تعتقدى أن فى عملى هذا شيئا من المساومة

مرت بيدها على جبينها وقالت :

ـ يخيل الى انى انتشلت من هوة عميقة ! انك تختلف عن غيرك من الرجال !

ـ يجب أن تنتقلى من الفندق الذى تقيمين فيه .. سآخذك الى مكان آخر ، الى منزل اسرة

نبيلة تقيمين عندها ...

ــ اسمع يا روبير .. ان الكبرياء منعتنى الى الآن عن الكتابة الى عمي وطلب مساعدته . واذا كنت اقبل منك المال الذى تعرضه على ، فاننى افعل ذلك على شرط واحد .. وهو ان توافق من الآن على ان اعيده اليك بعد ان تصلنى المساعدة التى عزمت على طلبها من عمي. سأكتب اليه في الحال.. فهل تسمح بأن يجيئنى منه الرد بعنوانك في مكتبك ؟

لم يبق في الفتاة الوديعة الهادئة، التى تخاطب روبير ، أثر من تلك المرأة التى حدثته بلهجة جافة وقحة ، بالتليفون ، في الليلة السابقة ، ولم يشك لحظة واحدة في انها اقدمت على تلك الحيلة التى عمدت اليها ، مدفوعة حقا بالبؤس والجوع والاضطراب النفسي ، فعزم على انتشالها من الهلاك !

كان روبير اندريو منهمكا في تصريف البريد ، في مكتبه ، عند ما دخل عليه فجاة صديقه جيمى هاوترن صائحا :

ــ ما هذا يا روبير ! لقد كلفتنى ايلين بأن ابلغك أطيب الشتائم والسباب ! فاننا لم نرك في الملهى منذ يومين .. ما ذا حدث ؟

ثم وضع يديه على طرف المكتب وسأل .

ــ كيف حالها ؟

ــ من هى ؟

ــ الحسناء التى انستك ايلين؟

ــ ساحرة .!

واشتعل كل من الصديقين لفافته . وواصل جيمى اسئلته :

ــ هل اعرفها ؟

ــ كلا .. فهى في بينانج منذ ثلاثة اسابيع فقط ، ولا تضع قدمها في الملاهى والمراقص

ــ آه .! هى اذن امرأة عاقلة متحفظة !

قص روبير على صديقه كل ما حدث .. واصغى اليه جيمى وهو يروح ويجيء في الحجرة ، ثم وقف فجاة امامه وقاطعه سائلا :

ــ روبير .. هل قالت لك ماجدا وايزر انها كانت في مدينة شنغهاى قبل ان تحضر الى هنا ؟

ــ لماذا ؟ انها لم تقل لى شيئا من هذا ...

ــ كنت منذ ايام اطالع جريدة « شانغهاى بوست » الصادرة في شنغهاى، فقرات فيها قصة امرأة كانت تعمد الى نفس الحيلة التى عمدت اليها ماجدا وايزر لاصطياد الرجال .. وتلك المرأة كانت في شنغهاى .. وخدعت كثيرين بلعبة الصورة الملقاة في السيارة ، وعلى ظهرها رقم التليفون !

علا الاصفرار وجه روبير .. وامسك بيد صديقه :

ــ اواثق انت من هذا ؟ اواثق انت ؟

فاحاطه جيمى بذراعيه ، وقال بلهجة الاخلاص

ـ انا آسف يا عزيزى لما احدثته لك من قلق واضطراب.. ولكننى رايتك تنظر الى الأمر نظرة جدية ، فشعرت ان واجبى يقضى علي بان اطلعك على ما علمت . ان حيلة القاء الصورة فى السيارة لعبة لا يؤخذ بها غير البسطاء ! وليست هذه الفتاة البائسة الجائعة ، غير امراة مغامرة ماكرة ، تصطاد الرجال وتصطاد معهم المال !

ـ اشكرك يا صديقى !

▭

بعد خمس دقائق ، كان روبير مع ماجدا ، فى خلوة منعزلة ، حيث ضرب لها موعدا من قبل :

ـ لقد تاخرت يا روبير !

ـ نعم ، كنت مع صديق حدثنى عنك وعن اقامتك فى شنغاى

ـ شنغاى ؟ لقد مررت بهذه المدينة منذ شهرين ، ولكننى لم أصادق فيها احدا ، ولم أتعرف الى احد !

ـ ما عدا الرجال الذين وقعوا فى الشرك ، بوساطة صورتك ورقم التليفون !

جمدت الابتسامة على شفتى الفتاة .. وقالت وهى تغض طرفها :

ـ كان من الواجب ان اطلعك ايضا على هذه المرحلة من قصتى. فقد قرات ، وانا فى شنغاى ، مقالا فى جريدة ، عن امراة روسية تصطاد الرجال بهذه الحيلة المبتكرة ، فضحكت كثيرا . وأمس ، عندما وجدت نفسى وحيدة جائعة امام الملهى ، تذكرت ما قرات ، وفكرت فى استخدام اللعبة التى كانت المراة الروسية تلجأ اليها ، وقد . . .

فقاطعها روبير غاضبا :

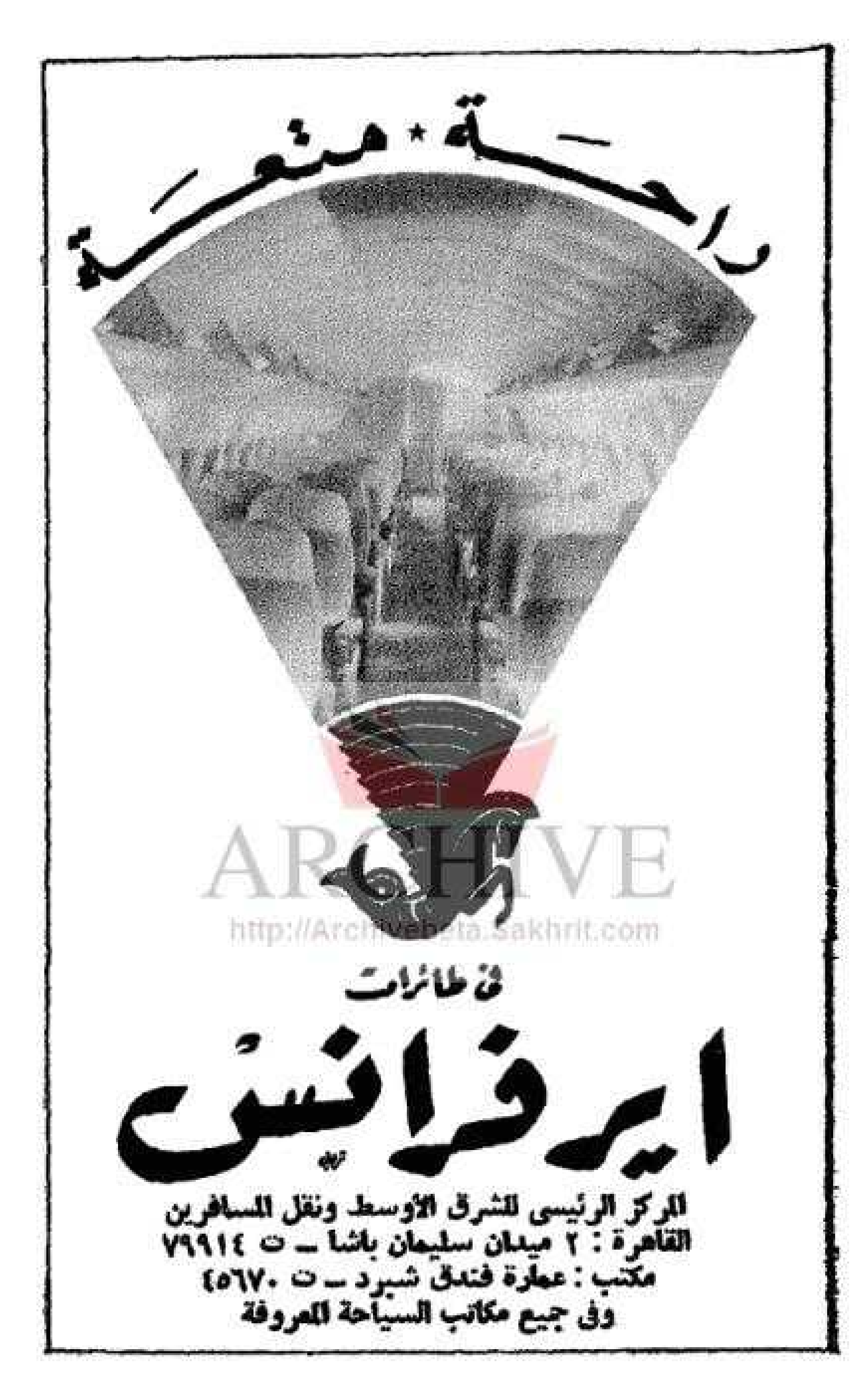
ـ كفى ! كفى كذبا ونفاقا .. المراة الروسية المغامرة هى انت ! صائدة الرجال فى شنغاى هى انت ! الخادعة الكاذبة ! وليس ما رويته لى من مراحل حياتك المزعومة ، كرغبتك فى التحرر ، والاقامة عند عمك ، وضياع ثروتك ، وطلب المساعدة من جنيف ، غير كذب فى كذب ! انك ممثلة بارعة !

ـ روبير !!!

حاولت أن تتكلم فلم يدعها.. وكان الغضب قد استولى عليه وافقده رشده ، لاعتقاده انه خدع ، وانه وضع ثقته فى امراة لا تستحقها ، وانه كان على وشك ان يحب فتاة يظنها نقية طاهرة ، وهى فى الحقيقة فاسدة فاجرة !

وتناول من جيبه الصورة ـ الصورة العزيزة التى كان يحتفظ بها ذخيرة وذكرى ـ والقى بها فى وجه الفتاة :

ـ خذى ! خذى صورتك ! انها الاداة الثمينة التى تساعدك فى تمثيل دورك ! انها الطعم الذى تلقينه لاصطياد الرجال ! انها الستار الذى تختفين وراءه ، ما دمت لا تجدين فى نفسك الشجاعة الكافية لمزاولة مهنتك القذرة


راحة متعة
فى طائرات
ايرفرانس
المركز الرئيسى للشرق الأوسط ونقل المسافرين
القاهرة : ٢ ميدان سليمان باشا ـ ت ٧٩٩١٤
مكتب : عمارة فندق شبرد ـ ت ٥٦٧٠٤
وفى جميع مكاتب السياحة المعروفة

جهارا وفى ضوء النهار !

كانت الفتاة تتراجع الى الوراء بعد كل كلمة من هذه الكلمات الجارحة اللاذعة . ولكن عينيها كانتا تقدحان شررا ، وعادت اليهما الشراسة التى كانت تنبعث منهما فى المقابلة الاولى ...

وبدون ان تفوه بكلمة ، تركت الشاب وحده ثائرا ناقما ، وانطلقت تعدو نحو الطريق ، حيث اختلطت بالمارة واختفت بينهم !

▭

قضى روبير اندريو اليوم الثالث فى سيارته ينهب الطرقات نهبا ، ويعرض نفسه للهلاك فى كل لحظة . وفى آخر النهار ، ذهب الى مكتبه وطلب أن يؤتى اليه بالبريد الوارد . ووقع نظره على برقية اثارت اهتمامه .. ففضها وقرأ مافيها :

« ارجو أن تشملوا بعنايتكم ابنة أخى ماجدا . وأن تمدوها اللازم لاعادتها الى سويسرا . وقد أرسلنا تعليماتنا الى المصرف الصينى بأن يضع تحت تصرفكم المال اللازم لسداد النفقات »

وقرأ التوقيع : « ويزر ! »

وانتفض روبير فرحا من مكانه ، وهرول مسرعا الى الخارج !

اذن ، ليست ماجدا كاذبة . وليست هى الروسية المغامرة التى حدثه عنها جيمى . وكل ما قصته عليه من حياتها صحيح . وعمها فى سويسرا يجيب عما طلبته منه ، ويبعث بالرد الى مكتب روبير . ان ماجدا لم تكذب عليه . وذنبها الوحيد أنها لعبت بالنار فأوشكت ان تحترق ، ورقصت على شفير الهاوية فأوشكت أن تسقط فيها !

ركب روبير سيارته وانطلق كالمجنون فى طريقه الى الفندق الصغير الذى تقيم فيه الفتاة

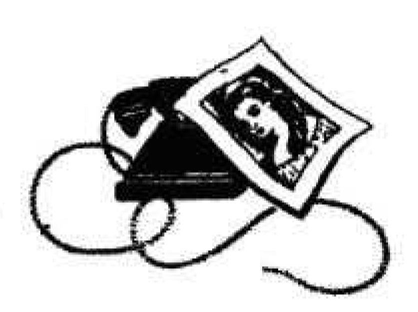
ودخل مسرعا ، وسأل البواب :

ــ الآنسة ماجدا ويزر من فضلك !

فنظر اليه الرجل من أعلى الى أسفل ، وأجابه بهدوء :

ــ الآنسة ماجدا ويزر ماتت يا سيدى .. فقد أطلقت على نفسها رصاصة استقرت فى رأسها .. فى الساعة الواحدة بعد الظهر !

[عن « جورج فيدال »]



«لقد كسب المعركة وكسب السباق .. ولكن فى الرمق الاخير»

حياتى من أجلك

بقلم الاستاذ يوسف السباعى



دفع الممرض الفراش المتحرك داخل المصعد برفق ، وضغط الزر الكهربائى فارتفع بحمله الى الطابق الثالث . وبعد لحظات ، كان الفراش قد استقر بصاحبه فى احدى حجرات المستشفى العسكرى الكائن بالعجوزة

ورفع أحد الضباط الاطباء الغطاء الأبيض من الرائد الجريح ، فلم تبد منه سوى ضمادات واربطة ، وكأنه وسادة من الشاش والقطن

وازاح الطبيب ضماد الوجه ، فبدت العينان مطبقتين فى استغراق عميق ، وبدت آثار حروق حول الوجه والعنق

والتفت الى زميل بجواره ، ثم هز راسه وهو يقول :

– هذه حروق بسيطة ، لاخوف منها . المهم تلك الشظية المستقرة فى جانبه ..

– ارجو الا تكون ذات خطر كبير

ورفع الطبيب كتفيه ، وابرز شفته السفلى علامة الشك ، واجاب :

– من يدرى ؟!

– على اية حال يجب ان نحاول اخراجها

– ليس الآن . لابد من الانتظار . لانستطيع ان نفعل معه الان شيئا

وترك الطبيبان الجريح غارقا فى اغمائه

وبعد لحظة ، اقبلت احدى المتطوعات فى حلتها العسكرية ..

فاشرفت على نقل الجريح من الفراش المتحرك الى فراش فى الحجرة . وخرج الممرضون وهم يدفعون امامهم الفراش الخالى .. فالقت الفتاة نظرة على الجريح الذى لم يبد منه من علامات الادميين سوى عينيه المغلقتين . ثم همت بمغادرة الحجرة ، عندما ابصرت جفنيه يرتجفان وبدا كأنما قد افاق من غيبوبته وحاول ان يرفع اجفانه المتثاقلة

وفتح الجريح عينيه .. ونظر اليها نظرة خاوية كأن على عينيه غشاوة او كأنه لايميزها من الجدران البيضاء . ونظرت هى اليه نظرة فاترة مكدودة لم تخل من الرثاء والعطف .. الرثاء الذى يحمله قلب رقيق لجريح مجهول ، والعطف الذى تغدقه نفس رحيمة على مصاب لاتعرف عنه سوى انه مصاب

ومضت برهة دامت فيها بينهما تلك النظرة الجامدة الفاترة .. حتى بدأت تتاجج فجأة كأنه قد

سرى فيها مس من الكهرباء مرة واحدة .. انقشعت عن عينيه تلك الغشاوة التي كانت تبديه كأنه لايميز ما امامه . وبدا فيهما بريق ولهفة .. واختلج وجهه كأنما يود ان يقول شيئا

اما هي فقد فغرت فاها .. جاحظة العينين .. وهتفت في صوت مبحوح :

ـ احمد ! !

لقد ميز كلاهما الآخر ، فانحنت عليه .. وراحت تردد في اشفاق بالغ ودهشة شديدة :

ـ انت ؟ !

ومن وراء الضماد ، وصل اليها صوته خافتا ضعيفا :

ـ ابقى معي .. لا تتركيني

ـ لن اتركك ابدا .. انى هنا في خدمتك

وبدت في مقلتيه طبقة لامعة من دمع حبيس سرعان مافاض ، وارتسمت على وجهه علائم الراحة والهدوء

فقالت له في صوت رقيق حنون :

ـ انك بخير .. لقد قال الاطباء ان جرحك غير خطير

ـ اجل .. انى بخير ، بل ما احسست انى بخير اكثر مما انا الآن . هذا اكثر مما كنت ارجو . الحمد لله

ـ ولكن لاترهق نفسك بالحديث . يجب أن تخلد الى الراحة والسكون

ـ ان الحديث معك لايرهقني . انه يشفيني . كم طافت بذهني هذه الصورة التي نحن فيها الآن . كم تمنيتها من صميم قلبي .. انا جريح راقد وانت جالسة بجواري تنصتين الي وتمسكين بيدي بين كفيك . اني اود أن انزع يدي من بين هذه الضمادات الثقيلة حتى أحس بلمسة يدك

ـ لا .. لا .. لاتفعل .. انك لاتستطيع الآن . سننزعها قريبا عندما تشفى يداك من حروقهما البسيطة . ويجب كذلك أن تخلد الى الصمت ، فان الطبيب لن يسمح لك بأن ترهق نفسك بالحديث . دعني اتحدث انا .. ارجوك

ـ قلت لك ان الحديث لايرهقني . انا ادرى بنفسي منك ومن الطبيب . اني استطيع الحديث اليك بلا أقل جهد أو مشقة .. بل اني اتلهف على الحديث معك . كيف القاك ولا اتحدث اليك ؟ !

ـ ستتحدث بعد ذلك كما تشاء .. ان الوقت امامنا يتسع لكل ماتريد من الاحاديث

ـ لا أظن ، ان الوقت خائن .. كثيرا ما يسرقنا ، وبخاصة اذا وجدنا هانئين سعيدين . وأنا أحس اني سعيد .. سعيد جدا . ما تحققت لي أمنية في حياتي مثل ماتحققت الآن ، وما توقعت من القدران يحكم تدبيره هذا الاحكام ! افتح عيني بعد طول اغماء فاجدك انت أمامي .. انت وحدك ، دون سواك من سائر البشر . دعيني اتحدث اليك .. ولا تقاطعيني . لا تحرميني المتعة التي طالت

لهفتي عليها . كيف لا اتحدث اليك وانا ما اتيت الى هنا الا من اجلك !

ــ من اجلي انا ؟

ــ اجل .. لقد ذهبت من اجلك ، وفعلت كل مافعلت لاجلك، وتمنيت ان يحدث لي ماحدث من اجلك ، ابعد هذا لا اكون اتيت الى هنا من اجلك ؟ هل تذكرين كيف قابلت اخي منذ بضعة اشهر عندما عاد من الميدان ؛ وكيف لقيته لقاء الابطال وخصصته بكل عنايتك ورعايتك، وجعلت تنظرين اليه نظرتك الى اله يستحق التمجيد ؟

ــ اجل ، اذكر يوم عاد لاول مرة وقد ربط يده الى عنقه بعد ان اصابته احدى رصاصات العدو . الم يكن يستحق مني التمجيد ؟

ــ طبعا يستحق .. ولو لم يك يستحق ، لما ترك تمجيدك له في نفسي ما ترك من اللوعة والاسى

ــ انا لم اقصد قط ان اسيء اليك او اسبب لك شيئا من اللوعة والاسى .. لقد فعلت ما فعلت بدافع من احساس بتقديره ، او تقدير التضحية والبطولة في شخصه . وما كنت استطيع ان القاه وهو جريح هانت عليه نفسه ورخصت حياته من اجلنا ومن اجل مصر ، باقل مما لقيته به

ــ اني لا الومك على تفضيلك اياه وتقديرك له ، ولا الومه على فرحته بهذا النصر ، ولا الوم نفسي على لوعتي ويأسي . لقد كنا في حبك وقتذاك اشبه بفرسي رهان .. وكنت احس دائما انني واياه كما يقولون tête à tête بل كان يخيل لي الغرور في بعض الاحيان انني لديك ارجح كفة واعظم قدرا . هل تذكرين يوم ان فضلت البقاء في الدار انتظارا لأوبتي على الذهاب مع بقية افراد الاسرة الى الاوبرا ؟

ــ يوم عودتك من مطروح ؟

ــ اجل

ــ طبعا اذكره .. لقد ادعيت ليلتذاك اني « مزكومة » ، واني لا استطيع الخروج . والح على عمي ــ والدك ــ في الذهاب ، ولكني ازددت تمارضا ، حتى ايقن الجميع حقا اني لا استطيع الخروج الا اخاك ، فقد بدا لي من تجهمه واكتئابه انه يعلم دخيلة نفسي ، ويعرف ان تمارضي مصطنع ، وان بقائي ليس الا من اجلك ، وخيل الي انه يتمنى لو عدل هو الآخر عن الذهاب فقد كره ان يذهب بدوني . والله اني افضل البقاء في الدار معك على ان اذهب الى الاوبرا معه

ــ ايةسعادة تلك التي اغرقتني حينذاك .. عندما اقبلت على الدار فاخبرتني الخادمة ان الجميع قد ذهبوا الى الاوبرا ، ماعداك . واحسست من قولها بهجة وغبطة ليذهب الجميع الى حيث شاءوا ، اني ما رجوت في الدار سواك . لقد اندفعت اليك في شوق جنوني، وجرؤت لاول مرة على تقبيل يدك . ونضوت عني ملابس السفر في سرعة البرق، وسرعان ماجلست

امامك وانت مستلقية على الفراش، وقد غطيت جسدك « بالبطانية البيج » . انى اذكر كل شىء عنك حينذاك . كل التفاصيل . اذكر زهر الاستر « البمبى » الذى نسقته فى الزهرية الزرقاء، واذكر المنديل الابيض الصغير الذى كنت تمسكين به فى يدك . واذكر ذراعيك وقد امتدتا فوق « البطانية » ، وكفيك الرقيقتين ، واصابعك الدقيقة التى سمحت لى ان اشبك فيها اصابعى . اذكر وجهك الصغير المحوط بهالة من شعرك الذهبى ، واذكر عينيك الخضراوين الصافيتين

ــ انا ايضا اذكر كل شىء .. اذكر فرحة عينيك ، واذكر مسة اصابعك . هذه لحظات لا تجود الايام بمثلها الا نادرا .. لحظات تمر بنا عابرة ، تومض فى حياتنا كومض البرق مضيئة خاطفة .. ترينا من جمال الحياة فى لحظة ، ما نعجز عن ان نراه طيلة العمر ، وتستقر فى نفوسنا فلا تمحوها كف الزمن ولا تطويها يد النسيان . انا لا انساها ابدا .. فهى فى حياتنا شىء قائم بذاته ، لا صلة له بما قبله وما بعده . هى زاد القلب فى حاضرها ، وزاد الذهن فى ماضيها .. لقد جلست دقائق تنظر الى وانظر اليك ، صامتين ساكتين .. ثم سالتك عما فعلت فى سفرك ، وسالتنى عما فعلت فى غيبتك ..

ــ انى اذكر كل ماقلت لك برغم تفاهته ، واعى فى ذهنى كل ماقلته لى .. كلمة كلمة ، كما يحفظ الفقيه كلام الله . انك لم تفصحى لى عن شىء .. فقد كنا نخجل من ان يجرى بيننا حديث الحب . كان حديثنا عاما سطحيا ، لا يعبر عن عمق مشاعرنا . ومع ذلك فقد غمرتنا موجة من الرضاء والهناء ، ففصحت نفوسنا ونطقت بابلغ ما تكنه قلوبنا ..

« وظللت احدثك وانت راقدة فى فراشك ، وقد تشابكت منا اطراف الاصابع ..

« وسرى النوم الى جفونك ، فرفعت يدك الى فمى واودعتها اعمق آيات الحب والاخلاص . ثم غادرت حجرتك فى سكون حتى لا اوقظك

« ومت تلك الليلة كاهنا مايكون انسان . كيف لا ، وقد رايت كفتى فى فؤادك ترجح ، ورايتنى افوز فى سباق العمر ؟

« ولكن الايام مرت بعد ذلك فاذا بالثقة تعود فتبدد ، واذا بى اجد السباق بينى وبين اخى من اجلك لم ينته بعد

« انى لم افهمك قط .. كنت تمنحين وتمنعين ، تصلين وتهجرين ، تعرضين وتقبلين . كنت تتأرجحين بينى وبينه .. فتؤرجحين نفسينا بين الامل والياس »

ــ انا نفسى لم افهم نفسى .. كنتما عندى ندين متعادلين . ما استطعت ان افاضل بينكما ، وما استطعت ان احزم امرى فى امركما . كنت احب كليكما .. لقد نشأنا نحن الثلاثة فى بيت واحد . وكنت احس انى انا ــ

ابنة عمكما ـ توأما ثالثا لكما . وشببت منذ طفولتي على حبكما سويا كشيء واحد لايتجزأ . وكنت أستطيع في صبانا أن أرضيكما معا ، وأن أعطي أحدكما من نفسي قدر ما أعطي لأخيه . وكنت ألهو معك كما ألهو معه ، دون أن يحاول أحد منكما أن يخص نفسه بي أو يستأثر بحبي ، بل كنت بينكما ملكا مشاعا ، كما كانت كل حاجاتكما من أدوات اللهو واللعب . وكم تمنيت أن أظل كذلك .. حتى بدأنا نشب عن دور الطفولة ، فاذا بي أجد الأمر جد عسير . لقد أضحى من المستحيل على أن أرضيكما معا ، اذ وجدت أن كليكما يأبى الا أن أكون له وحده ، وأن يستأثر بي لنفسه . لم يفصح أحدكما عن شيء ، ومع ذلك فقدكنا ـ نحن الثلاثة ـ نحس بكل شيء ونعرف كل شيء.

«كنت حائرة بينكما وبين نفسي التي لايستقر لها قرار . كنت أقبل على أحدكما فأحس بلوعة الآخر .. لوعة خفية مكبوتة فتنتابني من لوعته لوعة .. فأقبل عليه لأخفف لوعته ، فأصيب الآخر بلوعة .. وهكذا . كنت بينكما متذبذبة متأرجحة ، لم أعرف قط من منكما الذي أحب . لسبب واحد ، هو أني كنت أحب كليكما »

ـ كنت تحبين الغائب منا ، وتتلهفين على المصاب . وكنت أحس ـ كما قلت لك ـ انني وأخي في سباق للفوز بك .. أنا أسبق تارة وهو يسبق أخرى .. حتى شعرت فجأة أنني ألهث وأتعثر ، وأنه قد جاوزني اليك ، وأنه يوشك أن يفوز بك ، ان لم يكن قد فاز فعلا ..

«كنت أعرف أنه أشد جسارة مني وأكثر اقداما .. وكنت أحس أني أكثر هدوءا وتريثا وتفكيرا ، ولم أك أظن أن ذلك الفارق بيننا سيسبب لي تلك الهزيمة المنكرة

« لقد بدأ القتال بين العرب واليهود ، ولم يكن جيشنا قد دخل الحرب بعد .. وكنت أرى أن واجبنا هو أن نعمل ما نؤمر به ، وأن علينا أن ننتظر حتى يحارب جيشنا فنشترك مع وحداتنا في القتال، ونؤدي واجبنا فيه ، وأنه ليس على الانسان أن يستبق الظروف . ولكن أخي لم يكن يرى ذلك الرأي ، بل كان يتعجل الأمور ويتشوق الى المغامرة والقتال .. فطلب الاستيداع ، وترك وحدته ليتطوع الى جانب المناضلين العرب ملتحقا بقوة « الكوماندوز »

« واحسست وأنت تودعينه ، أني قد تضاءلت الى جواره ، وأني لم أعد شيئا مذكورا »

ـ لو كنت مكانه ، لودعتك بمثل ما ودعته به . لا أكتمك أني كنت أحس لفرقته ألما ، ولجسارته واقدامه اجلالا وتقديرا

ـ أنا أعرف هذا ، ولقد كنت أحس له نفس ما تحسين .. فهو أخي وأحب الناس الي . ومع ذلك فاني لم أستطع أن أمنع تلك

اللوعة التي كنت احس بها ، واقاوم الحزن الذي كان يفعم نفسي كلما رايت قلقك عليه واهتمامك به وتلهفك على سماع اخباره .. في الوقت الذي كنت لاتبدين لي فيه سوى المشاعر السطحية العابرة .. كاي انسان آخر في الدار

— ما قصدت قط ان اولمك

— ومع ذلك فقد آلمت نفسي اشد ايلام .. الى ان كان ذلك اليوم الذي اقبل فيه علينا اخي ، وقد جرح ذراعه وشده الى عنقه . فاذا بي احس من لقائك له ان املي في حبك قد ذرته الرياح ، وانني قد هزمت شر هزيمة

« ماذا استطيع ان افعل ؟ ..

« لم يكن امامي سوى امرين ، اما ان ارضخ للهزيمة .. واما ان احارب بنفس السلاح .. سلاح الشجاعة والاندفاع والاقدام ، ولم يكن ترددي — كما قلت لك — عن خوف او جبن بل لاني كنت اري الواجب هو تادية الواجب الذي تؤمر بتاديته . وكنت اكره الاندفاع وافضل أن أترك مصيري للقدر يرسمه كيف يشاء . كنت احب أن احارب مع وحدتي وجنودي ، وكنت اكره أن اختار لنفسي طريقا قد اندم على اختياره . كنت افضل السير في الطريق الذي لابد من السير فيه ، حتى لاأعطي لنفسي فرصة لندم .. تلك هي طبيعتي ، وذلك هو مبدئي في الحياة

« ولكني وجدت نفسي مضطرا — من اجلك — الى أن اخالف طبيعتي ، واغير مبدئي ، وان أندفع متطوعا للمغامرة والقتال

« لقد كرهت ان افقدك بلا سبب .. فانا في قرارة نفسي ، لست اقل شجاعة عن اخي

« وهكذا صممت على أن ارسم مصيري وان اسلك الطريق الذي اخترته للفوز بك ..

« ووقفت لوداعك ، وانا احس اني استعدت لنفسي كثيرا مما فقدت . وان الثقة التي تبددت قد عادت تملأ نفسي .. وانا اري عينيك مغرورقتين بالدموع .. واسمع صوتك الحنون يهتف بي : « مع السلامة »

« واندفعت في الطريق الجديد ، بصورتك امام عيني وصوتك في اذني . وقد عزمت على أن اكون بطلا ، او على الاصح الا اكون اقل من اخي بطولة . لقد كنت اري السباق بيني وبينه ما زال مستمرا ، ولابد ان افوز في النهاية

« لاأستطيع أن اشرح لك ما فعلت فانا اكره التفاخر . ثم انه ليس لي فيما فعلت فضل . فالفضل لك انت ، ولا اشك أن اى انسان في موضعي لم يكن ليفعل اقل مما فعلت ..

« لقد كنت اندفع بشعور المتسابق الى البطولة ، لم اكن اخشى شيئا . فقد كنت احس ان اقصى ما يمكن ان اصاب به هو اقصى امنية لي

« لقد سمعت عن تطوعك والتحاقك بالجيش .. وبدات اتمثل نفسي ، اذا ما اصبت ، بين

بديك . لقد ارتسمت فى ذهنى نفس الصورة التى تحققت الآن . كيف اخشى ـ بعد هذا ـ ان اصاب ؟

« اندفعت فى القتال كمجنون لايدرك خطورة ماحوله .. فقد كنت احس ان هذه الخطورة هى وسيلتى للكسب

□

« وفى ذات ليلة ، سمعنا ان العدو قد احتل احدى التبات المشرفة على مواقعنا ، وان قوتنا قد باتت فى خطر داهم

« ولم يكن امامنا لطرده سوى طريقة واحدة ، هى أن نحاول تطويق اجنابه بعرباتنا المدرعة . وبدات مدرعاتنا فى تطويقه فعلا ، ولكنها اكتشفت بعد بدء تقدمها أن العدو قداحاط مواقعه بحقول الغام ، وان عربات المقدمة قد عطلت ، فلم تجسر بقية العربات على التقدم

« واحسسنا بالموقف يزداد خطورة ، فقد كانت قواتنا الاساسية توشك ان تنهار امام ضغط العدو ، وكان يجب والامر كذلك أن تتقدم العربات مهما تكن النتيجة

« وكان من العسير أن نجبر العربات على أن تخوض حقول الالغام ، الا بطريقة واحدة ، استطعت انا تنفيذها

« لقد عدوت وسط النيران ووسط حقول الالغام حتى وصلت الى العربة الاولى . وكانت العربات اشبه بقطيع من الخيول جفل قائده فتوقف الباقى عن المسير ، وقفزت الى العربة واندفعت بها فى جنون وسط حقول الالغام ، فبعثت الطمانينة فى قلب القطيع الجافل وسرعان ما اندفع ورائى وفزع العدو من جراء تطويقنا له .. ولم يكن امامه سوى الانسحاب

« وبدا العدو انسحابه . عندما احسست حولى دويا شديدا .. واستغرقت فى اغماء لم افق منه الا مرتين ، مرة رايت فيها قائدى يبتسم ويخبرنى ان المعركة قد قلبت الى هزيمة للعدو منكرة ، وانه اندحر امام ضرباتنا ، وراحت قواتنا تطارده بلا هوادة . والمرة الثانية افقت فيها لكى اجدك امامى .. واجدنى قد نلت كل ما ابغى ، ولأخبرك انى فعلت كل ما فعلت .. من اجلك .. هل تريدين اكثر ؟ »

ـ لا .. هذا اكثر مما استحق . لقد ربحت المعركتين .. هناك ، وهنا (واشارت الى قلبها)

ثم ساد الحجرة صمت عميق . واغمض الجريح الرابع عينيه . ولم يفتحهما بعد ذلك ابدا ..

لقد كسب المعركة وكسب السباق .. ولكن فى الرمق الاخير ووقفت هى أمام الجسد المسجى وقد جد الدمع فى مقلتيها .. تذكر آخر ماقاله : « كل هذا من اجلك .. هل تريدين اكثر ؟ »

ويخيل اليها انها تسمع صوته فى وسط السكون العميق يهمس بها

ـ وحياتى ايضا .. من اجلك

يوسف السباعى